

العدد 7  
حزيران  
2019

# العماد

مجلة فكرية سياسية، يصدرها الحزب الشيوعي العمالي العراقي

مباديء النشاط الشيوعي ، الفصل ما بين القول والعمل ،  
الحركات الاحتجاجية ما بين الدولة المدنية والدولة العلمانية ، هل  
فشلت الاشتراكية حقاً؟! ، حول السلطة ، حول التنظيم العمالي ،  
موضوعات حول الحزب والقضايا الاممية والقيادة والتنظيم ،  
الاسلاموفوبيا مصطلح مفضل وخطير ، الحركة النسوية في  
العراق تحديات وافاق ، ملف حول الحملة الامريكية على ايران

عواد احمد

توما حميد

فريدريك انكلس

منصور حكمت

فارس محمود

كورش مدرسي

سامان كريم

سمير عادل

## فهرست:

- مباديء النشاط الشيوعي }  
2 ..... كورش مدرسي
- الفصل ما بين القول والعمل }  
73 ..... منصور حكمت
- الحركات الاحتجاجية ما بين الدولة المدنية  
والدولة العلمانية غير القومية }  
80 ..... سمير عادل
- هل فشلت الاشتراكية حقاً؟! }  
87 ..... توما حميد
- حول السلطة }  
102..... فردريك انكلس
- حول التنظيم العمالي }  
105..... فارس محمود
- موضوعات حول الحزب والقضايا  
الاممية والقيادة والتنظيم }  
110..... عواد احمد
- الاسلاموفوبيا مصطلح مظل وخطير }  
116 ..... توما حميد
- الحركة النسوية في العراق، تحديات وافاق }  
124 ..... سمير عادل

## ملف حول: الحملة الامريكية على ايران



1. بيان الاحزاب الشيوعية العمالية الثلاثة  
في العراق وايران..... 134
2. بيان سمير عادل سكرتير اللجنة المركزية  
للحزب الشيوعي العمالي العراقي..... 138
3. عن الحصار الاقتصادي على إيران والحملة الاعلامية والسياسية  
من قبل الولايات المتحدة الأميركية!  
حوار جريدة الی الامام مع سامان كريم..... 140





العدد / 7 / حزيران / 2019

مجلة فكرية-سياسية، يصدرها الحزب الشيوعي العمالي العراقي

---

➤ رئيس التحرير:

**فارس محمود**

➤ مساعد رئيس التحرير:

**توما حميد**

➤ تصميم:

**خسرو سايه**

➤ المساهمون في هذا العدد:

**فارس محمود، سامان كريم،**

**سمير عادل، توما حميد، عواد احمد،**

**كورش مدرسي ، منصور حكمت**

➤ الاتصال برئيس التحرير:

0046762928178

[faris.mahmood@gmail.com](mailto:faris.mahmood@gmail.com)

## كلمة العدد:

تضمن هذا العدد جملة من المواضيع الجديدة المتعلقة بابعاد سياسية وتنظيمية واجتماعية واسعة ومهمة. اذ خصصنا مكانة كبيرة في هذا العدد لبحث قدمه كورش مدرسي حول مبادئ التنظيم الشيوعي بابعاده المتنوعة. يمكن اعتبار هذا البحث مرجع سياسي وتنظيمي ليس لاعضاء الحزب وكوادره، بل لكل الناشطين الشيوعيين في اي مكان، اذ انها وثيقة مرجعية مفصلة يمكن عددا توثيق لنظرية التنظيم الشيوعي. كما تناول منصور حكمت، في بحثه الكلاسيكي حول احد معضلات الحركة الشيوعية العمالية القديمة والجديدة في ان واحد، معضلة ذات راهنية كبيرة لحركتنا في العراق والمنطقة اليوم، الا وهي معضلة الاسباب الواقعية للفصل مابين القول والعمل، اي باختصار انه اثار وتأثيرات حركات الطبقات الاخرى على حركتنا.

وتحدث سمير عادل في بحثه "الحركات الاحتجاجية بين الدولة المدنية والدولة العلمانية غير القومية" عن وضعية سياسية محددة تمر بها الحركة الاحتجاجية في العراق ومطالبيها وشعاراتها. رسم عبر بحثه ضرورة تحصين المجتمع لنفسه من الاهداف التي تسعى التيارات والقوى السياسية للطبقة الحاكمة واحزابها من دفع المجتمع اليه.

فيما رد توما حميد في بحثه "هل فشلت الاشتراكية فعلاً؟!" على الكثيرين من منتقدي الاشتراكية والماركسية وبين زيفها وبطلانها، ويبين ان امكانية ارساء مجتمع اشتراكي هي امر ممكن. وقد ادرجنا مقال لقائد البروليتاريا العالمية فريدريك انكلس اللاسلطويين، يبين فيه تهافت تصوراتهم حول السلطة. وتحدث فارس محمود في بحثه عن الازواج الراهنة للطبقة العاملة في العراق، وبالاخص الاشكال التنظيمية الراهنة، ويبين محدودياتها ونقاط ضعفها الاساسية وهجمة البرجوازية على مجمل مكتسبات الطبقة العاملة، متحدثاً عن انسب اشكال التنظيم العمالي وبالاخص موضوع الاجتماع العام والمجالس. وبحث عواد احمد جوانب مختلفة تخص الاممية العمالية، القيادة الشيوعية، الديمقراطية الاشتراكية والمركزية الديمقراطية وغيرها من القضايا الجدلية التي تخص التنظيم الشيوعي والتحزب الشيوعي. وفند توما حميد مصطلح الاسلاموفوبيا بوصفه مصطلح مضلل وخطير، ويهدف الى حرف اذهان الجماهير عن حقيقة الاسلام السياسي ومآلته ومنح امتياز سياسي له. واخيراً، تحدث سمير عادل بشكل سردي تاريخي عن اوضاع الحركة النسوية في العراق والهجمة الشرسة على مكاسب الحركة النسوية راسماً افاق سياسية من اجل الارتقاء بنضال المرأة.

وفي الاخير ارفقنا ملف خاص يتعلق باوضاع تشديد حملة امريكا على ايران. اتمنى ان يجد القاريء، وبالاخص القادة العمال والشيوعيين في العراق والمنطقة، في مواضيع هذا العدد ضالتهم المنشودة للارتقاء بوعيهم السياسي والفكري وممارستهم السياسية-العملية.

**فارس محمود**  
**رئيس تحرير المدّ**  
**حزيران 2019**



كورش مدرسي

# حول الحزبية والمبادئ التنظيمية للحزب

ترجمه عن الفارسية: فارس محمود

## الجزء الاول

### مقدمة:

وانا احزر هذا الجزء، كانت الثورات والاحتجاجات في اندلاع في العالم العربي. اذ تواجه هذه الاحداث، قبل اي شيء اخر، العامل والفعال الشيوعي في ايران بالسؤال التالي: اذا اندلعت ثورة غدا في ايران، ماذا يحل بالطبقة العاملة؟

أستشارك الطبقة العاملة في ايران بنفس التنظيم والوعي الذي شاركت به الطبقة العاملة في مصر، تونس، ليبيا، اليمن وسورية؟ أتعرف الطبقة العاملة مقدما اي راية سياسية او اي بديل سياسي مخبئان لها؟ هل تتمتع الطبقة العاملة بالاعتدال الذي تمارس سلطتها بوصفها طبقة في سياسة ايران وفي الثورة المقبلة في ايران، وتدفع هذه الثورة، عبر عملية ثورة دائمة، نحو ثورة اشتراكية؟ ان تتمكن البرجوازية من اقناع المجتمع والطبقة العاملة باحد بدائلها المتنوعة والمختلفة؟ أستكون ثورة 1979 في ايران ام ثورة مصر؟ ان تجر ثورة

ايران الى مستنقع على غرار ليبيا؟ ...

في الحقيقة، ليس بوسع احد ما اعطاء جواب مضمون لهذه الاسئلة. بيد ان ثمة حكم قاطع. باي درجة تجمع الراهة الشيوعية قواها في الطبقة العاملة، وباي درجة يغدوا النشاط الشيوعي محملاً لتوحيد ونضال بروليتاريا ايران، تتعاطم بالحد ذاته فرصة الطبقة العاملة. ليس بوسعنا ان نخلق ثورة. الثورة ظاهرة اعقد من ان يكون اندلاعها بيد ارادة احد. لكن بوسعنا ان نؤمن مسالة وهي "متى ما اندلعت الثورة، ان تكون الطبقة العاملة متحلية بالخلقية والابداع، على استعداد ان تعبيء طيف واسع من عمال المجتمع وكادحيه حول مطلب الثورة العمالية وتنظم الانتفاضة المظفرة على سلطة البرجوازية. ان الفعال الشيوعي الذي ليس منهمكا اليوم بهذا العمل، يعيش بالاحلام، ليس منهمكا بعمل شيوعي. ان ثورات البلدان العربية تطرح امامنا قبل كل شيء فورية التنظيم الشيوعي للطبقة العاملة. وهو الامر الذي عجز عنه كل يسار ايران.

### كورش مدرسي

8 نيسان 2011

### استهلال:

ان موضوع سلسلة الجلسات يختلف عن البحث والنقاش فيما يخص المباديء التنظيمية او ما يخص النظام الداخلي. ان بحث النظام الداخلي والمباديء التنظيمية مرتبط بتعريف وتوضيح الهيئات، الحقوق، المهام، صلاحيات المؤسسات الحزبية. وهي دون شك ابحاث مهمة. بيد ان موضوع هذه الجلسات ذا صلة بجانب اخر، جانب اكثر بنوية واساسية من النشاط الشيوعي. لقد نوقش هذا الموضوع وتم بحثه مرات عدة في الادبيات الماركسية. على سبيل المثال، وبوصفها مراجع ومصادر، ادعوكم الى الرجوع للكتابات ادناه:

- لينين: "مالعمل؟"
- لينين: "خطوة للامام، خطوتان للوراء"
- لينين: "مرض اليسارية الطفولية"
- منصور حكمت: "الشيوعيون والممارسة الشعبية"
- منصور حكمت: ندوتنا الشيوعية العمالية الاولى والثانية
- منصور حكمت: سياستنا التنظيمية بين العمال
- منصور حكمت: المحرض الشيوعي
- كورش مدرسي: اللجان الشيوعية
- كورش مدرسي: حول العمل القانوني وغير القانوني
- كورش مدرسي: اعادة قراءة البيان الشيوعي
- كورش مدرسي: الحزب الشيوعي والافتقار السياسي

ينبغي هنا توضيح مسالة ان في نية الحزب اصدار كراس كامل حول مباديء الفعالية الشيوعية. املاً ان يقوم الحزب بهذا العمل سريعاً على اية حال، ليس بوسعي في هذا المجال المحدود ان اتطرق الى جميع النقاط التي ستورد في مثل هذا الكراس والوثيقة. وعليه، ينبغي النظر الى سلسلة الابحاث هذه بوصفها اداة عون تعليمية في اشاعة مباديء النشاط الشيوعي اكثر منها شرحاً كاملاً وتفصيلاً. بالاضافة الى ذلك، ان قراءة كتابات لينين ومنصور حكمت اعلاه هي امراً لاغنى عنه لكل فعال شيوعي للطبقة العاملة. بدون الوعي والالمام بهذه الابحاث، يجرمه بالضرورة من الرؤية الجلية والشفافية للنظريات التنظيمية الشيوعية واساليب العمل الشيوعي. تحرمة من اداة لمعرفة حركته والحركة البرجوازية، يكون في وضع لاندحة له من اعادة



وتكرار كل اخفاقاته السابقة.

### الفصل الأول- حول اي شيء تتعلق مبادئ النشاط الشيوعي؟

#### 1- حول اي شيء لايتعلق بحث النشاط الشيوعي

نقوم بنشاطنا الشيوعي في اوضاع خاصة. من زاوية بحثنا الراهن، ان اهم سمة للاوضاع الراهنة هو الضعف التام للنشاط الشيوعي في اكثر اشكاله اساسية وبنوية. اذ يمكن القول، وبجراحة، ان الشيوعية البرجوازية واسلوب عملها هو التقليد السائد في التيارات التي تسمى نفسها شيوعية سواء في داخل ايران او في البلدان الاخرى.

وعليه، فان اغلب من يخاطبهم هذا البحث هم اناس ليسوا منهمكين في نشاط شيوعي. منهمكين في النشاط في اطار منظمات خاصة. منهمكين مثلاً في النشاط مابين الطلاب، المعلمين، النساء، نشاطات فكرية وثقافية، تنظيم مسلح، نشاطات في الخارج وحتى النشاط في اطار المنظمات الجماهيرية العمالية مثل النقابات وغيرها، ولورد على الاسئلة المطروحة المتعلقة بالنشاط في هذه الميادين يمضون لبحث النشاط الشيوعي. يعتبرون النشاط الشيوعي هو الجمع الجبري لمثل هذه الفعاليات. يعتقدون انه اذا وضعت الشيوعيين المنهمكين في نشاطات مثل هذه مع بعض ستبلغ النشاط الشيوعي. ان نقطة الانطلاق هذه خاطئة بصورة تامة. ان النشاط الشيوعي هو نشاط اخر وينبغي بحثه في نفسه.

ان الانفصال التاريخي والعالمي لليسار عن الطبقة العاملة، حول معضلات النشاطات الاخرى، ماعدا النشاط الشيوعي بالمعنى الاكثر اساسية وبنوية، الى معضلة وانهماك اليسار في العالم. من النشاط مابين المضطهدين بصورة عامة، الى النشاط ضد الدين، ومن النشاط للدفاع عن البيئة الى النضال ضد الامبريالية، من النضال من اجل الاصلاح الى النضال ضد القمع وغيره.

ان هذه الميادين هي ميادين مهمة للنشاط الشيوعي دون شك، بيد انها لا تمثل اطلاقاً هوية ومحتوى النشاط الشيوعي. ان احلال هذه النشاطات محل النشاط الشيوعي مثل تبديل استراتيجية شيوعية بمجموعة من التكتيكات الثورية والانسانية عموماً. بالنسبة لحزب شيوعي، ان هذه ميادين خاصة ومهمة بيد انها لا تعرف النشاط الشيوعي.

زد على ذلك، جوبهت الاحزاب الشيوعية دوماً بالتنظيم في اوضاع غير عادية او "خاصة"، وتحتم عليها ان ترد عليها. ان اوضاع عادية، وكاي تعريف اخر، هي مفهوم مجرد، ليس ثمة اي مكان حقيقي في العالم دون خصوصيات. وعليه، اذا لم نعرف الاساس والاطار السياسي للنشاط الشيوعي، ولانميزهما عن الاشكال المحددة للنشاط في كل مرحلة او مكان، سنقع عملياً في اعمال هامشية، جماعة ضغط، وعملياً في اطار اليسار التقليدي والشعبي.

وعليه، نظراً للتصور العام السائد في اليسار، بين الشيوعيين في اوربا وايران وسائر بقاع العالم، ينبغي ان نحسم قبل اي شيء اخر امر: حول اي شيء ليس له صلة بالنشاط الشيوعي.

لتوضيح الامر اكثر، اسمحوا لي ان استعير. اذا اردت تعلم علم العمارة، لاتبدء من توضيح اسلوب بناء وتصميم باب وشباك العمارة. فمهما وضحت كل مايتعلق بالباب والشباك وتحل مسائلهما، يبقى قاصراً عن تغطية بحث العمارة. على من ينشد بناء عمارة ان يبدء من موضوع العمارة ذاتها، من تاسيسها، من هيكليتها وغير ذلك. ان ذلك المهندس المعماري الذي هو مختص فقط بتشبيد الابواب والشبابيك، بوسعه ان يكون اي شيء الا مهندس عمارة. للعمارة باب وشباك ورواق وشرفة دون شك. بيد ان العمارة ليست عبارة عن باب

وشباك، بل انها اجزاء مكملة للعمارة ولاتوضح لنا شيئاً بعد حول العمارة. فيما يخص النشاط الشيوعي تصح العلاقة ذاتها كذلك. من المؤكد ان الشيوعيين يعملون في اوساط الطلبة، الفلاحين، النساء وغيره. بيد انه ليس الجمع العددي لهذه النشاطات. انها نوعية او ظاهرة اخرى مختلفة. اذا ما استخدمنا استعارتنا السابقة، ان هذه النشاطات هي جزء من باب وشباك عمارة النشاط الشيوعي، وليست نظرية او النشاط الشيوعي ذاته.

في الجدالات بين الشيوعيين حول النشاط الشيوعي واسلوب العمل الشيوعي، كان الاختلاف في الحقيقة حول الاختلاف نفسه في تعريف النشاط الشيوعي. ان التيارات التي تعرف هذه الاشكال الخاصة والثانوية لنشاط الشيوعيين بوصفها هويتها وانها مكملة، تحتاج بصورة لامناص لها "طرق" الماركسية، علم النشاط الشيوعي، كي تتطابق مع اهدافها وانها مكملة للطبقة والسياسية. ولهذا، اجمالاً، بالاضافة الى مبررات اخرى، يصلون مثلاً الى اليسار الجديد، الاشتراكية-الفيمنستية، الجيفارية، الكاستروية وغيرها. ومن هنا، يتم تحويل النشاط الشيوعي بنحو ما الى النشاط بين "الجماهير"، علم تنظيم الجماهير او المضطهدين، نظرية النضال ضد الامبريالية وغيرها. ومن هناك، تقتضي الحاجة الى النظريات الشعبوية، الشعبية، وانواع الحركات البرجوازية، "بنظرة طيبة وحسنة للطبقة العاملة". يقولون الحاجة ام الاختراع. ان الحاجة لتعريف النفس بوصفها منظم "ديمقراطي" هي اختراع اشكال الشيوعيين غير العماليين والديمقراطيين.

## 2- باي شيء يتعلق النشاط الشيوعي؟

ان بحث النشاط الشيوعي، بحث تنظيم طبقة محددة، الطبقة العاملة في محيط عملها ومعيشتها للثورة البروليتارية.

ان الطبقة العاملة، محيط العمل، محيط المعيشة والثورة البروليتارية هي مفاهيم محورية وبنوية تحدد وتعرف النشاط الشيوعي. اذا ما تم تجاهل اي منها او احلال شيء اخر محلها، ستطأ اقدامنا شيوعية برجوازية. وعليه، ينبغي الالتفات الى النقاط ادناه:

## الف- بحث النشاط الشيوعي هو بحث تنظيم طبقة محددة

ان بحث تنظيم الطبقة العاملة هو في محيط عملها وحياتها. ليس النشاط الشيوعي بحثاً حول تنظيم الجماهير على العموم، الشعب، النساء، الاطفال، الفقراء، المرضى ومظلومي المجتمع. ان جميع هذه هي اجزاء مكملة للنشاط الشيوعي، بيد انها ليست هذا النشاط. باب وشباك عمارة الحزب الشيوعي وليس العمارة نفسها. ان التيار والحزب الذي ليس مركز نشاطه في عمق الطبقة العاملة والبروليتاريا الصناعية لايران، والذين هم ليسوا بالضرورة افقر اقسام المجتمع واكثرهم حرماناً، هو اي شيء ممكن ان يكون، بيد انه لاشيوعي ولا عمالي.

## ب- التأكيد على محل العمل ومحل المعيشة

ان التأكيد على محل العمل ومحل المعيشة هو تأكيد على واقع ان العامل ليس فقط عامل في المعمل او المصنع. انه بحث حول طبقة تعد العائلة العمالية جزء مهم منها. ان الطبقة العاملة ليست فقط عامل يشتغل او فرد عامل. ان كل هذه الطبقة تشمل العامل والعاطل، الشريك والابناء الى العائلة الاوسع. ان العامل في محيط العمل ينتج فائض القيمة. ولكنه في محل المعيشة، العامل هو من يعيد انتاج قوة العمل هذه. ان المحلة العمالية ومايجري فيها هو جزء من الجغرافيا والتفاعلات التي تؤمن عملية الانتاج واعادة الانتاج الراسمالي. يتناول العامل في محل معيشته الغذاء، يرتاح، وينجب الجيل المقبل من العمال ويكبرهم كي يؤمن الجيش الحاضر دوماً للعمل للاستغلال الراسمالي. تتجاهل هذه الحقيقة لا التيارات البرجوازية فحسب، بل الميل الاقتصادي

## مبادئ النشاط الشيوعي

والصنفي داخل الطبقة العاملة. من وجهة نظر كلا التقليديين، العامل هو صنف، مثل بقال. الاختلاف يتمثل فقط بان البقال يبيع بضاعة، اما العامل فيبيع قوة عمله. ولهذا، من وجهة نظر مجمل هذه التيارات، يعد محل العمل، مثل الدكان، هو فقط محل تحقق عمالية او صنفية العامل.

### ج- هدف النشاط الشيوعي

ان هدف النشاط الشيوعي هو تنظيم الثورة البروليتارية، لا الحركة القومية، الحركة النسوية، حركة الارتقاء الثقافي واي حركة اخرى.

ليس هدف النشاط الشيوعي هو الارتقاء بثقافة او مثلاً بعقل واحساس الطبقة العاملة. ان النشاط الثقافي والنضال ضد الخرافات يتمتع باهمية حياتية كبيرة في النضال الشيوعي، بيد انه ليس هدف بذاته. اذ يمكن اقامة مؤسسات ومنظمات كثيرة تخدم الارتقاء الثقافي للطبقة العاملة، وحتى ان تقوم الاحزاب الشيوعية باقامتها. بيد ان النشاط الشيوعي ليس بحثاً يتعلق بالارتقاء الثقافي للطبقة العاملة، بل تنظيم الثورة البروليتارية. ان استبدال السعي المتواصل لتنظيم الطبقة العاملة من اجل الثورة البروليتارية باي مسعى اخر، فان ذلك المسعى يحيلها الى تقليد برجوازي يرتبط في خاتمة اسلوب عمله وهدفه، الان وحتى مستقبل منظور، بادامة الاستغلال البرجوازي.

### 3- النشاط الشيوعي هو جزء من هويتنا الشيوعية.

تتمثل معضلة اخرى بان في اغلب الاحيان، حتى في التيارات الشيوعية، حين يتم الحديث عن النشاط الشيوعي، يتمركز البحث اغلب الاحيان حول الهيكلية او التنظيم. اذ يختزل النشاط الشيوعي الى مجموعة من النقاط او الطروحات وخطط عمل فنية-تنظيمية.

وفق هذه الرؤية، يتم تفسير النشاط، التنظيم ونظرية التنظيم بوصفها امراً فنياً البرجوازية بايديها المجتمع، وان هذه المكانة الخاصة تطرح اساليب عملية في هضم وجود العلاقة الراسمالية. اذا قلت كتب علم الادارة، سترى ان التنظيم يتم تناوله بوصفه تكنيك اكثر من اي شيء اخر. ان باعث وهدف التنظيم، ما يحفز البشر، اطار النشاط التنظيمي هي امور معطاة ومفروضة مسبقاً؟

ان فلسفة النشاط الشيوعي هي من الاساس ضد المعطيات الاجتماعية القائمة، والادهى من هذا، ان فلسفة النشاط الشيوعي هي دوماً تحت الضغط الطبقي والعملي للبرجوازية عبر الثقافة، التقليد، والمعطيات "الطبيعية" للمجتمع والحركات والتصورات البرجوازية. بهذا الخصوص يمكن الاشارة الى النقاط ادناه:

### الف - الهدف والوسيلة

ان ما يميز النشاط الشيوعي عن مجمل اشكال النشاط الاجتماعي والسياسي هو هدفه. ان هذا الهدف يستلزم وسيلة، نمط فعالية وموضوع فعالية يختلف. ان اسلوب واداة النشاط الشيوعي تختلف عن اسلوب واداة النشاط البرجوازي بقدر اختلاف اهداف كلا الحركتين.

لا يمكن عبر اسلوب نشاط الاحزاب والتيارات البرجوازية ان نبلغ اهداف النشاط الشيوعي. ان عدم الانتباه الى هذا الحكم البديهي هو احد سمات الانتهازية والشيوعية البرجوازية. ان الهدف والوسيلة هما ظاهرة واحدة، متطابقتان. اذا جمعت مجموعة من اجل "الثورة على العموم" او "الاطاحة بالنظام" على العموم، عندها يتحقق الهدف عبر تسليم السلطة بين الاطراف من فوق، الانقلاب، او حصار المدن عن طريق الريف او ممارسة الضغوطات على النظام الحاكم، التعايش عبر الاستفادة من الاختلافات بين الدول، او النضال المسلح (1). ان هذه الاساليب ليست خاطئة بالنسبة للحركات البرجوازية. اذ بلغت هذه الحركات مراراً

السلطة عبر الاستفادة من اساليب الفعالية هذه. في هذا الاطار، عندها تتطابق موضوعه عملك، مخاطبك، اسلوب نشاطك، افقك وبرنامجك واولوياتك مع هذه الرؤية وهذا الافق. وعليه، السؤال الاساسي هو الى اي امر يحتاج التنظيم والفعالية التنظيمية؟ ومن هنا بالضبط بدء بحث نمط العمل الشيوعي، ومنقداً لنمط العمل البرجوازي.

### ب - من الاشتراكية الخرافية الى الاطروحة الشعبوية " قيادة

#### الجماهير في الثورة"

تصاعد النقاش حول النشاط الشيوعي مقابل النشاط غير الشيوعي، بصورة منظمة بين الشيوعيين في تاريخ النضال الشيوعي، وجلب معه ردود متنوعة. ان اخفاق الشيوعيين في الدفع باوضاع ثورية او تحولات اجتماعية كبيرة صوب ثورة اشتراكية او فرض التراجع على الحكومات البرجوازية هو ظاهرة معطاة في 60-70 عاماً المنصرمة. لم يتمكن الشيوعيون سواء في ايران او في اي مكان من العالم من لعب هذا الدور. ان السؤال المطروح الذي يعقب كل هزيمة هو: لماذا؟ لماذا وقعت الشيوعية في الوضع الحالي، وذكرت ان اجوبة مختلفة ومتعددة قد طرحت رداً على هذا السؤال.

ان قسم من اليسار يرضي نفسه بان "شيطان" التحريفية والبرجوازية قد تسلل جسد الشيوعيين، وعليه، فان هذا اليسار، حاله حال اي فئة دينية، في حالة كشف اجنة التحريفية، فضح العناصر البرجوازية المتسللة في صفوف البروليتاريا، تزكية النفس، جلد الذات، الجلد الايديولوجي-النفسي للنفس، ومايصطلح عليه النقد الذاتي، ويتحول بالتالي الى فرقة شبه دينية.

ان القسم الاكثر راديكالية واكثر اجتماعية، سواء في ايران او سائر البلدان، يفسر على الاغلب هذا العجز بمسميات "العجز عن قيادة الجماهير في الثورة"، وهي دون شك اطروحة اكثر اجتماعية واكثر واقعية وعقلانية من اليسار السوداوي والمكثب، لكنها بنفس الدرجة برجوازية وغير شيوعية. ان هذه النقاشات بين شيوعيي ايران قد بدأت في ابحاث المؤتمر الاول لاتحاد المناضلين الشيوعيين عام 1982 وقد استخلصت في ابحاث الشيوعية العمالية لمنصور حكمت والتي تلخصت ببحث الشيوعيين ونمط العمل الشيوعي.

في تلك المناقشات، تمركز النقاش بصدد اسلوب العمل الشيوعي حول الاطروحة ذاتها "قيادة الجماهير في الثورة". ان منظرو هذا الخط والمدافعين عنه، حميد تقوائي، اكثر ممثلي الشعبوية في اليسار الايراني صلابة. وهو الخط الذي وضع الحزب الشيوعي العمالي الايراني اليوم نفسه فعلاً في مسار "قيادة الجماهير في الثورة"، وهو السعي الذي تحول بالضرورة من قيادة الجماهير الى الذيلية لها. وهو المال الذي تنبأ به منصور حكمت من المؤتمر الاول لاتحاد المناضلين الشيوعيين.

لتبيان ماهية النشاط الشيوعي واختلافه عن نمط عمل او نشاط الشعبويين، النزعة القومية اليسارية والاشتراكية البرجوازية عموماً، ليس امراً مضرراً ان اتناول بايجاز اطروحة "قيادة الجماهير في الثورة". قيل ان على الشيوعيين ان يكونوا "قادة الجماهير في الثورة". وان هذا هو اعتقاد الاغلبية الساحقة من اولئك الذي يعدون انفسهم شيوعيين. ان هذا الاعتقاد البسيط صيغ حول كلمتين. "الجماهير" و"الثورة". بيد ان كلا المفهومين، بوصفهم مفاهيم سياسية، ليسا غير ماركسيين فحسب، بل مضادان للماركسية.

تستند الماركسية والشيوعية قبل اي شيء اخر الى اساس الاقرار بطبقية المجتمع. ان نقطة الانطلاق هذه ليست خاصة بالماركسية. ان اكتشاف المجتمع الطبقي، مثلما يؤكد ماركس في رسالته الى آنكوف، لا يرتبط بماركس. ان مايميز الماركسية عن البرجوازية هو المضي ابعد من هذا الحكم. اذ يؤكد ماركس على ان ماهو

## مبادئ النشاط الشيوعي

من اكتشافه هو ان الية حركة المجتمع المعاصر تستند في اكثر مستوياتها اساسية وبنوية الى الصراع ما بين البروليتاريا والبرجوازية، وان انتهاء عبودية العمل المأجور هذه هو فقط عبر الاطاحة بالبرجوازية على يد الطبقة العاملة، هو امرا ممكنا عبر ازالة النظام الراسمالي ومجمل المجتمع الطبقي.

وبالتقابل مع اكتشاف ماركس هذا، تبده الشيوعية البرجوازية والشعبوية بالضبط من الانكار النظري او العملي لهذه الاحكام. في الحركات البرجوازية، لا يتم فصل النواة المحركة لتصادمات وتناقضات المجتمع عن التناقض ما بين البروليتاريا والبرجوازية، ليس هذا وحسب، بل يتم اساساً انكار السمة الطبقيّة للمجتمع ذاتها بصورة علنية او عملية. اذ بدل اصطفاف البروليتاريا والبرجوازية، يحلّ صراع الجماهير ضد معادي الجماهير، الجماهير مع النظام، وبمكان الثورة الاشتراكية، تحل الثورة الوطنية، الثورة بصورة عامة، الثورة الدينية، الثورة المناهضة للامبريالية، الثورة الديمقراطية، الاطاحة بالنظام وغيره.

لفكرة "قيادة الجماهير في الثورات" او "قيادة الشعب في الثورة" مجمل الخصائص هذه. على اي ماركسي او ناشط شيوعي للطبقة العاملة ان يوجه السؤال لهؤلاء الشيوعيين البرجوازيين ولهؤلاء الشعبويين: اي جماهير؟ وفي اي ثورة؟

تتمثل الحقيقة بان في اطروحة "الجماهير" هذه ثمة امل غير طبقية كامر مفروغ منها، ذا مصلحة ومحرك واحد، وان "الثورة" هي ظاهرة معطاة وغير طبقية تعكس مصلحة هذه "الجماهير". وحين يكون الصراع في المجتمع غير طبقياً، ستكون الثورة بالضرورة غير طبقية، جماهيرية، انسانية وغير ذلك. ان هذه الاطروحة، الفكرة او الافق، ليست عاجزة عن تبيان منع العجز المزمّن للشيوعية الموجودة في عالمنا المعاصر فحسب، بل على العكس من ذلك، اساسه الفكري واساس وجوده وادامته.

ان الحركة او التحرك الذي يكون هدفه تامين "قيادة الجماهير في الثورة"، يتخذ اسلوب عمل متطابق مع هذا الهدف. اسلوب يحل ويصفي الطبقة العاملة والثورة العمالية في عموم الجماهير، والثورة العمالية في ثورة وطنية، في ثورة الكل، مناهضة للنظام، شعبية وغيره. ان مثل هذه الحركة، وطبقاً للتعريف، لا تحتاج الى نمط النشاط الشيوعي. فبدل الحاجة الى النشاط الشيوعي، تحل الحاجة الى النشاط الديمقراطي، الشعبي، الوطني وغيره والذي لا تنتمتع الطبقة العاملة فيه بمكانة خاصة، او في افضل الاحوال عنصر اكثر اصراراً وثورية (اكثر ثورية بماذا؟) من الجماهير نفسها. ان نمط النشاط هذا، طبقاً للتعريف، عاجز عن الدفع بالطبقة العاملة صوب الثورة الاشتراكية. ان هذا الافق يوازيه نمط نشاطه الذي يشمل اشكال نشاط، مخاطبه، لهجته الدعائية وانهماكاته. ان سبب عدم وضوح ومفهومية وعصي الدعاية عن الفهم ونمط الفعالية الشيوعية البرجوازية تكمن هنا وليس في ضعف تعليم او المآخذ التنظيمية ومعرفتها.

لقد ذكرنا ان بحث النشاط الشيوعي هو بحث حول صلة الهدف بالوسيلة. اذ يستلزم هدف النشاط الشيوعي نمط هذا النشاط واسلوب النشاط الشيوعي. والفت النظر لحقيقة ان نمط النشاط هو بالنسبة للشيوعي مسألة هوياتية بقدر مبادئه العقائدية. واذا كان نمط نشاط مثل هذا الشيوعي لا يتطابق مع المستلزمات النضالية والطبقية للطبقة العاملة لا تكمن المشكلة في مآخذ فنية، تقنية، ايلاء اهمية لامر ما او عدم ايلائه للاهمية. ينبغي الانتباه الى المنبع الحركي (من كلمة حركة) واهداف هذه الشيوعية. ومثلما ان الشيوعية ليست مجموعة من المبادئ العقائدية، فانها ليست مجموعة من الهيكليات او الاشكال التنظيمية.

ان مصدر وحذر الشيوعية البروليتارية يستمد من الاحتجاج الاساسي للطبقة العاملة بوجه العمل المأجور. احتجاج، ماعدا الكادحين والاقسام الدنيا جداً من البرجوازية الصغيرة، تصطف كل الطبقات الاخرى بوجهه. وعليه، ينطلق النشاط الشيوعي من الاحتجاج نفسه، وليس من السخط العام، سخط الفلاحين وحتى الفقر او القمع. يدخل دون شك الاحتجاج على الفقر او السخط الديمقراطي اللوحة لاحقاً. ولكن فقط على اساس

## كورس مدرسي

المؤسسة المحكمة للاحتجاج الشيوعي للطبقة العاملة على وجودها، وبالتالي وجودها البرجوازي، بوسع تحديد التكتيكات اللازمة في هذه الاحتجاجات.

ان الاحتجاج على الفقر، الاحتجاج على الظلم ليس نقطة انطلاق و اساس الشيوعية والفعالية الشيوعية، ليس هذا وحسب، بل انه نقطة اشتراك الشيوعية مع العديد من الحركات المناهضة للظلم، الحركات المحبة للبشر، الانسانية لسائر الطبقات والحركات. وحين لايقام هذا الفصل، يتحول النشاط الشيوعي الى نشاط شعبي على العموم او "عدم ايلاء الاهمية" للطبقة العاملة و ايلاء الاهمية على سبيل المثال للفلاحين او الطلبة او الفقراء. زد على ذلك، تمثل الشيوعية البروليتارية والنشاط الناجم عنها حتى داخل الطبقة العاملة ميل معين. ان اختلاف الميل او الحركة الشيوعية مع الميول الاخرى يحددها البيان الشيوعي على هذه الشاكلة:  
"إن الشيوعيين لا يتميزون عن الأحزاب البروليتارية الأخرى إلا في أنهم: من ناحية، يُبرزون ويُغلبون المصالح المشتركة في الصراعات القومية المختلف للبروليتاريين، بصرف النظر عن تابعة عموم البروليتاريا، ومن ناحية أخرى، يمثلون دائما مصلحة مُجمل الحركة في مختلف أطوار التطور، التي يمر بها الصراع بين البروليتاريا والبرجوازية.

إذن الشيوعيون عملياً هم الفريق الأكثر حزماً من الأحزاب العمالية في جميع البلدان، والدافع دوماً إلى الأمام، ونظرياً هم متميزون عن سائر جموع البروليتاريا، بالتبصر في وضع الحركة البروليتارية، وفي مسيرتها ونتائجها العامة.

والهدف الأول للشيوعيين هو الهدف نفسه لكل الأحزاب البروليتارية الأخرى: تشكّل البروليتاريا في طبقة، إسقاط هيمنة البرجوازية، واستيلاء البروليتاريا عن السّلطة السياسية.

وطروحات الشيوعيين النظرية لا تقوم قطعا على أفكار، على مبادئ، ابتكرها أو اكتشفها هذا أو ذاك من مُصلحي العالم.

إنّها فقط تعبير عام عن الشروط الحقيقية لصراع طبقيّ قائم عن حركة تاريخية تجري أمام أعيننا. وإلغاء علاقات الملكية القائمة حتى الآن، ليس هو إطلاقاً السمة المميزة للشيوعية.

وإنّ ما يميّز الشيوعية، ليس القضاء على الملكية بشكل عام، بل إلغاء الملكية البرجوازية. فهم (الشيوعيون) يناضلون لتحقيق الأهداف والمصالح المباشرة للطبقة العاملة، لكنهم في الوقت نفسه يمثلون، في الحركة الراهنة، مستقبل الحركة".

اخذين هذه التحديدات الدقيقة للبيان الشيوعي بنظر الاعتبار، اكندا مراراً على ان الشيوعية ليست حركة داعية للحق. الشيوعية ليس حركة الاناس الطيبين، ولا حركة الاناس حسني الاخلاق. الشيوعية حركة احتجاجية لطبقة خاصة وذلك لمكانتها الطبقيّة. وان هذا التعريف يشكل اساس النشاط الشيوعي. عندها، واستناداً الى هذا الاساس، بوسع الطبقة العاملة الواعية ان تحدد صلتها بالحركات والاحتجاجات الاخرى.

ان هدف النشاط الشيوعي ليس الثورة على العموم. هدفه ثورة معينة. هدفه ان تعد الطبقة العاملة لهذه الثورة على مجمل البرجوازية. واستناداً الى هذا الاساس، اذا واجه مسارها ثورات اخرى بوسعها ان تحدد وتتخذ التكتيك المناسب من زاوية الثورة البروليتارية.

ما اسعى الى تاكيده ان النشاط الشيوعي ونقد نمط عمل الشيوعية البرجوازية هو ليس نقداً فنياً. انه مرتبط بجذر هذه الحركات في المجتمع. ليس بالوسع عبر اي برامج تنظيمية واي هيكلية تنظيمية تقليص النشاط

## مبادئ النشاط الشيوعي

الشيوعي الى نشاط شعبي ولا يمكن تحويل النشاط الشعبي الى نشاط شيوعي. ان نمط العمل الشيوعي او مبادئ النشاط الشيوعي هما مسألة هوياتية بقدر البرنامج او المبادئ الهوياتية لتيار. في عالمنا المعاصر، كيف يعمل حزب او منظمة وما هو انعكاسه على الطبقة العاملة هم اكثر جلاءاً وتعبيراً وهوياتية من مجمل الوثائق السياسية والايديولوجية لذلك الحزب او المنظمة.

ان نمط العمل هو امر هويتي بقدر برنامج الحزب، وهو بنفس درجة المبادئ الهوياتية لحزب اساسية وبنوية. ان نمط العمل بنفس درجة دعايتك مربوط بشيوعيتك. ان نمط العمل لحزب ما يحدد موضوع عمل وهدف نشاط ذلك الحزب. يملي عليك الى من تكتب، من مخاطبك واي نشاط تنظمه.

### الفصل الثاني - النشاط الشيوعي والسلطة السياسية

مثلاً يعلن البيان الشيوعي، يمثل الشيوعيين والنشاط الشيوعي مصالح كل الطبقة العاملة. وعليه، من الواضح ان الشيوعية والنشاط الشيوعي هما الاطروحة المضادة للراسمالية وكل البرجوازية.

اما النقطة التي يضيفها ماركس وانجلز، بالاحص بعد تجربة كومونة باريس، هي ضرورة الاطاحة بالبرجوازية، اقامة الحكومة العمالية (ديكتاتورية البروليتاريا) بوصفها الشرط المسبق للسيطرة على الملكية البرجوازية وارساء العلاقات الانتاجية الاشتراكية او الشيوعية. لا يمكن للاشتراكية والسلطة العمالية ان تتشكلا مثل اساليب الانتاج السابقة من رحم اسلوب الانتاج القائم.

وارتباطاً بالقدرة التي تتمتع بها البرجوازية، ان انتزاع السلطة السياسية هو الشرط المسبق لكسب الجماهير العريضة من الطبقة العاملة وجرها للميدان ضد البرجوازية.

حين تنظر لانتقال المجتمع من العبودية الى الاقطاعية، فان صيرورة تشكل الاقطاعية هي عملية تدريجية وقد جرت خطوة خطوة.

ان الاقطاعيين والاقطاعية نمتا تدريجياً في عملية وصيرورة تصل الى قرن في رحم المجتمع العبودي، حتى انتهت العبودية اجمالاً وسادت الاقطاعية. مثلاً في روما، وحتى في ايران، ان عملية انتزاع الارض من قبل مالكي العبيد او دولة مالكي العبيد كانت تدريجية. بيعت الاراضي تدريجياً او انتقلت، والاشخاص الذين يعملون في الارض ليسوا عبيد ولا مالكي عبيد. تشكلت الجماهير الفلاحية والطبقة الاقطاعية. يصل الامر لحد ان النظام العبودي لا يستطيع بعد صيانة وجوده. تسقط روما دون ان يحتلها احد.

فيما يتعلق بتشكيل الراسمالية، كان الامر كذلك. في خضم المجتمع الاقطاعي، مع تطور التكنيك ومع اكتشاف طرق التجارة البحرية وغير ذلك، ظهر تجار مقتدرين تدريجياً، انشئت المعامل، ولدت طبقة عاملة حديثة، وغدت البرجوازية مقتدرة يوماً بعد اخر من الناحية المالية، وبالتالي من الناحية السياسية. تطورت المدن، وحين تجري ثورة على غرار الثورة الفرنسية، فان البرجوازية عندها كانت تمسك بالقسم الاغلب من القوة الانتاجية وثروة المجتمع. بل كانت حتى مشاركة في السلطة السياسية في بعض البلدان مثل بريطانيا.

ان هذه العملية لا تتحقق بالنسبة للبروليتاريا او المجتمع الاشتراكي. ليس بوسع البروليتاريا ان تستأصل السلعة والانتاج السلعي في رحم المجتمع الراسمالي، اي تطيح بالية الانتاج من اجل الربح او تزيل الاستغلال. لقد جوبه بالفشل من كان يحمل هذه التصورات (الاشتراكيين الخياليين مثل فورييه او اوين)، فشلت جزرهم الاشتراكية. انهم مضوا لاقامة كومونات يقوم العمال سوية بالانتاج فيها. فشلوا. انهم حتى لم يتمكنوا من الناحية الاقتصادية ان يبقوا. لقد اثبت ان ماركس على حق: انك لاتستطيع ان تستأصل الانتاج من اجل الربح دون ان تسحب السيطرة على المجتمع والتحكم به من ايدي البرجوازية. ان هذا يعني ضرورة الثورة

البروليتارية، ضرورة الانتفاضة على الدولة البرجوازية، اي مد اليد لانتزاع السلطة السياسية.

ان الثورة البروليتارية هي اول ثورة في التاريخ ينبغي تحقيقها بصورة واعية وان يخطط لها من قبل. ان ثورة اكتوبر افضل نموذج. بعد ثورة شباط 1917، خطط الحزب البلشفي للثورة ونفذها لانتزاع السلطة بابداع واصرار لينين.

ماود قوله ان النشاط الشيوعي، بالاضافة الى ذلك، هو اعداد الصف الطليعي للطبقة العاملة للقيام بالثورة. ومثلما يذكر البيان الشيوعي، ان النشاط الشيوعي هو من اجل الاطاحة بالحكومة البرجوازية وجعل البروليتاريا السلطة الحاكمة. لايمكن تحقيق الثورة البروليتارية عبر امتطاء موجة ثورات الطبقات الاخرى. ان الطبقات الاخرى (البرجوازية) اكثر وعياً واقتداراً وبالاخص بعد تجربة ثورة اكتوبر، واكثر استعداداً من الناحية السياسية والفكرية والعملية من ان يُستَغْفَلوا. بوسع البرجوازية وتقاليد البرجوازية ان تركبا موجة العفوية. اما البروليتاريا ففقط عبر نقد هذه الحركات، بالوسع تشكيل حركة اخرى، حركتها وان تعمم الوعي. ان موضوعي هنا لايتعلق بالتحريض على عدم التدخل في تطورات المجتمع وتحولاته. بل ان موضوعي يتعلق بالسجود لاطار هذه التحولات وعدم اعداد الطبقة العاملة للمعركة الحاسمة والنهائية على جميع اقسام الطبقة البرجوازية.

ان هدف النشاط الشيوعي هو انتزاع السلطة السياسية. ولتحقيق هذا العمل، ينبغي ان تكون البروليتاريا مستعدة لذلك من ناحية الوعي، الوحدة والتنظيم. كي لاتستولي على السلطة فقط، بل ان تكون قادرة على الدفاع عنها. يؤكد ماركس، انجلز ولينين مرات ومرات على ان مقاومة البرجوازية ستتضاعف مئات المرات بعد الاطاحة بسلطتها السياسية. في عالمنا الراهن، ينبغي ان نرى هذه المئات المرات ملايين المرات. ستواجه الحكومة البرجوازية بمقاومة مستميتة من قبل كل اقسام البرجوازية. لانك توجه ضربة الى اصل حياتها، اي ربحها. كلهم يقاومون، من البرجوازية الصغيرة الى البرجوازية الكبيرة. كلما تطال يدك الملكية يشنون عليك جهاداً. وان الطبقة العاملة التي ليست مستعدة، ولاتعد نفسها من اليوم لمثل هذه الاوضاع، ستلحق بها الهزيمة. ان هذا ائتلاف ماركس مع الفوضيين، وان هذا ائتلاف ماركس وشيوعية الطبقة العاملة عن بقية الشيوعيين البرجوازيين. وعليه، ان هدف النشاط الشيوعي هو اعداد الطبقة العاملة لهذا الصراع وتوعية القسم الطليعي منها بحقيقة ان الثورة البروليتارية تتم من قبل اقلية الطبقة العاملة، وهو الامر الذي تناولناه بالتفصيل بالابحاث المتعلقة "الحزب والسلطة السياسية".

على هذا الاساس، هل بوسع الحكومة العمالية ان تستلم السلطة عبر الانقلاب؟ الم نقل ان اقلية هي من تنتزع السلطة؟ الجواب كلا. لايمكن الدفاع عن الثورة البروليتارية وتحقيقها دون دعم قسم بارز وملمس من الطبقة العاملة، وبالاخص البروليتاريا الصناعية.

وبوجه البرجوازية التي ستحارب بكل قواها ضد تطاول الاخير على ملكيتها وستحشد قوى طبقتها، ليس ثمة حظوظ امام الثورة والحكومة العمالية سوى التمتع بدعم القوة المنظمة للطبقة العاملة.

ان الانقلاب، طبقاً للتعريف، هو التخطيط لانقلاب مجموعة، بصورة مفصولة عن صلتهم بالمجتمع والطبقة، السيطرة في توقيت مناسب على القصر والمعسكر الفلاني والاذاعة والتلفزيون. ان هذا هو ائتلاف بحث الحزب والسلطة السياسية للشيوعيين عن الفوضيين وسائر التيارات الاخرى التي تتحدث عن انتزاع السلطة السياسية بغياب الدعم والمساندة العمالي. للقيام بالثورة البروليتارية، اي انتزاع السلطة السياسي، تحتاج الى حشد قسم مهم من الطبقة. ودون شك، اذا ارادت الطبقة العاملة ان تنتزع السلطة او تقوم بالثورة، فان اداتها هو التحزب السياسي. ان الحزب السياسي هو اداة هذا العمل، وليس اي تنظيم او منظمة جماهيرية اخرى. قلنا ان الثورة البروليتارية ثورة مخطط لها ومدروسة ضد مجمل النظام القائم. ليس بوسع الطبقة العاملة



## مبادئ النشاط الشيوعي

وتبارها الشيوعي ان ينتزعا السلطة او يحافظا عليها دون ان يكون لهما حزب، ودون ان يكونا راغبين ومنظمين من الناحية السياسية. ينبغي على النشاط الشيوعي ان يغطي هذه المسألة.

وعليه، ينبغي ان تؤكد مرة اخرى ان هذا البحث يتخطى اطار بحث تنظيمي، انه بحث حول النظرية التنظيمية للحزب الشيوعية. انه بحث صلة هذه الاحزاب بالطبقة العاملة وبطبيعتها.

ان حزب "جيد"، حزب ثوري، حزب "اناس طيبين"، حزب اناس تقدميين، حزب اناس دعاة مساواة وغير ذلك لا يرد على هذه المعضلة. ان نقطة انطلاق النشاط الشيوعي هو طبقة خاصة وحركة خاصة داخل هذه الطبقة.

حين قام الحزب البلشفي بثورة اكتوبر 1917، وحين نظم الانتفاضة، كان معه أنذ قسم مهم ومحوري من الطبقة العاملة الصناعية. لقد حذر لينين مراراً وتكراراً وناضل ضد تنظيم انتفاضة قبل اوانها او استلام السلطة السياسية قبل كسب قسم مهم من البروليتاريا الصناعية. لم يجلب البلاشفة معهم في يوم الثورة دون شك اغلبيية الطبقة العاملة، وان اول ردود الفعل السلبية تجاه استلام السلطة السياسية من قبل الحزب البلشفي قد برز عند عمال المناجم. لكن كان قسم محوري من الطبقة العاملة مع الحزب البلشفي.

ان التأكيد على هذه الحقيقة والمبدأ المهم في النشاط الشيوعي وهو ان مسألة انتزاع الشيوعيون للسلطة السياسية يتم اهمالها وتجاهلها من طرفين وجانبين غير شيوعيين تماماً. احدهما من طرف اناس يفكرون ان الثورة العمالية مسموح بها فقط حين تكون اغلبيية الطبقة العاملة معها. وفق هذه الرؤية، ولان مثل هذا العمل محال في مرحلة الحكومة البرجوازية، يُحال امر استلام السلطة السياسية الى المحال. من جانب اخر، ثمة شيوعيين لا يولون اهمية تذكر لضرورة وعي وتنظيم ودعم قسم مهم من البروليتاريا الصناعية. وفق هذه الرؤية، ينظر الى استلام السلطة السياسية عملياً على انه عمل حزب (اجتماعي او غير اجتماعي او فدائي)، وبالتالي لا يرى هذا النشاط حاجة اساساً لتعريف النشاط الشيوعي بوصفه نشاط طبقي واجتماعي للطبقة العاملة ويتبنى السياسة والممارسة الشعبوية.

## الفصل الثالث - الظروف الموضوعية والذاتية للثورة الاشتراكية

ان الحلقة اللاحقة لتوضيح النشاط الشيوعي هي ان نسأل انفسنا ماهي ظروف واوضاع الثورة الاشتراكية؟ لماذا لا تتحقق اليوم، وماهي العوائق امام ذلك؟ ان هذا البحث هو احد نقاط الانشقاق داخل الشيوعية. ان احد اسس الشعبوية، الليبرالية والقومية اليسارية هو ان تحقيق الثورة الاشتراكية منوط بنمو قوى الانتاج وتطور الراسمالية. وعليه، فان تحقيق الثورة الاشتراكية بالنسبة لهؤلاء ليس مطروحاً على جدول اعمالهم، الاعداد والتحضير لها هو مامطروح على جدول اعمالهم، اي ان تحقيق الثورة مرهون بالنمو المتعاظم للراسمالية.

طبقاً لفلسفة ماركس، يستلزم تحقيق اي تحول اجتماعي سلسلتين من الظروف. اولا الظروف الموضوعية. ان هذه الظروف تشير الى وجود الامكانية المادية، التكنيكية والانتاجية للمجتمع الجديد، ظروف بمعزل عن تفكير الافراد في المجتمع. ثانياً، الظروف الذاتية. ان هذه الظروف تشير الى ذهن وفكر من يقوم بمثل هذا التحول او الثورة. في المجتمع، قد تكون الظروف الموضوعية لتحول انتاجي او اجتماعي موجودة منذ مدة طويلة، بيد ان هذا التحول يتأخر تحقيقه وذلك لعدم استعداد الفاعل بعد. ان مثلاً بارزا على ذلك هو الثورات البرجوازية. ان هذه الثورات عادة تتم وذلك لان المجتمع والنظام الانتاجي للمجتمع جعل ذلك امراً ممكناً منذ مدة.

في مرحلة العبودية او الاقطاعية، لم تكن الظروف الموضوعية للثورة الاشتراكية موجودة. حتى اذا ارادت

مجموعة ما تنظيم مجتمعاً اشتراكياً، فان الامكانات العملية لذلك غير موجودة. بالنسبة لماركس، ان الظروف الموضوعية للثورة الاشتراكية هو وجود المجتمع الراسمالي. وفق رؤية ماركس والبيان الشيوعي، مع وجود سلطة الراسمالية على المجتمع، خلقت الظروف الموضوعية للثورة الاشتراكية، ويمكن القيام بالثورة الاشتراكية وينبغي انجازها. ان البيان الشيوعي في الاساس هو اعلان هذه الحقيقة ونداء لانجاز الثورة الاشتراكية من قبل الطبقة العاملة. لايعتبر البيان الشيوعي اختراع والانتساع المتعاطم للقوة المنتجة او انتاج الراسمالية في المجتمعات الراسمالية شرط الثورة الاشتراكية. ان هذا هو احد اختلافات ماركس مع الاصلاحيين البرجوازيين واحد الاختلافات الاساسية للينين مع المناشفة.

ذكرنا مع الظروف الموضوعية لاي تحول اجتماعي (ومن بينه الثورة البروليتارية)، يتحدث ماركس عن الظروف الذاتية. من وجهة نظر ماركس، ثمة فاعل لاي تحول اجتماعي، وان الظرف الذاتي لانجاز ذلك التحول هو وعي ومطلب الفاعل او التغيير و"ذات" منجز التحول او الثورة.

وعليه، من وجهة ماركس، فان العائق الوحيد امام الثورة الاشتراكية هو عدم توفر الاوضاع الذاتية لهذه الثورة، اي عدم استعداد فاعلها، الطبقة العاملة. ان العائق الوحيد امام الثورة الاشتراكية هو التشتت، عدم الوعي ووجود الخرافات البرجوازية داخل صفوف الطبقة العاملة. ان مجمل سياسات البرجوازية تجاه الطبقة العاملة، من بينها القمع، الدين، الحركات والثقافة البرجوازية وغير ذلك، تصب في خدمة ابقاء الطبقة العاملة مشتتة وتبليهاها كي تحول دون تحقيق الثورة الاشتراكية.

وعليه، فان النشاط الشيوعي هو مباشرة نشاط للتغلب على عدم الاستعداد هذا. ينبغي ان لانشك ان مجمل مؤسسة القمع الحكومية، مجمل صناعة الدين، مجمل الاكاديمية البرجوازية والفلسفة والثقافة البرجوازية والرجعية تستخدم ضد هذا النشاط الشيوعي. ان هذا النشاط الشيوعي هو ليس نشاط توعوي، بل نشاط سياسي يقف بوجه مجمل مؤسسة القمع والتبليها البرجوازي. وتستمد مجمل تكتيكات ومجمل الاشكال التنظيمية فلسفتها من هدف هذا النشاط. كي تكون الطبقة العاملة اكثر تنظيمياً، وحدة، وعياً واقتداراً. ان هذه فلسفة كل التكتيكات في النشاط الشيوعي.

## الفصل الرابع - وحدة وفصل ظاهرتين: الطبقة العاملة والمثقفين

### الشيوعيين

للحركة الشيوعيين للطبقة العاملة اساسين وركنين. احدهما اساس موضوعي ومادي نابغ من المكانة الموضوعية للطبقة العاملة في الانتاج، واساس فكري علمي ونظري يتشكل خارج الطبقة العاملة.

ان الاحتجاج التلقائي للطبقة العاملة لايبليغ باحد بصورة تلقائية لنظرية الشيوعية. ان النظرية الشيوعية هي ثمرة اكثر الاشكال العصرية والمتقدمة لنقد المجتمع الراسمالي ومجمل النظريات البرجوازية. ليس بامكان الطبقة العاملة، استنادا الى نفسها فقط عبر تعميم تجربتها اليومية، ان تبلغ هذه النظرية. اذ ليست نظرية ماركس تعميم لتجربة الحركة النقابية. ومثلما يوضح لينين في المصادر الثلاثة والاقسام الثلاثة للماركسية، نظرية ماركس هي نقد اكثر نظريات البرجوازية تقدماً. في تلك المرحلة، كان نقد فلسفة هيكل والمادية الميكانيكية لفيورباخ، نقد الاشتراكية الخيالية، نقد الاقتصاديين البرجوازيين مثل ادم سميث وريكاردو. غدت اليوم فلسفة علم الاقتصاد، الاشتراكية البرجوازية ومجمل منظومة انتاج الخرافات اكثر تقدماً وتعقيداً الى حد كبير من مرحلة ماركس.

ليس بوسع احد ان يرد على هذه النظريات والحركات والخرافات البرجوازية استناداً الى الاسس الطبقيّة او الغريزة الطبقيّة او التجربة اليومية في المعامل والمحلات، او استنادا الى التجربة اليومية للطبقة العاملة، ان يكتب الراسمال، البيان الشيوعي، الايديولوجيا الالمانية، تكتيكان، الامبريالية وغيرها. الابطس من هذا، ان

## مبادئ النشاط الشيوعي

يوضح للطبقة العاملة حتى الحثالة البرجوازي من احمد نجاد وصولاً الى بوش واوباما او الحركات البرجوازية، ويمضي في شن الحرب عليها.

يعد الوعي الشيوعي للطبقة العاملة امراً ممكناً فقط عبر النظرية الشيوعية لماركس. وان كانت هذه النظرية نفسها ثمرة وجود المجتمع الراسمالي، وان اساسها المادي يستمد من وجود الحركة او الغريزة الشيوعية داخل الطبقة العاملة، بيد انها تولد خارج هذه الطبقة. ان النظرية الشيوعية هي من اجل الصراع مع الحركات والنظريات البرجوازية، وهو قسم اساسي من النشاط الشيوعي وضروري للتغلب على الفرقة بين صفوف الطبقة العاملة. ان النظرية-العلم والفكر الشيوعي يستمدان قدرتهما وانسجامهما من الاستناد الى اكثر المكتسبات الفكرية والعملية للانسان. ان الشيوعية علم، وحالها حال سائر العلوم، يعد الالمام بها واستخدامها في المطبات اليومية خارج عن ايدي الطبقة العاملة. وتجعل البرجوازية فقط ذلك القسم وذلك المقدار من العلم والمنجزات الفكرية والمادية للبشرية يمكن ان تتاله الطبقة العاملة فقط لما هو ضروري للعمل باداة الانتاج. الاله من هذا، ان ابعاد الطبقة العاملة عن بلوغ المنجزات الفكرية هو لتامين فعالية الخرافات البرجوازية من الدين الى القومية، ومن الشيوعية البرجوازية الى الليبرالية. بدون نظرية ماركس الشيوعية، يُجعل من امر التحديد السليم والخطيء في السياسة وامام التكتيكات البرجوازية امراً مستحيلاً. مثل ان تنشذ صناعة طيارة دون الالمام بعلم الطيران. او ان تعالج المريض دون معرفة طبية. الماركسية علم تحرر الطبقة العاملة.

لقد ذكرت ان النظرية الشيوعية تصاغ خارج الطبقة العاملة وفي ذلك القسم من المجتمع الذي توفر له مكانته الطبقة امكانية الحصول والالمام بهذه النظرية. وان هذا القسم من المجتمع، قسم المتعلمين الاتين من البرجوازية ذوي الاوضاع الجيدة معيشياً. ان قسم من متعلمي البرجوازية، وفي صيرورة تعميق راديكاليته في خضم الصراعات الفكرية والاجتماعية للمجتمع، يبلغ شيوعية الطبقة العاملة. اذ ينتمي ماركس، انجلز، لينين، تروتسكي، منصور حكمت والاعليية المطلقة من منظري الحركة الشيوعية وتكتيكيتها ومحرضيها الى ذلك القسم من المجتمع. ان هذه الوضعية هي انعكاس للمكانة الاجتماعية والاقتصادية للطبقة العاملة. ولكن بجوار المثقفين الماركسيين، فان قسماً اوسع من المتعلمين في مرحلة من حياتهم يعلنون انفسهم او يعدها تنتمي الى الشيوعية او حركة الطبقة العاملة، سواء جراء تذبذبهم وتيههم او جراء النزعة الثورية، او جراء اوضاع واحوال العالم. ان امراً تعقب تاريخ الحركة القومية في العالم يعلم ان القسم الاعظم من القوميين في الستينات والسبعينات يعلن نفسه اشتراكي او حتى شيوعي.

على اية حال، تَشكّل النشاط الشيوعي، تاريخياً، فقط من اندغام هذين العنصرين، اي القسم الطبيعي العملي للطبقة العاملة والمثقفين الماركسيين، و فقط عبر هذا الاندغام او التمازج تمكن من التشكل. امتزاج الحركة والغريزة الطبقيّة والشيوعية للطبقة العاملة والنظرية التي تصاغ خارجها. ان النشاط الشيوعي بمعناه الماركسي كان دوماً وحدة هاتين الظاهرتين.

وعليه، يواجه النشاط الشيوعي امتزاج هاتين الظاهرتين: ان طبقة ومكانة طبقة في الانتاج يجعلان من الشيوعية ضرورة لها وترتبط بها غريزياً، ومثقفون خارج هذه الطبقة، يكتشفون عبر القناة الفكرية والمنطقية نظريتها ويستخدموها. احدهما تستلزمه حاجته الطبقيّة والاخر مسار منطقته الفكري. ان هاتين الظاهرتين مرتبطين ببعض ويشكلان هوية، حركة، افق، تحرك ونشاط واحد.

ان لهذا الامتزاج شقوقه في الوقت ذاته، وتُدْمَرُ هذه الحركة جراء شقيها هذه مرات وعلى الاغلب، يحرفوها ويعطوها. ان طرف هذا الشق في الطبقة العاملة. ان اساس هذا الشق هو التوهم الذي يرى ان الشيوعية، بوصفها علم، بوصفها امكانية النضال ضد الخرافات البرجوازية بوسعها بصورة تلقائية وعفوية ان تخضر داخل الطبقة العاملة ونشاطها العمليين. ان هذا التيار متخلف ويجعل الشيوعية عملياً بعيدة المنال على الطبقة العاملة.

بيد ان الطرف الاكثر اهمية، وعلى الاغلب الاكثر هلاكاً في هذا الشق، تجده في صف المثقفين. لتوضيح هذا الشق، والذي استناداً الى سمته المثقفية، يجعله اعقد. قبل اي شيء ينبغي ان ندقق بالتفاوت ما بين العامل نفسه والمثقف من وجهة نظر النضال.

بالنسبة للعامل، لا يعد النضال امراً اختيارياً. اما للمثقف، فانه اختيارياً. العامل يشرع بعمله من الصباح، وهو مجبر يومياً على القيام بذلك، وان يتجابه بالنظام الراسمالي. احدهم يريد سلب حقوقه، واخر يريد طرده، احدهم ينشد الغاء ضماناته او رفعها، اخر يبغى رفع وتيرة عمله وزيادة ساعة عمله، احدهم لا يعطيه اجره وغير ذلك. بالنسبة للعامل، يبدأ كل يوم بصراع ونضال ومقاومة. ان الحياة اليومية للعامل ممزوجة بالنضال ولا يمكن فصلها عنه. وان هذا هو الصراع الطبقي. حيث يقول ماركس ان الصراع الطبقي ليس فقط اضراب او النزول للشارع والقاء الهتافات. يتحدث ماركس عن الصراع مستتراً مرة وعلنياً مرة اخرى، حتى التذمر الذي يقوم به العامل تجاه الراسمالي والراسمالية ويقول ان هذا ليس حقي هو جزء من الصراع الطبقي. العامل مثل العبد، يجابه يومياً مالك العبد، وعلى حياته ان تشرع يومياً من جديد عبر العمل لدى مالك العبيد. ما اود قوله ان الحياة اليومية للطبقة العاملة هي هذه. انه ليس مثل الفلاح، حيث يقف لينظر هل يهطل المطر ام لا، او على سبيل المثال ان عمله فصلياً، يناضل فصل لفصل ليجلس يستريح بعدها. ان العامل، وحتى حين يعود لبيته، يديم حياته الانتاجية ويديم نضاله. ان الطبقة العاملة ليس العامل كفرد. ان العائلة العمالية مكان اعادة انتاج قوة عمل وهي جزء من اطار يجعل عملية الاستغلال الراسمالي امراً ممكناً. بالنسبة لطفل الطبقة العاملة، اي الجيل القادم من العمال، ومنذ شروع طفولته، ان مفاهيم مثل البطالة، ساعات العمل، الطرد من العمل، الاجور غير المدفوعة، العمل الاضافي، الراسمال، العامل وفي المطاف الاخير الاحتجاج، الاضراب، عمال المعمل هي مفاهيم مفهومة لديه. يكبر معها. وترى المرأة، ربة البيت في العائلة العمالية، ان عملها ورسالتها تتمثل باعداد وتهيئة الرجل العامل للغد، وتعد الاطفال للعمل في المستقبل ولا تنال اجر عن عملها، ليس هذا وحسب، بل انها ترسف في الاحتقار والقمع. انها حتى تزرع تحت قمع الرجل العامل غير الواعي والساخط على حياته، وتلوته الخرافات التي تنتجها البرجوازية. ورغم هذا كله، تكون مجبرة على الاغلب على ان تعمل هي نفسها. ما اود قوله هو بالنسبة للطبقة العاملة، سواء اكان عامل ام عائلة عمالية، عدم النضال هو ليس اختياراً. ان الطبقة العاملة تعيش مع النضال ضد الراسمال.

الامر ليس كذلك اساساً بالنسبة للمثقف، الذي يتمتع بنشأة برجوازية او بوسعه ان يعمل في المجتمع بوصفه برجوازياً. بوسع المثقف ان يقرر ان لامزاج له للقيام بالامر الفلاني، انسحب من النضال، اغلق محلي اليوم، اخذ اجازة، لا اعمل مدة، الان اقوم بتغيير نمط حياتي، ادرس وغير ذلك. المهم يتمتع بدرجة من الاختيار. ليس بحثي حول ان هذا الاختيار حسناً او سيئاً. ليت للطبقة العاملة هذا الاختيار كذلك، وبوسعها ان تستريح قليلاً. المثقف، البرجوازي الصغير او البرجوازي يؤسس منظمة ولكن بوسعه ان يقول يوماً ما ساعمل بصورة فردية، ساستريح. او اترك النضال اساساً.

ليس بوسع العامل ان يعفي نفسه من النضال ضد البطالة، ليس بوسعه القول: "مع السلامة!"، لا اشارك بعد في النضال من اجل الضمانات، من اجل زيادة الاجور. ليس بوسعه الانسحاب من النشاط الشيوعي او الحزب الشيوعي الذي يقف في مقدمة مثل هذا النضال. ان حياته تتراجع. ان العمل الفكري عمل فردي على الاغلب، وان المثقف بصورة تلقائية او غريزية ينظر للعالم بصورة فردية. بالنسبة للمثقف وحملة الشهادات، الفرد محور كل شيء. انهم بوحدهم يبلغون شيء ما، شيء يخترعوه او ينتجوه. ان صلة المثقف بثمار عمله مثل صلة البرجوازي الصغير بثمار عمله، وان هذه العقلية ذاتها تنتقل الى العمل المنظم والنشاط السياسي ايضاً. بالنسبة للعامل، الحياة والنضال امراً جماعياً، البطولة والانضباط جماعي، التقارب والابتعاد ذا معايير جماعية، اي سواء بصورة عمل جماعي او على شكل نضال جماعي. ان حياة الطبقة العاملة ونضالها اجتماعيان. ان اختلافاتها واحتكاكاتها وتصادماتها وشقوقها تولج النشاط الشيوعي كذلك. ان البرجوازي الصغير والذهنية الفردية تحل ببساطة العصيان الفردي محل النضال الجماعي، تضع البطولة

## مبادئ النشاط الشيوعي

الفردية محل البطولة الجماعية، الانضباط والالتزام في النشاط المنظم هو امر يكبل الايدي. اعلان الموقف محل السعي للاتحاد والانتصار. بالنسبة له الانتصار غير مهم، النضال والبطولة الرومانسية امرأ جذاباً. الاستماتة الفردية وانا الاصل، وعليه تغدو النزعة المغامراتية والفردية محور ومركز كل شيء.

مثلاً ان العامل غير مصان من النزعة المتخلفة المعادية للمثقف، ان المثقف غير مصان تماماً امام هذه التيارات الفردوية، ويدفع على الاغلب الى تشكيل حركات معادية للعمال الى حد بعيد.

على اية حال، ان هذه الشقاق، كلاهما، تضيفان تعقيدات مهمة على النشاط الشيوعي سواء من حيث البعد التنظيمي او البعد السياسي والاجتماعي ينبغي ان تاخذ ردها دوماً وبوعي.

### الفصل الخامس- اي تنظيم يستلزمه النشاط الشيوعي؟

الى هنا تحدثنا عن ان النشاط الشيوعي هو ليس نشاط عاماً وفتياً. انه امر نظري وحركي (من حركة-م). ذكرنا ان الهدف والوسيلة، الاهداف واسلوب العمل ظواهر مندغمة مع بعض ولايمكن وضعها بتناقض مع بعض. ان الهدف والوسيلة، الحركة واسلوب العمل مرتبطين ببعض.

ومثلاً يؤكد البيان الشيوعي، ان النشاط الشيوعي ليس نشاط احادي البعد. ان لهذا النشاط سمات عامة واحدة اشترت لها سابقاً؛ ومع التغير في خصائص المجتمع سواء من حيث الزمان او من الناحية التاريخية والجغرافية لاندحة من ان يكون له سمات خاصة ايضا دون شك. ولهذا، فان موضوعنا يتعلق بالخصائص العامة وخصوصية النشاط الشيوعي في اوائل القرن الحادي والعشرين وفي ايران.

من الواضح ان النشاط الشيوعي هو نشاط يرتبط بالتنظيم؛ وان التنظيم يجد معناه فقط عبر منظمة. وعليه، فان السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: على اي معضلات ينبغي ان يرد النشاط الشيوعي في عالمنا المعاصر، وبأي سمات ينبغي ان يتمتع.

حين تدخل حرباً ما ينبغي عليك اولاً ان تحدد معنى النصر فيها. في الخطوة اللاحقة، ينبغي ان تقيم بصورة صحيحة قواك وقوى العدو، واخيراً، ينبغي ان تحدد تنظيمك وتكتيكاتك في هذه الحرب. ان اي امرء شارك في معركة، صراع او حرب ما يعرف ان اي غموض او ابهام في هذه التكتيكات او تحديدها على شكل مرحلي (اي على شكل مراحل عمليا منقطعة ومنفصلة عن بعض ولايربطها رابط-م) (وفق قول لينين، عبر تكتيك مرحلي او هدف مرحلي او تنظيم مرحلي وغيرها) هو امر مميت وقاتل. برايي، ان هذه التشوشات والابهامات هي مصدر الحاق الهزيمة بنا في الحزب الشيوعي الايراني وكوملة امام الجمهورية الاسلامية حين كانت في اضعف اوضاع النظام.

تحدثنا سابقاً عن اهداف حرب البروليتاريا مع البرجوازية. ان السؤال المطروح هو اي تنظيم نحتاج للنصر في هذه الحرب؟ ليس قصدي من التنظيم هو الترتيبات التنظيمية الادارية والهيكل التنظيمي وضوابطه. الالهام من ذلك هو ينبغي توضيح الامكانات اللازمة في الميادين المختلفة لهذه الحرب. ان كل حرب تشمل، دون شك، جملة من المعارك المختلفة، وان ماينبغي ان ننتبه اليه هو ان الانتصار في معركة ما لايعني الانتصار في الحرب. لهذا، فان تحديد الانتصار في كل معركة ينبغي ان يتضمن صلته في الانتصار بالحرب. اذا حددت المعارك بمعزل عن الحرب، ستصل الى مجموعة من النشاطات المعزولة عن بعض، لاتربطها صلة عضوية وبنبوية ببعض، ولذا تقع في نزعة اكسيونيسنتية (حركية-م). ولهذا فان التنظيم الذي نحدده للنشاط الشيوعي ان يكون قادراً على الانتصار في المعارك وفي الحرب على السواء. لذا، من الواجب ان نحدد بدقة، بالاضافة الى التنظيم بمعناه الفني، ما يخص نجاعته وتأثيره، واسلوب عملنا التنظيمي والعوائق التكتيكية

## كورش مدرسي

والاستراتيجية التي تعترضه؛ ونحدد طرح او خطة عامة لمثل هذا التنظيم بوسعهما ان يلبيا مستلزمات الهدف الاخير للحرب في مرحلتنا. ان الحرب لا تبءء من لحظة انطلاق اول طلقة او ان الحرب لا يمكن تصويرها على انها فقط نشاط وفعالية اللحظة في ميدان المعركة. الحرب مجموعة متنوعة جدا من النشاطات والتفاعلات التي تسبق كثيراً الشروع باطلاق النار، بالاضافة الى ان مصير حرب ما يحدده مجموعة واسعة كثيراً من الاعمال في الجبهة وخارج الجبهة قبل الحرب الاخيرة. التدريب، التحضيرات، معرفة العدو، التكتيك الصحيح و..... غيرها ليست سوى نماذج من هذه التفاعلات.

ان حرب الاطاحة بالبرجوازية هي اعقد من اي حرب اخرى، وان الانتصار فيها هي اكثر لامتناهية (اي لا يشبه الطرفين واساليبهم بعض-م) من اي حرب مألوفة، اي ان الطرفين كلاهما يستخدمان امكانات وادوات مختلفة كلياً. ولهذا، يجب التدقيق والانتباه الى مجمل جوانب هذه الحرب. ان امرء يدعي ان الطبقة العاملة ستنتزل للشوارع في يوم مشمس وترسي حكومتها اما ساذج او انه يسعى الى جر الطبقة العاملة، مغمضة العينين، الى ميدان لانتصار هذا الطرف او ذاك من البرجوازية. ذكرت ان النشاط الشيوعي للطبقة العاملة لانحة له من تنظيم الثورة البروليتارية مسبقاً بصورة واعية وتجلب الحكومة العمالية او ديكتاتورية الطبقة العاملة، اي الاطاحة بكل البرجوازية من كرسي السلطة.

اود ان اشير هنا الى تحريف منظم ورثه اليسار من الحركات البرجوازية. يتمثل التحريف باختزال معنى الاطاحة، من وجهة نظر الطبقة العاملة، الى الاطاحة بالحكومة، الاطاحة ب"النظام"، وحتى بعض الاحيان، بالاطاحة بقسم من النظام او قسم من البرجوازية. من الواضح ان الاطاحة بالبرجوازية يقتضي دون شك الاطاحة بالجمهورية الاسلامية بوصفه شرط مسبق، بيد ان تعريف الثورة البروليتارية بالاطاحة بالجمهورية الاسلامية، يتضمن تصور ان حصيلة هذه الاطاحة هو حكومة اشتراكية. ان الشعبية تحل بهذا الشكل الطبقة العاملة وتنبئها في الحركات البرجوازية الاوسع. حركات يمثل هدفها لا الاطاحة بالبرجوازية، بل الاطاحة بنوع من سلطة البرجوازية وحكومتها. بوسع الطبقة العاملة ان تنتزع السلطة فقط حين تعرف البرجوازية بكامل قيادتها وهيئتها وتعرف نفسها على انها بالصد منها وتعرف حريتها بكل هيئتها ضد الراسمالية كي تتمكن من برمجة وصياغة معاركها، ومن ضمنها معاركها من اجل الحقوق الديمقراطية او حتى المطالب الاقتصادية للطبقة العاملة بدقة.

ان هذا التحريف كان على امتداد التاريخ احد اكثر الادوات تأثيراً في حرف حركة الطبقة العاملة. ان احد اهم اساليب البرجوازية للبقاء على الطبقة العاملة في اطار الحركات البرجوازية هو بالضبط اختزال وتقليل البرجوازية الى النظام او الحكومة السائدة.

ان التيارات الاساسية للبرجوازية تعرف النظام الحاكم بوصفه النظام او الحكومة السائدة. عبر هذه القناة، تتعقب مجمل الاصلاحية البرجوازية، القومية، الشيوعية البرجوازية والشعبوية، الخط ذاته بوصفها خدمة التيارات الاساسية البرجوازية. عبر اختزال النظام الراسمالي الى النظام او الحكومة القائمة، يتخذ الاحتجاج والبيدل السمة غير الاشتراكية نفسها كذلك. تخلي الثورة الاشتراكية مكانها للثورة الشعبية، ثورة الشعب، ثورة انسانية وثورة وطنية وغيرها. وعبر هذا السبيل، يُبئس نضال الطبقة العاملة، ويُختزل النشاط الشيوعي والمنظمة الشيوعية الى نشاط وتنظيم معادي للنظام والنضال الشيوعي الى نضال ما عام. ان صلة المنظمة الشيوعية غير العمالية بالطبقة العاملة هي اما صلة نشاط وتنظيم معادي للنظام بصورة محض، او لاقل ان غياب صلتها الراهن ناجم عن هذا الافق وليس عن الاخطاء التنظيمية او انعدام المعرفة. بل ان اشكال المعرفة هذه هي التي تحدد وتصيغ عملنا. ان تغيير المعارف هو كنه الشيوعية البرجوازية. ان النقطة المشتركة لمجمل التوجهات والحركات البرجوازية هو افراغ الدولة من محتواها الطبقي. ان الحكومة الراسمالية في ايران يتم تفسيرها والتعبير عنها بمفاهيم من مثل النظام الاسلامي، جمهورية اسلامية ليست راسمالية كثيراً، حكومة احمد نجاد، حكومة سارقي النفط وغيرها. وعلى هذا الاساس، يسعى ذلك القسم من

## مبادئ النشاط الشيوعي

البرجوازية الذي هو خارج الحكومة القائمة او الذي يتعقب مصالحه الخاصة امام الاقسام الاخرى من البرجوازية، عبر هذه النظريات والحركات، الى كسب اعراض القوى وبالاخص من الطبقة العاملة، وفي الوقت ذاته يتستر على المحتوى الراسمالي للنظام الحاكم ويخفيه. ان هذا هي بالاخص قسم من هوية حركة حملة الشهادات المحتجين في بلدان مثل ايران. انهم كلهم لايتخطون نطاق التحول البرجوازي، ليس هذا وحسب، بل ان مجمل سعيهم هو ان لايسمحوا للطبقة العاملة ايضاً ان تخرج من هذا النطاق. وتجد انعكاس هذه الحقيقة في منظماتهم المنشودة او المنظمة والحزب والتحزب الذي يوصون به للطبقة العاملة.

اذا كان هدفك الاخير هو الاطاحة بالنظام او الحكومة، بدون اي محتوى طبقي، فانك تحتاج الى نشاط ومنظمة تتناسب وتتطابق مع هذا النشاط. واذا كان الهدف هو الاطاحة بالبرجوازية، بوصفها طبقة على اية هيئة كانت او شكل من اشكال الحكومة، فانه يستلزم نشاط ومنظمة اخرى.

بوسع النشاط الشيوعي والثورة الشيوعية ان يجلبا، في احسن الاحوال، كادحي المدينة وفقرائها واقسام من البرجوازية الصغيرة للطبقة العاملة والثورة البروليتارية. ولكنه الامر واضح ان بقية اقسام المجتمع التي هي اساساً بمكانة ووضع برجوازي (كبير او صغير) سيتصدون بمجمل قدراتهم العملية، الفكرية والدعائية لهذا النشاط وهذه الثورة، وسيرفعون السلاح بوجهها. ان اي توهم بهذا الخصوص هو امر مميت وقاتل. ان حرب البروليتاريا من اجل الاطاحة بالراسمالية هي حرب طبقية اخيرة. ومثلما يتحدث النشيد الاممي، ان هذا الصراع هو اخر الصراعات واكثرها حسماً. انه اخر صراع طبقتين تفقان بوجه بعض. ان الاقسام الدنيا للبرجوازية التي اشرنا اليها تنضم، بدرجة ما، وفي عملية وصرورة ما، بالثورة البروليتارية او تتخذ موقف محايد ينبغي ان لايعطي حقيقة وواقع اساسيين و عموميين ووسع. حين يمضي المجتمع صوب الثورة البروليتارية يستقطب بصورة كبيرة وستقف كل البرجوازية بوجه البروليتاريا. اذا غشا البروليتاريا وهماً بهذا الصدد او ان تكون غير مستعدة تجاهه، سيكون مصيرها الهزيمة دون شك.

يستلزم النشاط الشيوعي تنظيم ومنظمة ترد على هذه الحاجة. ان النشاط والمنظمة التي تسعى لتسلم السلطة عبر التناقض ما بين دولتين، نشاط ومنظمة يعتقدان ان بوسعهم اقامة الثورة البروليتارية "خلف الكواليس" وعبر "الشرطة السياسية" الحركة القومية بصورة مباغته وفورية وبدعم الجماهير، فانهم اما يقوموا بخداع النفس او بالتلاعب بالآخرين وتضليلهم. وعلى الاغلب انه تلاعب وخداع لان الحركات البرجوازية تاريخياً قد "غرسته" في الطبقة العاملة. في السياسة والصراع الطبقي، يقع كل هذا "الذكاء" و"الشيطنة" على راس الطبقة العاملة وحسب.

وكي تتمكن من معرفة القدرات والامكانيات التي تحتاجها منظمة شيوعية، علينا ان نشرع بتبيان وتوضيح قدرات البرجوازية وامكانياتها. لنرى ماهي الادوات الاساسية التي تتمتع بها البرجوازية، وبأي قدرات وامكانيات تتمتع الطبقة العاملة وكيف يمكن عبر الاستفادة من هذه الامكانيات ان تمضي لحرب البرجوازية والحق الهزيمة بها. ساخص الفصلين المقبلين لهذا الموضوع، وانا تناول بعدها السمات التنظيمية اللازمة لنشاط شيوعي.

## الفصل السادس-امكانيات البرجوازية

سأشرع بدءاً بالحديث عن امكانيات البرجوازية لمجابهة النشاط الشيوعي. تشن البرجوازية حملتها على الطبقة العاملة عبر ادوات متنوعة كثيرة، وتسعى الى التضييق على النشاط الشيوعي او تجعله امراً مستحيلاً. ثمة مشكلة الا وهي ان اغلبية اليسار وبعض الناشطين الشيوعيين يرون ادوات البرجوازية على الاغلب بشكل يقتصر على القمع والاستبداد. ولهذا يظنون، من جهة، بانه ما ان يزول القمع، يغدو النشاط الشيوعي اسلس وابسط واكثر مباشرة، ومن جهة اخرى، وعبر عدم رؤية كل الادوات الاخرى للبرجوازية التي هي على الاغلب ان لم تكن بقدر القمع تأثيراً، فانها ليست اقل تأثيراً، وبالتالي، يخسرون الحرب مع البرجوازية. من المؤكد ان القمع هو اهم ادوات البرجوازية. بيد ان قصر ادوات البرجوازية على القمع يخلق "معضلتين".

## كورس مدرسي

اولاً، لا يمكن توضيح مسألة ان في البلدان الراسمالية التي تتمتع بحريات ديمقراطية، فان الطبقة العاملة مشتتة وان الثورة الاشتراكية خارج ايديها. ثانياً، ان مثل هذا الفهم يقصر نضال الطبقة العاملة والنشاط الشيوعي في اطار النضال الديمقراطي، ويضعهما في خدمة التيارات البرجوازية الاصلاحية او الشيوعية البرجوازية، الشعبوية وغيرها.

وعليه، نسعى هنا ان نشير الى اهم ادوات البرجوازية. ونظراً لمحدويات الوقت لانستطيع ان نشير الى مجمل امكانات البرجوازية، ولكننا نشير الى اهمها.

من بين امكانيات البرجوازية وادواتها نشير الى ثلاث مجاميع من هذه الامكانيات التي تبقى على تبعثر وغياب الوعي لدى الطبقة العاملة، وعلى النشاط الشيوعي احباط اثرها. ان هذه المجاميع الثلاثة هي:

- امكانات الدولة
  - الامكانات غير الحكومية وما فوق قانونية
  - الثقافة، الافق، الاحزاب، الحركات والاهداف
- من المؤكد ان هذه المجاميع الثلاثة مرتبطة ومندمجة مع بعض. ولكن فصلها عن بعض يساعد على توضيح جوانب مهمة من نشاط ينبغي تنظيمه.

### 1- امكانيات الدولة

ان اول مجموعة ينبغي رؤيتها هي في اطار الدولة. ان الدول اداة قمع. يواجه اي نشاط شيوعي او عمالي في الخطوة الاولى العوائق التي تضعها الدولة امامهما. ان اهم هذه العوائق هي القوانين التي تدافع عن ملكية وسائل الانتاج، وعن التضيق على مدى ونطاق عمل التنظيم والنضال العمالي. ان سند ودعم هذه القوانين هي القوة القسرية والقمعية للدولة. ان هذه القوانين لا يمكن تطبيقها دون هذه القوة. ان هذا امر يعرفه اي عامل واسباساً اي فرد في المجتمع.

القانون في مجمل العالم هو: الملكية الفردية لوسائل الانتاج امراً مقدساً، استغلال العامل هو امر قانوني. وطبقاً للاعراف العامة في المجتمع، للراسمالي حق الربح، واذا لم يربح بوسعه اغلاق المعمل وطرده العمال. ان اي نشاط يتناقض مع هذه القوانين، اي ان اي نضال يومي للطبقة العاملة التي تجابه دوماً هذه القوانين او تكون مبعث حملة العمال وهجومهم، سيجابه بالقوة القمعية للدولة.

الاكثر من هذا، ان البرجوازية دائماً، وباشكال متنوعة، هي في حالة استباق للنشاط العمالي والشيوعي وفي صراع دائم للحيلولة دون تشكل هذه النضالات والتشكيلات. فالنشاط الشيوعي والناشط الشيوعي في حالة مجابهة دائمة مع مؤسسات الدولة والشرطة، تحت اعينها وعند الضرورة يكونا عرضة لحملة مباشرة. ان اي نشاط يوحد الطبقة العاملة، اي يعرض طبقاً للتعريف اركان ربح الراسمال، يجابه برد فعل الدولة. الشرطة، القوة القضائية، قوة القانون، وعند الضرورة، الجيش وسائر القوى المسلحة للدولة. القمع، المطاردة والتعقيب، تحديد الاشخاص والامور، ترهيب النشاط الشيوعي هي اساس القضية. ينبغي على النشاط الشيوعي ان يكون قادراً على ان يديم ويواصل عمله بمجابهة هذه المنظومة ويلحق الهزيمة بها.

### 2- الامكانيات ما فوق القانونية وغير الحكومية

زد على الامكانيات القانونية والحكومية، تتمتع البرجوازية دوماً بطيف واسع من الامكانيات ما فوق القانونية. بيد ان هذه الامكانيات اتخذت ابعاد واسعة جداً اليوم. فبالاضافة الى الجماعات ما فوق القانونية من مثل قوات البسيسج وحزب الله وانصار الله وغيرها، نواجه بطيف واسع من الاحزاب البرجوازية المسلحة التي تبدو في المعارضة، ولكنها على استعداد، اذا ماتمكنت، ان تجابه النشاط الشيوعي بحملة نظامية وترهيبية من قبل



## مبادئ النشاط الشيوعي

العصابات المنتمية لها. ان هذه تشمل من الاحزاب الدينية الى القومية.

ان هذه الظاهرة لا تقتصر على ايران، ففي العديد من بلدان العالم، فان شرطة متقاعدين او ماجورين منظمة على هيئة جماعات مسلحة وتدافع عن مصلحة البرجوازية. في امريكا، يكون عادة العمال الشيوعيين عرضة لقمع وطرد وارهاب الشرطة الخاصة للبرجوازية. في البرازيل، لازال رجال الشرطة المتقاعدين او المستقيلين والماجورين يستخدمهم الراسماليون لقتل اطفال الشوارع عديمي المعيل والمأوى، يقمعون الاحتجاجات العمالية ويغتالوا الناشطين الشيوعيين ذوي النفوذ داخل الطبقة العاملة.

ما اريد قوله هو اننا لانواجه الجماعات المسلحة الحكومية فقط. ان الراسماليين او الاحزاب والتيارات البرجوازية والدينية تشكل نفسها جماعاتها وعصاباتا. يستفادون من المنظمات التي لديها قوى مسلحة، من المافيات الى التيارات القومية التي، بالاضافة الى الدعاية و اشاعة الخرافات الدينية والقومية والسياسية، تسعى الى ارهاب العامل والناشط الشيوعي للطبقة العاملة، وبالاخص حيث يناضلان ضد هذه الخرافات، وان يدمروا تنظيمهم وغير ذلك. ان نماذج ممارسات الحزب الديمقراطي الكردستاني في ايران بوجه الحزب الشيوعي واحزاب اليسار، نماذج ممارسات السلفيين وقوى من مثل حماس وحزب الله وغيرها هي فقط غيض من فيض النماذج الموجودة. على النشاط الشيوعي، الزاماً، ان يضع بالحسبان هذه الظاهرة التي اتسعت في قرننا بصورة لامثيل لها، وان يشكل مقابلها قدرة الدفاع عن نفسه.

### 3- الثقافة، الدين، الحركات والافاق، الاعلام والاكاديميا

بيد ان اهم اداة مؤثرة بيد البرجوازية لاختضاع الطبقة العاملة، واهم من القمع، منظومة هائلة لانتاج الخرافة سواء اكانت سياسية، اقتصادية، دينية، قومية، جنسية وغيرها. ان الدولة البرجوازية تديم عمرها استناداً الى الفرقة داخل الطبقة العاملة. وان اهم سمة للخرافات هي صيانة وتامين هذه الفرقة داخل صفوف الطبقة العاملة. ان اهمية النضال ضد هذه الخرافات لا يتمثل بالرد العلمي عليها صرفاً، بل في نضالنا مع انفسنا تجاه ماتبته من فرقة في صفوف الطبقة العاملة.

ان صناعة الدين، صناعة القومية، مؤسسة انتاج واعادة انتاج الثقافة البرجوازية السائدة، الافكار، الثقافة، الاعلام والاكاديميين المنهمكين بـ"قلب الحقائق"، النظريات والعقائد التي تبرر للنظام القائم التي يروج لها صباح مساء عبر التلفاز ووسائل الاعلام، المدارس والتربية والتعليم، عبر الثقافة السائدة، عبر خلق الاساطير، الابطال واللا ابطال، القيم واللاقيم، عبر صياغة النظريات السياسية والفلسفية والاقتصادية، ينتجها لكي يمرروا عالماً مقلوباً على المجتمع وبالاخص الطبقة العاملة. عالم تقبل فيه الطبقة العاملة ان قانون العالم هو هذا بالاساس، وان تبقى مبعثرة كطبقة امام البرجوازية.

في عالمنا، ومنذ اليوم الاول الذي يولد فيه الانسان، تعمل عليه هذه المنظومة الهائلة لغسل الدماغ. لو انك تقوم بالف دعاية شيوعية لطفلك، فانه ياخذ بدءاً معلّم الحسن والسيء من المجتمع ومن الثقافة السائدة في المجتمع ومن التلفاز والاطراف المحيطة به.

الاعلام والصحافة ومنظومة الترفيه والشهرة والاستعراض، الاثراء والنجاح قد هيمنت على عالمنا المعاصر. ففيما يخص تبليبه البشر، فان الصحافة تلعب الدور ذاته الذي قامت به الكنيسة في اوج العصر المظلم للقرون الوسطى. اذ تنقل اليوم بي بي سي وسي ان ان وقناة سكاي وشبكات التلفاز المختلفة كل شيء في عالمنا هذا بصورة مباشرة وحية وبتحليل وتوضيح مبرمج للصحافة الخائعة والدليلة الى بيتك وتلقته لك ولطفالك. لم يكن الوضع كذلك في مرحلة ماركس ولينين وحتى اواخر القرن العشرين.

تتمتع البرجوازية اليوم اكثر من اي وقت مضى بمؤسسة هائلة لانتاج الخرافات وتبليبه الناس بحيث لا تحتاج

## كورس مدرسي

الى القمع المباشر على الاغلب. التربية والتعليم، المدارس والجامعات وقبل ان تكون مراكز لانتاج الفكر، فانها مؤسسات لانتاج الاوهام والخرافة. والى الحد الذي تحتاج فيه البرجوازية الى العلم بمعناه الفيزيقي في عملية الانتاج الراسمالي، فان مصلحتها تستلزم ان تبقى موضوعية. ولكن بمحض ما تبلغ ميدان المجتمع، تكون المنظومة كلها مؤسسة لانتاج الخرافة والاهوام، مؤسسة يؤمل منها قبولية النظام القائم. مثلاً، مديرية تدرسكم في الجامعة استناداً الى فرضية "بديهية"، وهي ان احد يعمل لدى الاخر، وان ذلك الشخص يؤمن معيشته عبر هذه القناة؛ وان الاجر ونيل الاجر اساس حقيقة عالمية. تنشأ وتترعرع امام انواع واشكال من هذه الحقائق.

اذا سألت اي امرء يدرس في مدرسة او جامعة هل ان نيل الاجر واعطاء الاجر هو امر طبيعي ام لا؟ لاحظ ماهي النسبة المئوية التي تقول: حسناً، انه الامر معروف ان الانسان يعمل، وفي المطاف الاخير، وينال اجرا واخر يعطي اجراً. ان الانسان في المجتمع البرجوازي يعتبر وبصورة طبيعية هذا امراً طبيعياً ولا يحتاج الى سؤال اساساً. لا يعتبر المجتمع الاستغلال امراً سخيلاً. الدين كذلك هو خالق مبررات الحقيقة ذاتها وتزيق لنسيانها. ان نظام المدرسة ونظام المسجد، نظام الجامعات والحوزة العملية هي اشكال مختلفة لآلية التبليه. لا يُرد على هذه المنظومة بالنشاط الصحفي ونشر الحقائق الشيوعية. ومن ضمن انه ينبغي عليه ان يستفاد من هذه الآليات، يستلزم النشاط الشيوعي سبيل عمل والياته الخاصة به.

انه حكم المادية التاريخية لماركس الذي يقول "الثقافة السائدة في المجتمع هي ثقافة الطبقة السائدة على المجتمع". وعليه، فان ما يتم تفديسه بوصفه ثقافة الجماهير، ثقافة الشعب، هو ليس شيئاً سوى التعبير عن احساسات واشكال فهم وقيم في اطار ثقافة الطبقة الحاكمة. وحتى اكثر الصلات خصوصية بين الناس، مثل صلة المرأة والرجل، التعامل مع الاطفال، التطلع من الحياة هو امراً تابعاً لثقافة الطبقة السائدة في المجتمع. وان هذه الثقافة تعيد انتاجها بصورة منظمة المؤسسة البرجوازية الهائلة، بالدولة والحركات السياسية والاجتماعية والحركات الفنية والفكرية. وتعتبرها المنظومة الانتاجية للمجتمع امراً طبيعياً. ونظراً لامكانياتها المحدودة في الحصول على المكاسب الفكرية والثقافية والعلمية للمجتمع، تبقى الطبقات الكادحة للمجتمع عادة في اوضاع اكثر تخلفاً. ويعاد انتاج هذه الثقافة في المجتمع بصورة منتظمة من قبل مجمل الاعلام، الدولة، الدين، الجامعات، الحركات القومية والتيارات البرجوازية الاخرى، واخيراً التربية والتعليم وتضعها امام المجتمع ككل بوصفها بديهيات. ان هذه المؤسسة الضخمة هي بهدف اقناع العامل والكادح ان تغيير العالم هو فقط في اطار هذه المعطيات "الطبيعية".

اليوم في اوربا، وفي بعض الاحيان في العالم كله، يُمتلئ سبيل السعادة بان تكون معروفاً، مطرباً، لاعب كرة قدم او فنان. اليوم، وحتى مثل المرحلة السابقة للمجتمع البرجوازي لا يُقتدى بشخص يكتشف علاجاً للسرطان، او شخص ذا فائدة للمجتمع او اشياء من هذا القبيل. اذ يتم تعقب السعادة علنياً خارج العلاقات الانتاجية للمجتمع.

ان الاتحاد الداخلي للطبقة العاملة والنضال ضد التشرذم والفرقة التي يعيد انتاجها مجمل هذا النظام تحول الى امر نضالي سياسي معقد، وهو امر ممكن فقط عبر وضوح الرؤية الماركسية و اطلاق المحك الطبقي على كل شيء. في هذا السياق، تجعل هذه المنظومة النشاط الشيوعي عرضة للهجوم والحملات كي تؤمن تشرذم الطبقة العاملة وسلطة طبقة الراسمال.

ان التحرر التام للمجتمع، ومن ضمنه تحرر الطبقة العاملة، منوط بزوال الصلة الانتاجية التي تجعل هذه الثقافة وهذه القيم امراً ضرورياً وتعيد انتاجهما. سنوضح في مكان اخر كيف ان بوسع الطبقة العاملة، في خضم نضالها اليومي، تجد البرجوازية وجها لوجه معها باوجه واشكال مختلفة، ان تخلص نفسها من هذه المنظومة.

## مبادئ النشاط الشيوعي

من هذا الجانب، ومن هذه الزاوية، على النضال المناهض للدين، النضال ضد اضطهاد المرأة، النضال ضد القومية، النضال ضد مجمل اوجه الثقافة السائدة التي تضيق الخناق وتشوش الاتحاد الشامل، العام والطبقي للطبقة العاملة، وبالاخص ناشطيتها وقادتها، ينبغي المضي ابعدها من النقد المنطقي، الانساني والديمقراطي، وان ترتقي الى نقد اشتراكي، ان الصلة بينها هو انتاج واعادة الانتاج الراسمالي وتأمين تشرذم الطبقة العاملة. ان النشاط الاقتصادي ليس موضوعا يتعلق بالاجر والنضال الاقتصادي فحسب، بل ان النشاط الشيوعي يجعل من هذا النضال اساس لفرض التراجع على كل هذه الخرافة. تستند درجة الاتحاد الداخلي للطبقة العاملة بصورة مباشرة بدرجة وعيها بالسمة الطبقيّة للثقافة السائدة.

ان فرق الطبقة العاملة عن سائر الكادحين والمحرومين يتمثل بان هذه الطبقة تتجابه في كل لحظة من حياتها بالنظام السائد، تتجابه بحقيقة عماليتها وبرجوازية الطرف المقابل، وتجربهما. ان حقيقة دورها الجمعي في الانتاج وحقيقة نضالها اليومي يوفران الاساس المادي لفرض التراجع على الثقافة البرجوازية. ان هذا الواضع لا يتمتع به الفلاح ولا البرجوازي الصغير حتى ..... اذا اراد العامل تحسين حياته، ان يرفع من اجره وغير ذلك ان يقول ان هذا ليس حق، الاستغلال ليس نصيبى، الاستغلال ليس نصيب اي احد. ساتناول هذا لاحقاً. اود ان اؤكد هنا ان ليس بوسع النشاط الشيوعي ان لا يولي بالاً لهذه الجوانب، وان لا يفتح ميداناً واسعاً ضد البرجوازية، وان لا يعد هذا جزء لا يتجزء من نضاله.

وعليه، يعود النشاط الشيوعي الى امر هو يجب ان لا تكون قادراً على الرد على الشرطة والمؤسسة القمعية للبرجوازية، بل ان تنقد الثقافة والسياسة الحاكمة، ان ترد على الجامعة والمدرسة، ترد على الدين، وعلى الصحافة الخانعة الدليلة ليس من زاوية المنطق والحجج والبراهين والنزعة الانسانية، بل من زاوية المصلحة المباشرة للبرجوازية والطبقة العاملة. وان هذا ليس نشاطاً توضيحياً (توضيح الحقائق والامور-م). انه حرب. حرب على جميع الاصعدة، على صعيد المعمل، في المحلة وفي ميدان سيادة افكارها وتصوراتها على اذهان الطبقة العاملة وبالاخص طليعيها وقادتها وناشطها.

اذا كانت الثورة الاشتراكية ثورة واعية ومبرمجة، واذا كان العائق امام هذه الثورة هو العامل الذاتي واستعداد فاعل هذه القضية، عندها الحرب من زاوية المصلحة اليومية للطبقة العاملة مع هذا النظام هو جزء لا يتجزء من النشاط الشيوعي.

## الفصل السابع- امكانيات الطبقة العاملة

تحدثنا، في القسم السابق، عن امكانيات البرجوازية التي تبدوا مرعبة جداً. حين ننظر الى البرجوازية، نجد كل هذه الامكانيات الهائلة التي تتمتع بها؛ دولة، برلمان، قانون، محاكم، معتقلات، وزارة استخبارات، جوامع، كنائس، قساوسة وملالي، ايات الله، حماس، حزب الله، فاشيين ولبيراليين وكل انواع الناس والمؤسسات. كما ذكرنا ان النشاط الشيوعي لا يبلغ غايته دون حساب امكانيات العدو. في الموضوع السابق، تركز الموضوع حول امكانيات العدو، امكانيات البرجوازية لقمع النضال الطبقي للطبقة العاملة، سواء من حيث ابعاد القمع الفيزيقي او من حيث ميدان مؤسستها التبليغية.

السؤال المطروح هو: ماهي امكانيات الطبقة العاملة والنشاط الشيوعي بوجه هذه الامكانيات الهائلة للبرجوازية؟ على اي شيء وعلى اي اليات بوسعهما وبمقدورهما الاتكاء؟ في الحقيقة، و امام هذه الامكانيات الهائلة للبرجوازية، الطبقة العاملة كذلك تتمتع بامكانيات هائلة، من نوع اخر. على الطبقة العاملة ان يكون لديها امكانيات مماثلة لامكانيات البرجوازية مثل جرائد، وسائل اعلام جماعية، امكانيات انترنيتية وغيرها. ولكن حتى لو استخدمت كل هذه، فانه ليس بوسعها ان يكون في متناولها واحد من مليون من امكانيات البرجوازية. اذا نظرنا للامر من زاوية اخرى، فان امكانيات الطبقة العاملة وامكانيات النشاط الشيوعي هي

هائلة و البرجوازية عاجزة عن مجابتهها. اذا عرفنا المجتمع البرجوازي، اذا عرفنا ان هذه الحرب هي حرب غير متماثلة، اي ان كل طرف يدخل بأسلحته الخاصة، ليس بوسع الطبقة العاملة والنشاط الشيوعي الانتصار في المنافسة والسباق مع البرجوازية والتيارات البرجوازية.

لتسليط الضوء على هذه الامكانيات، يمكن ربما تصنيف امكانيات الطبقة العاملة بالشكل التالي:

### 1- تنظيم الانتاج

لنبين اهمية تنظيم الانتاج في نضال الطبقة العاملة، قد لا يكون امراً ضاراً ان ننظر بدقة الى طبقة اخرى مثلاً؟ اذا كنت برجوازي صغير، لا تتمتع في الحياة الواقعية بمكانة مناسبة لمجابهة البرجوازية. ماذا تعمل؟ تغلق دكانك؟ سيكون الامر ان دكاناً قد اغلق، لا اكثر. اغلق دكانين او عشرة! وماذا بعد؟! في الحقيقة ان البرجوازية الصغيرة هي جمع متذمر (من ذرات-م) وفردية. وان كل شخص يوجد بصورة فردية في عملية الانتاج او التوزيع تكون قدرة مجابته الجمعية للنظام ضعيفة. لا يمكن للمزارع او الفلاح وحتى الموظفين ان يقوموا بهذا العمل. فمن الناحية الذاتية، ومن ناحية المكانة الموضوعية في تنظيم الانتاج، اذا لم يكن هذا مستحيلاً، فانه امراً غير محتمل الى حد كبير. يستحيل على الفلاح والبرجوازي الصغير ان يوقفا عجلات المجتمع. ليس الطلبة ايضاً بقادرين على القيام بذلك العمل. ليس بوسع اي قسم في المجتمع ايقاف عجلات المجتمع بهذه الصورة المباشرة والبسيطة، وحتى البرجوازي الصغير بهيئته تلك هو عاجز عن ان يقوم بهذا العمل. يكفي في بلد مثل ايران ان يسحب عمال النفط والكهرباء ايديهم من العمل. ستنتشل ماكنة القمع الهائلة للبرجوازية. ليس للدرجات النارية لجماعات البسيج (قوات مليشيايية تابعة للنظام-م) بنزين، ليس بوسعهم اخراج سياراتهم من مرآبها، سنكف دباباتهم عن الحركة، ولا تنتج حتى تجهيزاتهم ومعداتهم كذلك. من الواضح ان لديهم احتياطي، الا انه يُصرف كذلك. وبعدها لا يبقى لديهم شيء. او لنفترض ان عمال شركة واحدة للسيارات قد قرروا يوماً ما ان يتوقفوا عن العمل، لو نفترض ان يوماً ما في طهران يتوقف عمال الحافلات والمetro عن العمل ولا يذهبوا للعمل، ستنتشل المدينة، سيعم حد من ازدهام واكتضاض مروري، وحد من الشلل يعم كل شيء، بحيث لا تبقى امكانية لذهاب احد للمدرسة، ولا للعمل ولا تسير الحياة في ذلك المجتمع اساساً. ان هذه هي القدرة الهائلة التي تتمتع بها الطبقة العاملة، وان هذه القدرة الهائلة التي لاتدرکها الحركات الاخرى، وبالاخص الحركات البرجوازية الصغيرة.

ولهذا، يصعب على البرجوازي الصغير الذي يتمثل اقتداره في بطولته وامكانيته الفردية، ان يفهم ان يتمكن العمال الذين هم بدرجة من النحافة، و لم ياكلوا وجبة غذاء بصورة كافية طيلة حياتهم، ناهيك عن انهم، من الناحية الفردية، هم اقل بطولة من البرجوازي الصغير، ان يوقفوا حركة المجتمع بعمل جماعي بطولي ومشارك.

ان هذه القدرة لهي هائلة. ان العامل الذي تنشد ان يتصدى للبرجوازية استناداً الى هذه القدرة، اي استناداً الى واقع عماليته في المجتمع، في تنظيم الانتاج، وليس في الشوارع، بوسعه ان يتصدى للبرجوازية، وان ينظم النشاط الشيوعي. لا يمكن لتنظيم هو اطار تحقيق نشاط شيوعي يستند الى الحياة والشبكات الراهنة في حياة الطبقة العاملة ونضالها، ان لا يكون جزء مندغم ولا يتجزأ عنهما.

ليس للنضال الشيوعي المعزول والمنفصل عن هذا الوجود الموضوعي معنى او قيمة. لا يمكن للنشاط الشيوعي ان يكون منفصلاً عن تفاصيل ودقائق الحياة اليومية للطبقة العاملة. وحتى لو كان المحيط الطلابي والمحيط الفلاحي اكثر عددياً من العمال، فلا يمكن لهما ضمان وتامين ذلك، اي الاقتدار. ليس العامل بعده، بل بدوره في تنظيم الانتاج في المجتمع. ان اقتدار العامل في الشارع هو فقط في حالات معينة، تتحدد على الاغلب في عملية ثورية، هذا اذا كان للعامل، قبل ذلك، تنظيمه الشيوعي في تنظيم الانتاج، بوسعه الاستفادة من الشارع وان لا يتحول الى اطار دفع امال الحركات الاخرى.

## مبادئ النشاط الشيوعي

من الطبيعي ان على الطبقة العاملة، وفي مقدمة الجماهير الكادحة العريضة، ان تحطم الجيش، قوى القمع ومؤسسة الدولة البرجوازية، وان هذا ممكناً في الشارع وفي خندق الثورة. ولكن الشرط المسبق لهذه الامكانية وهذه اللحظة من نضال الطبقة العاملة هو ان يتمكن العامل من شل البرجوازية ومؤسستها القمعية وجيشها. بايقاف صنابير النفط، بقطع التيار الكهربائي، باغلاق الشوارع، كي تحول هذه الامور دون استعادة البرجوازية من هذه الامكانيات التي تعتمد على الطبقة العاملة، وان تشمل الطائرات عن الاقلاع، عبر تعطيل المطارات وتوقف عمال المطارات عن العمل، وعدم فسخ المجال امام اقلاع الطائرات الحربية، او اذا اقلعت عشرة منها، تبقى المئات جاثمة على الارض.

ما اود قوله هو انه اذا نظرتم الى هذا الافق، سترون عندها ان الطبقة العاملة تتمتع بحد من ترسانة الاقتدار تبهت مجمل امكانيات البرجوازية امامها. ان اقتدار وقدرة الطبقة العاملة لاينضب. تترك البرجوازية من زاوية مصالحها الطبقيّة، والبرجوازية الصغيرة من زاوية عدم فهمها الطبقي، ومجمل الايديولوجية والحركات البرجوازية ومجمل مؤسسة التبليه البرجوازية، التي تحدثت عنها، ضرورة ابعاد الطبقة العاملة من اداة قدرتها هذه، ابعاد ذهنها عن الاهمية الحياتية والمماتية لدور تنظيم الطبقة العاملة بوصفها طبقة في رحم تنظيم انتاج المجتمع. احدها عبر حرمانها من الاستفادة من مكانها الانتاجي، اي الاضراب، باعلان ممنوعة الاضراب، فيما يسعى الاخر لاقتناع الطبقة العاملة ان بوسعها فقط في الشارع او اساساً عبر النضال المسلح ان تطيح بالبرجوازية، اي يجب اتباع الاسلوب الجيفاري او اسلوب القومية الكردية (النضال المسلح-م).

تعد البرجوازية ايقاف العمال للعمل اكبر جرماً، وتعلن عن ممنوعة اي حركة ومنظمة عمالية بحاجة الى هذه الاداة. ليس للبرجوازية الصغيرة والحركات البرجوازية اساساً صلة وانتماء لهذه المكانة الانتاجية، ويعتبران امراً غير ضرورياً ان يدرجاها (اي المكانة الانتاجية-م) ضمن استراتيجيتهم. في الحقيقة ان النشاط الشيوعي الذي لايستند اساسه الى تنظيم الطبقة العاملة في الانتاج ليس بوسعه الانتصار في الحرب على البرجوازية مهما ابدى من بطولة وتفاني. لايمكن للمنظمة الشيوعية ان تنتصر عبر اللعب على حبل الشق والخلاف بين الدول او بالاستناد الى البطولة الفردية او عبر التوهم بان بوسعها في عالم النضال الطبقي ان تنتصر عبر "المراوغة".

بوسع اولئك الذي يتذكرون الحزب الشيوعي الايراني وحزب كومه له (منظمة كردستان للحزب الشيوعي الايراني-م) والحزب الديمقراطي الكردستاني (حزب برجوازي قومي كردي-م) ان يتصوروا لو ان الحزب الشيوعي في وقته كان يتمتع بمثل هذه السمة الاساسية لمنظمة شيوعية عمالية، لو استطعنا ايقاف مجتمع كردستان احتجاجاً على الحزب الديمقراطي، لتواري الحزب الديمقراطي، اذا لم يكن من الناحية العسكرية، فمن الناحية الايديولوجية، السياسية والحركة، لانفجر من داخله. عندها لما بلغ الامر بان يُقتل قسم من افضل شيوعي كردستان على ايدي البرجوازية الكردية.

ان الية دفاع وحملة منظمة شيوعية للطبقة العاملة تختلف عن الية حملة ودفاع البرجوازية. انها حرب غير متماتلة. ليس بوسع الطبقة العاملة ان تنتصر عبر المنافسة مع المنظمات والاحزاب البرجوازية في ميدانها. ومهما تقوم البرجوازية من قمع الطبقة العاملة، لاتقدر ان تحلّ او تصفي العامل المنظم حول الانتاج او التوزيع. ان هذا العمل يحل البرجوازية ويصفيها. يكمن سحر قدرة وقوة الطبقة العاملة في ان البرجوازية في عملية توسيع ارباحها، في عملية توسع الراسمال، تزيد من الطبقة العاملة وقدرة الطبقة العاملة في تنظيم الانتاج بصورة مستمرة.

وعليه من الواضح انه حين تشن حرباً فان كل طرف، ومن جملة ذلك الطبقة العاملة، لاندحة له من ان يشارك بهذه الحرب باي وسيلة بيده. يتعلق الامر باي اداة يمكن للطبقة العاملة ان تهزم البرجوازية في حرب مثل

هذه؟ لا يتعلق الامر بعدم وجود منظمة شيوعية تجذرت في رحم الصلات الانتاجية للمجتمع، فان ذلك لا يبقى للطبقة العاملة حظواً تذكر. ان منظمة شيوعية في رحم الصلات الانتاجية للمجتمع هي اكبر امكانية واداة اقتدار للطبقة العاملة. ان هذه الصلات اهم واكثر اركان النشاط الشيوعية اساسية ومحورية. صحيح ان النشاط الشيوعي عبارة عن نشاط احد التيارات داخل الطبقة العاملة، وبالتالي يتعلق بالمجتمع كله، ولكن ينبغي ان يكون اساسه داخل الطبقة العاملة. ان اساس اقتدار و اساس عمل المنظمة الشيوعية هو خلف عجلة انتاج المجتمع. يمكن لهذه القدرة وينبغي ان تلقي بضلالها وتنعكس على المجتمع قاطبة، ومنه في الشارع.

ان الشارع وماريس الانتفاضة تحسم دون شك مسالة مصير السلطة السياسية. اذ تندلع الانتفاضة في الشارع وليس خلف عجلة المعمل. يُطاح بالبرجوازية عبر الاعمال العنيفة للطبقة العاملة، الانتفاضة، وليس عبر الاضراب. ولكن طبقة الشيوعية العمالية تنتصر في هذه الحرب بشرط ان تنتظم وتتوحد في رحم تنظيم انتاج المجتمع وتكون قد اضعفت العدو الى حد كبير. بخلاف هذا، حتى اذا حققت الثورة الهزيمة بالبرجوازية بهيئة النظام الحاكم، ففي الميدان الاكثر عمومية للمجتمع، فان الحرب قد ال نصرها لقسم اخر من البرجوازية. ان التقاليد والحركات البرجوازية، وطبقاً لسمتهما ومكانتهما وتجربتهما الطبقية، لاتدركان ولاتعتقدان بقدرة الطبقة العاملة. ان القسم الاكبر من مؤسسة التبليغ البرجوازي تدرك ان ادراك الطبقة العاملة لهذه القدرة والاقتدار هو هش وعرضة للضربة.

وعليه فان جواب سؤال ماهي امكانيات الطبقة العاملة بوجه البرجوازية؟ ينبغي القول، في الوهلة الاولى، التنظيم الانتاجي للمجتمع. اذ تحيي البرجوازية على التنظيم الجمعي والعام للطبقة العاملة من اجل الانتاج او التوزيع. العامل مندغم في اطار العلاقات الانتاجية، وهو الامر الذي لاتتمتع به اي طبقة اخرى، وان البرجوازية ليست قادرة على انهاء ذلك، ليس هذا وحسب، بل تُمحي بدونه. انه كعب اخيل البرجوازية. ولهذا، لايمكن للنشاط الشيوعي ان لايستند على تنظيم انتاج الطبقة العاملة. لايمكن لحزب شيوعي ان لا يكون مركز اقتداره البروليتاريا الصناعية، وان يكون مرتبطاً اساساً بالجامعة والمدرسة او الفلاحين او الحركات العامة.

لقد ذكرت ان على حزب شيوعي ان يكون مقتدراً في الجامعة وبين الفلاحين وفي جميع اشكال الحركات الداعية للحقوق. لايتعلق الموضوع بعدم ايلاء الاهمية لها. ينبغي ان تكون مقتدراً في مجمل الميادين السياسية والاجتماعية، وينبغي ان يرتهن كل احتجاج تحرري مساواتي في المجتمع بالنشاط والتنظيم الشيوعي، ولكن ينبغي الانتباه ان المنظمة التي لاتستند الى تنظيم انتاج الطبقة العاملة، هي ليست منظمة عمالية، ولاشيوعية، ولو حتى كانت منظمة خيرية اشتراكية، فان حظها ببلوغ ذلك هو امنية. يجمعها، يلحقون بها الهزيمة ولا تتمتع حتى بنيل المطالب الرفاهية. لايمكن لنا ان ندخل حرباً ميدانها الاساسي هو ليس الميدان الاساسي لقوتنا وقدرتنا. ان الصراع المسلح مع البرجوازية، بصورة منفصلة عن هذه الصلة بالطبقة العاملة في رحم العلاقات الانتاجية، يدفعها للحرب في الجبال مع البرجوازية التي تتمتع بامكانات وقدرة اعظم. فعلى الرغم من ابداء البطولة، والحفانية، وعلى الرغم من ان قوى البرجوازية هم على الاغلب من العملاء او المُبْهين، وعلى الاغلب كلاهما، ونحن اناس ايديولوجيين ودعاة امال ومساواة الى حد كبير، ولكننا سننهمز.

ذكرت ان الحرب بين البروليتاريا والبرجوازية حرب غير متماثلة الادوات تماماً. الطرفان يشاركان بادوات وتكتيكات تختلف وغير متماثلة كلياً في هذه الحرب. ان المنافسة واستنساخ امكانات الادوات والتكتيكات البرجوازية من قبل الطبقة العاملة هي امراً مهلكاً وذلك لان مثل هذه الامكانات ليست في متناولها وتدخل حرباً غير متكافئة ويلحق بها الهزيمة.

ان الطبقات الاخرى التي هي غير قادرة جراً فلسفة وجودها، وطبقاً لتقليدها وحركاتها، على ان تضع قدرتها في تنظيم انتاج الطبقة العاملة، تجلب بصورة غريزية وتلقائية نظرياتها التي لاتحتاج الى ذلك (تنظيم انتاد

## مبادئ النشاط الشيوعي

الطبقة العاملة-م)، يسألون ماهو المعمل؟ الشارع محل النضال، انا نفسي في الشارع وعامل وانتزع السلطة. ان هذا تصور ساذج او مضلل للثورة العمالية تلقى فيه الطبقة العاملة الهزيمة. حين تنظر الى الحزب البلشفي بوصفه نموذجاً ناجحاً للتنظيم الشيوعية، حين يتحدث الحزب البلشفي، ترى فيه حديث فايبرغ، حديث اكثر المناطق الصناعية في بطرسبورغ وموسكو، ليس بحديث الفلاحين في المناطق النائية. وان يكن الحزب البلشفي قد كسب اليه الفلاحين الفقراء في المناطق النائية، وان يكن قد جذب اليه اقسام عريضة من الفئات الدنيا للبرجوازية الصغيرة، بيد ان ارضية نفوذه وامكاناته هيئها العامل والبروليتاري الصناعي في روسيا. حين قرر القيصر على ان يعود مع الجيش من الجبهة الى بطرسبورغ لقمع الثورة، غيّر عمال سكك الحديد وارسلو القيصر والقيصرية لقرية مهجورة، ولم يتمكن القيصر وكل الثورة المضادة من معرفة ماذا عليهم ان يعملوا. بدون مثل هذه الارضية والاساس في عمق البروليتاريا الصناعية الروسية، فان حتى طروحات نيسان للينين ستبقى على الرف او في الارشيف.

### 2- اليات الصلات الاجتماعية

بيد ان اداة اقتدار الطبقة العاملة والحركة الشيوعية لاتتمثل فقط بوجودهما في رحم الصلات الانتاجية. بموازاة ذلك، مع وجود الطبقة العاملة في صلب هذه الصلات الاجتماعية، يكون لاندحة للطبقة العاملة من ان تصيغ صلاتها الاجتماعية والنضالية الخاصة بها. مثلما ان البرجوازي ليس قادراً باي اداة او شيء كان ان يزيل العامل من الصلات الانتاجية، وان منطق الربح لديه يجبره على توسيع هذه الصلات، وفقاً لذلك لايمكن للبرجوازية ان تستأصل الصلات الاجتماعية والنضالية للطبقة العاملة التي تشكلت بحكم وجودها في مثل هذه الصلات الانتاجية. وبموازاة الصلات الانتاجية الراسمالية، توجد البرجوازية العامل وشبكات اجتماعية ونضالية، بالاخص بين القادة والناشطين العماليين ولاتقلت رقيتها من ذلك.

يدخل العامل، سواء في محل عمله او في محل معيشته، اي المحلة بصورة تلقائية في مثل هذه الصلات. ذكرت ان العائلة العمالية هي هيئة عمالية. ولهذا، فان المحلة العمالية هي ايضاً جزء من التنظيم الانتاجي والاجتماعي للطبقة العاملة. انه لخطأ تصور ان العامل هو عامل فقط في محيط العمل. ان هذه التصورات هي احد ابتكارات التيارات البرجوازية والنقابية التي تحرم الطبقة العاملة من تنظيمها الطبيعي. في العالم الواقعي، تعد المحلة العمالية والعائلة العمالية مهمة بقدر المعمل.

لايمكن للنشاط الشيوعي الذي يعد توحيد العمال اساسه غض النظر عن هذه الحقيقة. ان حضور الشيوعيين وتواجدهم في هذه الشبكات الاجتماعية والنضالية ووجودهم في التجربة اليومية للعامل والعائلة العمالية وبوجه المجتمع الراسمالي هو اهم ادوات مجابهة البرجوازية وابعاد مجمل مؤسساتها التبليغية. وعليه، فلا مناص للتنظيم اللازم للنشاط الشيوعي من ان يستند الى الية الصلات الاجتماعية والسياسية والنضالية للطبقة العاملة. لكل من تنظيم الطالب، الفلاح، البرجوازي الصغير وغيرهم اسلوبه والياته الخاصة. بيد ان تنظيم الطبقة العاملة، وبحكم وجودها في مكانة استثنائية في المجتمع، فان له اسلوبه الاستثنائي. اي الاستناد الى الصلات الاجتماعية والنضالية التي تتمتع بها الطبقة العاملة في تنظيم الانتاج بوصفها طبقة خاصة.

لايمكن للنشاط الشيوعي ان يكون منفصلاً عن هذه الصلات. وان هذا مستهل موضوع تحدثت عنه:النشاط الشيوعي ليس نشاطاً فنياً-تنظيمياً. ينبغي ان يتضمن العمل الشيوعي ويؤمن مكاناً فيه لاليات الطبقة العاملة، ينبغي ان يندغم ويتوحد بها. ساتناول هذه الموضوع بصورة مفصلة لاحقاً.

ان الصلات الاجتماعية والتجربة اليومية هي اهم اليات وعي واحباط الدعاية البرجوازية. تتواجه الطبقة العاملة في صلب علاقاتها الاجتماعية في كل دقيقة بحقيقة عماليتها ورسمالية الطرف المقابل. ان هذا الواقع يوفر للنشاط الشيوعي المجال لاحباط مجمل دعايات البرجوازية سواء على هيئة جامع وملا، او على هيئة القومية والليبرالية او على هيئة الاعلام والاكاديمية الخادمة الذليلة. ان هذه الدعايات تبين في الحياة والتجربة

اليومية للطبقة العاملة تهافتها وخرافيتها اكثر من اي شيء اخر. وهنا بمقدور الدعاية والنشاط الشيوعي ان يمضيا لمجابهة البرجوازية بصورة اكثر تأثيراً من اي شيء اخر. اذ يمكن في محل عمل ومعيشة العامل الكردي، وبصورة افضل واكثر من اي مكان اخر، تبيان ماهية القومية الكردية، والبرجوازية الكردية والتاريخ المصطنع وتفنيد. في محل العمل وفي الصراع اليومي افضل من اي مكان اخر يمكن فضح السمة المناهضة للمرأة، سمة ومزية العائلة العمالية بالنسبة للبرجوازي ومزية الدين وغيرها. وان هذا هو المكان الذي بوسعنا تعويض نقص الاف وسائل الاعلام والمساجد والحزاب والحركات البرجوازية. هنا مركز اساس ونقطة قدرة النشاط الشيوعي.

### 3- منظمة الثوريين الحرفيين

من الضرورة ان نشير هنا الى اداة حياتية جداً اخرى في النشاط الشيوعي. اداة لايمكن لاي نشاط شيوعي راسخ ان يغض النظر عنها. بدون ذلك، لن تكون ثمة اي حظوظ بمجابهة البرجوازية. انها اداة منظمة او شبكة الثوريين الحرفيين.

قلنا ان امكانات البرجوازية ذا بُعدين. بُعد القمع وُبُعد التبليغ وتعميق الخرافات السياسية والثقافية مثل الدين، القومية، الليبرالية، الفاشية، السنيكاليته وغيرها. وقلنا ان الطبقة العاملة معرضة للضربة امام هذه البُعدين على السواء. ان ادوات البرجوازية في كلا البعدين تستهدف توجيه الضربة للنضال العمالي، النشاط الشيوعي والمنظمة الشيوعية. اذا اراد النشاط الشيوعي ان يكون له حظوظ ما، فعليه ان يكون قادراً على احباط حملة البرجوازية بكلا البعدين.

خذ بعد القمع بنظر الاعتبار. تستند البرجوازية اليوم الى اكثر الادوات والطرق والاساليب تطوراً. من التتصت الى اختراق والانديساس في الشبكات والمنظمات العمالية والشيوعية. من التحقيقات والاستجابات الى اعقد اشكال الحرب النفسية، الدعائية والثقافية. من البلطجة السافرة الى بلطجة المثقفين والاعلام والاكاديميات المأجورة للنظام. تستند البرجوازية الى اكثر الامكانات تطوراً.

اذا اردت سابقاً التجسس على الناشطين العماليين، ستكون مجبراً على ارسال جواسيس او مخبرين في هذه النشاطات. اليوم يضعوا في كل مكان كاميرات مراقبة تعمل على مدار الساعة، حتى يستفادون من تعقب والتصنت على الهواتف الجواله والامكانات المستندة الى الاقمار الصناعية كي يكشفوا العلاقات ويتعقبوها. اذ تعمل اليوم في ايران، في الجامعات، المعامل، المحلات والشوارع كاميرات مراقبة سرية على مدار الساعة. تتم مراقبة الانترنت، مراقبة المعلومات. ان التحقيقات اليوم في الجمهورية الاسلامية اكثر تطوراً وتعقيداً من اساليب السافاك. بوسعهم اليوم، وحتى بدون اللجوء الى التعذيب البدني، ان يحطموا المتهم.

لمجابهة هذه المؤسسة القمعية والجاسوسية، ولمجابهة مؤسسة انتاج الخرافة والتبليغ هذه، على النشاط الشيوعي والمنظمة الشيوعية ان يستندا الى شبكة من الناشطين الحرفيين. حرفي لا بمعنى ان يؤمن سائر الناشطون الشيوعيون معيشتهم او ينال امكانات مالية من الحزب. حرفي بمعنى مَلَم بعلم وطريقة وتكنيك مجابهة الشرطة والمؤسسة القمعية ومجابهة مجمل مؤسسة انتاج الجهل البرجوازي باعلى مستوى واكثر الاساليب تأثيراً. حرفي مثل اي ميكانيكي حرفي مَلَم بعمله وبوسعه ان يصلح ويعمر اخر موديل من العربات العصرية.

بغياض هذه الشبكة من الشيوعيين الحرفيين، يكون مجمل النشاط الشيوعي قليل التأثير ومؤقتاً. ان شبكة لاتستند الى منظمة من الثوريين الحرفيين، لاتتمتع بقدرة مجابهة سيل الخرافة والتبليغ، ولايمكن لها ان تقاوم المؤسسة البوليسية للبرجوازية. لن يكون لها ببساطة قدرة التأثير المستمر والدائم وديمومة العمل. تحطمت البرجوازية بصورة منظمة وتجبر الطبقة العاملة والنشاط الشيوعي على البدء من جديد. في الكثير من



## مبادئ النشاط الشيوعي

الحالات، ينبغي ان ينال هؤلاء الثوريون دعماً مادياً من قبل المنظمة الشيوعية دون شك. بيد ان تقليد اليسار حوّل الثوري الحرفي الى امرء يعيش على الآخرين. تناول لينين في كتاب "العمل؟" هذه الموضوع بالتفصيل بوجه الاقتصاديين. حيث يوضح ان النشاط الشيوعي بدون وجود شبكة الثوريين الحرفيين هو امرأ غير ممكن. شبكة ملمة بحرفتها. ليس مهماً ان تنال دعماً مالياً من المنظمة او الحزب ام لا. حرفي لانه ملم بمجابهة الشرطة، ملم باحباط المنظومة، ملم باخذ موازين القوى بنظر الاعتبار، ملم بموامة العمل السري والعلني، ملم بالقاء الخطاب والرد على خزعات بي بي سي وتلفزيون ايران والجمهورية الاسلامية وغيرها.

ينبغي ان يلم الثوريون الحرفيون بهذه. على اي منهم ان يكون مختصاً في ميدان معين من الميادين. الالمام بهذا يستلزم وقت. ان اعداد هؤلاء الثوريون يستلزم طاقة، ولهفة ووقت. لا يولد اي كان بصورة تلقائية ومن رحم امه ملما بهذه المواضيع. انها علم. ينبغي تعلم التكنيك وينبغي تجربته دون شك. ان وجود مثل هذه الشبكة فقط يوفر امكانية النصر للنشاط الشيوعي. وهنا يبرز امر الا وهو اهمية جذب وكسب الشيوعيين الذين هم من خلفيات غير عمالية والذين يتحلون في اغلب الاحيان بفرصة اكبر من العمال بعلم وتكنيك عصرهم. وهنا نرى ايضاً كم ان الطبقة العاملة معرضة للضربة عملياً بالاستناد فقط الى العامل وبغياب المتقنين والمتخصصين البرجوازيين.

## الفصل الثامن - الخصائص التنظيمية للنشاط الشيوعي

سأتناول في هذا القسم السمات العامة للتنظيم اللازم للنشاط الشيوعي. في الفصول اللاحقة، سأتطرق بتفصيل اكبر الى بعض من هذه السمات. وندرج هنا السمات الاساسية لتنظيم شيوعي للتحلي بامكانية مجابهة البرجوازية.

### 1- امكانية تنظيم النضال ضد البرجوازية خندق خندق وصولاً الى تنظيم الانتفاضة

لقد ذكرنا ان النشاط الشيوعي هو نشاطاً لتنظيم الثورة الاجتماعية للطبقة العاملة. ولنا ان هذه الثورة، ومثلما يتحدث عنها النشيد الاممي، هي الحرب الاخيرة والنهائية، وهي الحرب التي تضع البرجوازية امكاناتها لآخر قطرة دم واخر ريال. ستوظف كل امكاناتها ضدنا. وستكون هذه المقاومة وهذه المجابهة البرجوازية في مرحلة الحكومة البرجوازية، وكذلك بوجه الانتفاضة البروليتارية، والاهم من هذا كله، بعد ذلك في مرحلة الحكومة العمالية.

تعلمنا الماركسية، وفي الحقيقة العقل السليم، ان تشكل الازمة الثورية والثورة نفسها، التي تعد الانتفاضة نقطة منها، هي ليست امرأ بيد احد وتحكمه الثورة، مثل هزة ارضية او بركان، مرهونة بعوامل متنوعة ومعقدة جدا وخارج تحكمننا.

لكن، وان هذه لكن مهمة، مصير ثورة ما، وبالاخص سيرها صوب ثورة بروليتارية، مرهون تماماً بالدور الذي يلعبه فيها الشيوعيون والطبقة العاملة. السؤال هو باي درجة من الوعي والتنظيم، او باي درجة من التبعض وعدم الوعي تدخل الطبقة العاملة مثل هذه الثورة؟

ستكون حظوظ الطبقة العاملة قليلة ان دخلت مثل هذه الثورة بدون وجود منظماتها الشيوعية ومبعثرة، وبالاخص وهنا نحن نرى البرجوازية وقد ارتقت بمجابهة الثورات ودخول الطبقة العاملة الميدان الى فن. بهذا الخصوص، يمكن ان تكون هناك استراتيجيتين: الاولى، ان تنتظر لحين اندلاع الثورة، وبعدها تأمل ان تتمكن الطبقة العاملة من ان تنسجم. اي استراتيجية الانتظار واستراتيجية "التحضير" للثورة البروليتارية. الثانية، السعي باسرع مايمكن لاعداد الطبقة العاملة باكثر الدرجات انسجاماً، وتنظيماً وتحزباً في اي تحول او

ثورة تحدث في المجتمع. اي استراتيجية تنظيم الثورة البروليتارية وعدم احوالها الى لوتري (يانصيب) سياسي. اي يعني سياسة شيوعية. من الجلي ان الطبقة العاملة، في الاوضاع الثورية، تتعلم يوماً بقدر مئة عام. بيد ان هذا يصح على البرجوازية كذلك. تتمثل المسألة بان البرجوازية اليوم تدخل مثل هذه الثورة وهي اكثر تجربة من اي مرحلة اخرى. السؤال ببساطة هو: باي استراتيجية تكون حظوظ الطبقة العاملة اكبر؟ بالانتظار ام اعداد النفس لدخول الثورة والدفع بها صوب الثورة البروليتارية؟ مهما تكن الشيوعية فهي ليست علم الانتظار. ان فن ومجمل الفلسفة التنظيمية للنشاط الشيوعي هما كيف تدفع الطبقة العاملة والمجتمع صوب هذه المواجهة الاخيرة، وتؤمن، مع تشكل المرحلة الثورية، ان تكون الطبقة العاملة في مكانة اكثر اقتداراً والبرجوازية في مكانة اضعف. اي فن التنظيم الشيوعي والتحزب، على الاقل، على صعيد الطليعيين والناشطين الشيوعيين في المرحلة اللاتورية. ان نشاطاً لم يعد الطبقة العاملة لهذه المواجهة، سيدفع، في الحياة الواقعية، العامل الى حرب تكون امكانية النصر فيها محدودة وقليلة.

في عملية توحيد واعداد الطبقة العاملة هذه، ينبغي ان يرد النشاط والمنظمة الشيوعيين على التهديدات والمعضلات والتعقيدات التي تخلقها البرجوازية وامكانياتها.

لا يمكن لمنظمة شيوعية ان تكون تنظيمياً لايتحلى بامكانية وقدرة تنظيم نضال الطبقة العاملة خندقاً بخندق في مجابهة البرجوازية وقدرة توحيد شبكة قادة وناشطي الطبقة العاملة على الاقل. على المنظمة الشيوعية ان تكون قادرة على اخراج الطبقة العاملة في نضالها اليومي وفي صلب الصلة الانتاجية والشبكات الاجتماعية خندقاً بخندق من اللاوعي والتبعثر.

ان النضال اليومي والخنادق هي ليست في المعامل فقط، بل يتشكلان في كل ميدان للمجتمع ويتضمننا من النضال من اجل الحرية الى النضال ضد الحرب، من النضال من اجل تحرير المرأة الى النضال الاقتصادي. بالاضافة الى ميدان المعمل، الطبقة العاملة منعمكة في نضال بابعاد اوسع في ميدان المجتمع. ان عملية اعداد الطبقة العاملة ودفعها نحو تلك الحرب الاخيرة هي ظاهرة جارية. ساتناول لاحقاً صلة النضال من اجل الاصلاحات والنضال من اجل الثورة البروليتارية بصورة اوسع. ينبغي ان اؤكد هنا على ان ليس بوسع المنظمة الشيوعية ان تنجح في تحقيق اهدافها، الا ان تمزج بصورة ماهرة وماركسية النضال من اجل الاصلاحات، من المطالب اليومية الى تلك الاكثر عمومية، بالنضال من اجل الثورة العمالية.

اشرت سابقاً، وسأوضح لاحقاً بصورة اوسع ان هذا النشاط الشيوعي ليس عملية تعليمية وتوضيحية صرفاً، بل ان اكثر منها واهمها هو نضال سياسي وعملي. ان الطبقة العاملة، وقبل اي شيء اخر، بحاجة الى منظمة بوسعها ان تتحلى بالاعداد الذاتي والعملي، العقل والدراية والتدبير، قدرة اتخاذ القرار، امكانية المناورة وقدرة تطابقها مع الاوضاع.

وعليه، ان احد السمات الاساسية للنشاط الشيوعي والتنظيم الشيوعي هي قدرة تنظيم النضال خندق بخندق وقدرة دفع الطبقة العاملة نحو الثورة وقدرة تنظيم الانتفاضة البروليتارية.

## 2- حزب عصري: الاستفادة من اساليب واليات المجتمع المعاصر

لقد تغير عالمنا عن عالم القرن 19 و20 في جميع الاصعدة. مثلما ان النضال بصورة عشائرية ليس بوسعه ان يكون له حظوظ في التصرف على البرجوازية، ليس للنشاط الشيوعي اليوم كذلك، وبدون الاستفادة من التكنولوجيا المعاصرة، حظاً في النصر على البرجوازية.

في اوائل القرن العشرين، كانت ادوات البرجوازية، ولذا ادوات البروليتارية، متخلفة مقارنة باليوم. اذ عدت الكتابة، وتوزيع النشرات، الكرايس والكتب والاستفادة من التلفون اعلى اشكال الاستفادة من التكنولوجيا المعاصرة. واستفاد منها الشيوعيين بكثرة.

## مبادئ النشاط الشيوعي

وان كانت الاستفادة اليوم من تلك الادوات، سواء بالنسبة للبرجوازية ام بالنسبة للشيوعيين كذلك، هي اساس ومبدأ، ولكنها بذاتها لاترد على الامر. اذ لاستفاد البرجوازية اليوم من اخر التقنيات في وسائل الاتصالات العامة، في التمرکز والاستفادة من المعلومات والتربية والاعداد فحسب، بل انها ايضا وبصورة لامناص منها في تناول الطبقة العاملة والشيوعيين كذلك. بدون الاستفادة من هذه الادوات، لايمكن للنشاط الشيوعي ان يوصل صوته الى مسامع احد ولا حتى يستطيع ان يصل لسائر الناشطين الشيوعيين والطبقة العاملة. ولكن حين نتحدث عن ضرورة تحديث النشاط الشيوعي وجعله مواكباً للعصر، ينبغي ان لايقصر الامر على الابعاد التقنية للموضوع. التحديث في مسالة التنظيم والاساليب، التحديث في كسب ونيل وعكس اشكال التقدم الثقافي والعملية للبشرية، القدرة والرد على المعضلات الجديدة التي يضعها المجتمع البرجوازي امام النشاط الشيوعي، مثلاً خطر السيناريو المظلم، وتغيير ابعاد صلة التحزب الشيوعي بالسلطة وغير ذلك بموازاة اهمية فهم عالمنا المعاصر.

ينبغي ان اؤكد على نقطة هنا. حين تصبح المطبوعات في متناول يد المجتمع بابعاد جماهيرية، وتبدء الادبيات الثورية بتاثيرها الواسع في المجتمع، تصوروا طبقاً للعادة ان هذه سمة الجريدة. مثلما تصوروا ان النظارات تجلب المعرفة اليوم كذلك، وبالاخص بين الاوساط السطحية البرجوازية الصغيرة، التصور هو ان التكنولوجيا المعاصرة، التلفزيون، الانترنت، الفيسبوك وغيرها تخلق الثورة. ينبغي القول لهذه الجماعة ان النظارات لاتجلب المعرفة. ان مزية هذه الادوات، حين تتوضح في النشاط الشيوعي هي حمالة او شريط ناقل لسياسة شيوعية. ان جزء من ذلك النشاط وادوات النشاط في المجتمع، في صلب الصلات الانتاجية وفي رحم الصلات الاجتماعية للطبقة العاملة.

نؤكد هنا على ان النشاط الشيوعي، ومثل اي نشاط اخر، ان يكون تابعاً لادوات انتاج وتوزيع عصره. لايمكن لهذا النشاط ان لايستفاد من اكثر الامكانيات والاساليب الجارية في المجتمع تطوراً، ليس بوسعك ان تمضي لحرب البرجوازية بأسلوب القرن المنصرم. ينبغي ان تتحلى بقدرة الاستفادة من الامكانيات الجديدة والاساليب التنظيمية الجديدة. ينبغي ان يصل صوتك في القرن الحادي والعشرين الى مسامع الطبقة العاملة، ايصال صوت الطبقة العاملة لمسامع طبقتها، تنظمهم وتوحدهم.

ينبغي ان يكون بوسع النشاط الشيوعي ان يكسب شيوعيين يتحلون بهذه الامكانيات. كسب المراكز الفكرية، الثقافية والاجتماعية حول النشاط الشيوعي هي احد اساليب ادغام هذه الامكانيات في النشاط الشيوعي. ان الاقتصار على المحيط العمالي، معاداة المتقنين وعدم القدرة على جذب وكسب اكثر العناصر الفكرية والثقافية في المجتمع هي نسخة تحجر النشاط الشيوعي وهزيمته.

### 3- النجاعة في تنظيم النضال من اجل الاصلاح والنضال من اجل الثورة

على المنظمة الشيوعية ان تكون قادرة على القيام بالنضال من اجل الاصلاحات والنضالات من اجل الثورة بصورة متوازية مع بعض. وان هذا ليس بعمل سهل، وبالاخص بالنسبة لتيار اخذ تقليده النضالي من البرجوازية الصغيرة.

ان تحسين ظروف عمل ومعيشة العمال، سواء من زاوية البعد الاقتصادي او السياسي والثقافي، وليس تحسين اوضاع الطبقة فحسب، وهو منطق اي تيار عمالي، بل ان تحول سمة الاتحاد الى جزء من وعي الطبقة العاملة وتعمق من امكانية النضال، التنظيم والوعي داخل الطبقة العاملة.

ان هذا يناقض ويقف بوجه التصور البرجوازي الصغير الذي يعد الفقر والمصائب هما مصدر الثورية، ويتصور كلما كان المجتمع اكثر قمعية وفقراً تصبح معه الثورة العمالية امراً ممكناً. ولقد ذكرنا ان النضال من اجل توحيد وتوعية الطبقة العاملة هو نشاط نضالي سياسي وعملي، وليس نشاط تثقيفي صرفاً. ولهذا، فان

عملية النضال من اجل الاصلاحات هو مسار اساسي في عملية انضاج ووعي الطبقة العاملة وتنظيمها. ان عملية ربط شيوعية الطبقة العاملة بحياة ونضال جماهير الطبقة وقادتها هي عملية تربية واعداد وتطوير القادة العمليين والناشطين الشيوعيين داخل الطبقة العاملة.

ومقابل التصور والفهم البرجوازي الصغير للنضال من اجل الاصلاح، هناك فهم سنديكاليستي واصلاحي لهذا النضال، فهم يعد النضال من اجل الاصلاحات هو هدفه النهائي وغايته. وفق هذه المنظومة، العامل دوماً عامل وبائع قوى عمل ورسالة النضال العمالي هي فقط تحسين ظروف عمل العامل وليس استئصال عبودية الاجر والمجتمع الراسمالي.

انه النشاط الشيوعي والمنظمة الشيوعية من بوسعها فقط ان يدغما هاتين الظاهرتين، و يحولان في الحياة الواقعية، لا اي اضراب عمالي فحسب، بل اي نضال عمالي الى مدرسة الثورة البروليتارية، وان اي انتصار في النضال من اجل الاصلاح يكون تحوله الى عتلة دافعة في امكانية نضال الطبقة ووعيتها واتحادها من اجل الثورة البروليتارية.

#### 4- الامور الامنية: السرية ومبدأ الحد الأدنى من المعلومات

لقد ذكرنا مسالة الا وهي: وان يكن النضال الجماهيري للطبقة العاملة هو علني دوماً، ولكن، ومن اجل صيانة النشاط الشيوعي والمنظمة الشيوعية انفسهما امام مؤسسة القمع البرجوازية، فانهما بحاجة الى السرية والاستفادة من اكثر الاساليب تأثيراً لمجابهة شرطة البرجوازية.

السرية والامنية هما موضوع واسع كثيراً وذو جوانب عدة، لا يمكن تناولها كلها هنا. ربما ان اهم اسس الوضع الامني التي ينبغي ان نؤكد عليها هنا هو مبدأ الحد الأدنى من المعلومات. وفق هذا المبدأ، كل امرء ينبغي ان يحصل على المعلومات بالحد الذي يحتاجه للدفع بمهامه.

يبدوا ان هذا المبدأ بسيطاً، ولكن الامر ليس كذلك. ان اهم اساس لحصول الشرطة على المعلومات هي تسرب هذه المعلومات من قنوات محفلية. في هذه المنظومة، ليس المندس فقط بوسعه ان تصل اياديه لكل المعلومات، وان خطأ ما في قبول عضوية احد يؤدي الى كارثة، بل بالنتيجة ان تسرب المعلومات هذه، يجعل بمقدور كل شخص تعقله الشرطة ان يبوح بكل المعلومات. وان هذا الواقع يضع المعتقل كذلك في وضعية في غاية السوء (الشخص الذي ليس لديه معلومات كثيرة ليس بوسعه ان يعترف كثيراً) ويدمر تنظيمه كذلك.

في الحقيقة ان المحفل والحلقة، ووفقاً للتعريف، يتشكلا على اساس الثقة الفردية، وان هذا امر طبيعي. ولكن المشكلة، من الناحية الامنية، هي ان في هذه الشبكة التي تعتمد على الثقة الفردية، تتحول مسالة عدم البوح بالمعلومات وافشائها الى معيار ثقة او عدم ثقة. اذا لم تعطي معلومات لاحد ما، ينظر الى هذا العمل على انه دلالة على عدم الثقة بالشخص المذكور. ان احد علامات عدم استمرار وديمومة عمل الشبكات المحفلية امام الشرطة او عدم قدرتها على توسيع نشاطها هو هذا السبب.

اذا كانت الشبكات المحفلية تحمل معها موازين وصلات ما قبل حزبية، فان الفضول هي سمة برجوازية صغيرة. البرجوازي الصغير مبعث انعدام امان وفقاً للتعريف. الفضولية هي الية البرجوازي الصغير للاحساس بالامان. الاسوأ من هذا، تسريب المعلومات هو الية البرجوازي الصغير او العامل قليل التجربة والنفوذ، يرى فيها نفسه مهماً، وان تكون لديه معلومات، فان ذلك يدل على انه مهم جداً. ذهب النشاط الشيوعي والتنظيم الشيوعي مرات ومرات وببساطة ضحية هذه الصلات المحفلية، وانعدام التجربة هذه والاخلاقيات البرجوازية الصغيرة هذه.

### 5- الانضباط، القيادة الجماعية ووحدة الإرادة

ان الانضباط هو احد المفاهيم المحورية في حياة الطبقة العاملة وفي نضالها، وباللاخص احد علائم النضج السياسي والطبقي للعامل والناشط الشيوعي. اشرت سابقاً الى ان الحياة اليومية للعامل في محيط العمل هي حياة جماعية. فعلى العكس من البرجوازي الصغير الذي يعيش على عمله وابداعه الفردي، يعيش العامل على العمل والابداع الجماعي. ان اي شيء تنتجه الطبقة العاملة، تصنعه او تعمله هو حصيلة عمل جماعي. يعيش ويعمل البرجوازي الصغير بمنافسة مع اقرانه، يعيش العامل عبر التعاون ومساعدة بعض. ان هذه الحقيقة تعطي سمتين مختلفتين تماماً الى هاتين الطبقتين.

بالنسبة لعامل انضم توماً الى صف هذه الطبقة، وانضم عادة من خلفية فلاحية او برجوازية صغيرة الى هذه الطبقة، فان هضم هذه الوضعية وهذا الوجود الجمعي هو عملية، وعملية طويلة لبعض الاحيان. يقولون اعتبر ماركس جيل من الحياة العمالية ولينين شيء بحدود ثلاثة سنوات كاساس (هضم هذه الوضعية-م). ليس موضوعنا كم ان هذه التخمينات دقيقة وكم هي مرتبطة بالاوضاع التي ابدت بها الاراء في وقتها. بيد ان ماهو موجوداً هو اذا كان العامل ينتبه اسرع الى ان الانضباط والتعهد بالقيام بعمل مشترك هو شرط البقاء، فان كسب هذا الوعي ستغرق عملية اطول في النضال الذي يتخطى او خارج حدود المعمل. تعميق ضرورة النضال الجماعي، امام وقبالة الاحتجاج الفردي او تخريب ادوات العمل، تعميق على سبيل المثال ضرورة النضال ضد البطالة من قبل العامل العامل وامثاله هي احد التحديات المهمة التي يجابهها اي ناشط عمالي في تنظيم النضال في اجواء العمل. ان المنبع الطبقي لعامل يلج المحيط العمالي حديثاً هو عائق امام سبيل تنظيم العامل.

في النشاط الشيوعي، التحلي بالانضباط والانضباط هو فرق الحياة والموت. لايمكن تنظيم النشاط الشيوعي اذا قام اي امرء باي عمل يراه هو صحيحاً. انها حرب، وان لم تتحلى في هذه الحرب بالانضباط والنشاط المشترك ولا تقوم بهما وفق خطة واحدة وسياسة واحدة، سيكون من السهولة جداً الحاق الهزيمة بك. لايمكن ان يقوم احد بالاضراب في يوم الاضراب ولا يقوم به اخر، وينتفض احد يوم الانتفاضة ولا ينتفض اخر. انها نسخة منحدرة ومهزومة.

الانضباط ليس سوى ارادة واحدة. وحدة الارادة اساس الحياة والنضال المؤثر للعامل. بيد ان هذا الانضباط في الممارسة ليس انضباطاً انتقائياً كذلك. بوسع هذا الانضباط فقط ان يكون عملياً حين يكون واعياً ومستنداً الى عملية نقاش وقرار جماعي.

الواقع هو ان في الحياة اليومية يعتبر الناس سياسات، اساليب وتكتيكات مختلفة على انها صحيحة او يبدو لهم كذلك. السؤال هو كيف يمكن لتنوع الاراء هذه ان تتحول الى وحدة ارادة او انضباط في تنفيذ اساليب وسياسات وتكتيكات واحدة؟ ان سبيل البرجوازي الصغير هو سبيل شبه ديني، يكون فيه ضرورياً ان يفكر الجميع بالطريقة ذاتها، وان تكون تحليلاتهم واعتقادهم واحد. ان هذا الاسلوب يؤدي الى خلق فرق وفئات ايدولوجية وشبه دينية يكون اساس اتحادهم ليس الوجود الاجتماعي في النضال، بل اعتقاداتهم المشتركة. لايمكن للتنظيم اللازم للنشاط الشيوعي ان يستفاد من هذه الاساليب، ينبغي ان تكون هناك الية سياسية وغير ايدولوجية وفرقوية وفنوية لتحويل تعدد الاراء الى وحدة ارادة. اليات، يطرح من خلالها جميع الاطراف المنهمكة في الجدل ارائهم خلال مدة معينة ومحددة، وبعدها يصوتون او يقررون على ماينبغي القيام به. وبعد اتخاذ القرار، يتعهد الجميع بنتيجة التصويت والقرار الجماعي. وان يحترم الجميع مسؤولية وحقوق المسؤولين لتنسيق والدفع بهذا القرار، الخطة او العمل المتفق عليه. انها الالية ذاتها التي يعمل على اساسها كل تجمع عام واي تنظيم اجتماعي.

من الواضح ان لايمكن ادارة وتسيير تنظيم شيوعي على شكل تجمع عام. انه، من جهة، تنظيم خاص، ومن جهة اخرى، لايمكن تسيير هذه العملية تحت ضغط البرجوازية. بيد ان فلسفة تعدد الاراء واتخاذ القرار، وبعد

ذلك وحدة الارادة في تنفيذ السياسة هي واحدة: تعهدنا حين نناقش امر ما، ونبلع نتيجة ما، نتيجة يتم معرفتها بالتصويت ومعرفة الاراء، نمضي سوية لتنفيذه. نطلق عليه وحدة اركان، وحدة اصدار القرار. لايمكن في الحرب ان يكون لديك 5 امرين وكل منهم يقول شيء ما. ينبغي الانتباه هنا الى تعقيد وعقدة الا وهي حين يكون التنظيم الشيوعي سرياً، حيث ينبغي ان يتحول القرار الذي يتم اتخاذه الى قرار جميع الناشطين والقادة العماليين خارج التنظيم كذلك. ان هذا العمل ذا عملية اكثر تعقيداً، بالايخص في اوضاع القمع وسيادة البرجوازية.

تتمثل النقطة بان لايمكن للنشاط الشيوعي ان تقوم له قائمة دون الانضباط. اذ بدون تامين وحدة الامرية والاركان في الحرب، تخسر. ذكرت لايمكن حين توجه نداءً بالاضراب، يقول احد ما لنضرب، فيما يقول الاخر كلا. ان مثل هذا الاضراب يندحر من اليوم الاول. لايمكن تنظيم الطبقة العاملة والنشاط الشيوعي وفق معايير البرجوازية الصغيرة، اصحاب الدكاكين والفلاحين. ينبغي ان يتطابق مع حياة الطبقة العاملة. عمل جماعي وتنفيذ خطة واحدة.

اذا نتذكرون، قلت ان اقتدار الطبقة العاملة في تنظيمها في الانتاج. ليس للعامل من معنى بدون العامل الذي يقف بجانبه. صاحب المحل والفلاح وسائر اقسام البرجوازية الصغيرة، لهم معنى بدون الذي بجانبهم، ليس هذا وحسب، بل ان حياتهم تمر عبر المنافسة مع صاحب الدكان او البرجوازي الصغير الاخر. ولهذا يختلف تنظيم النضال العمالي وثقافة النضال العمالي عن سائر الطبقات، وبالايخص البرجوازية الصغيرة. اذا كان الانضباط الجماعي بالنسبة للبرجوازي الصغير هو امر استثنائي وغير عادي، فان حياة العامل اليومية تؤام مع الانضباط. ينبغي ان يكون حاضراً العمل صباحاً في الساعة والدقيقة الفلانية، وفي عملية العمل، ينبغي ان يُنفذ كل شيء طبق القرارات بصورة جماعية ومنسقة. بخلاف ذلك، اما يستحيل انجاز العمل، او تتعرض يد رفيقه للخطر والاذى. الانضباط هو ليس امراً استثنائياً بالنسبة للعامل. انه منطوق حياته اليومية.

لقد ذكرت ان احد شقوق النشاط الشيوعي هو التناقض بين النزعة الفردية للمثقفين مع الانضباط اللازم في النشاط الجماعي للطبقة العاملة. ان احد هذه الشقوق بوسعه ان يخل بالانضباط، مراعاة الامور الامنية، ديمومة العمل واستمراريته، العمل المشترك والجماعي. العامل يعيش مع الانضباط ويولد مع الانضباط، ومع الانضباط يموت. الانضباط جزء من حياة العامل، ومنطق الانضباط بالنسبة له ليس امراً غريباً.

### 6- حزب جماهيري وحزب الثوريون الحرفيون: حزب الاعضاء وحزب الكوادر

لقد ذكرنا ان سمة واحد خصائص النشاط والتنظيم الشيوعي هي وجود شبكة الثوريين الحرفيين. ان هيكل هذا النشاط يتضمن اناس مُميين بعملهم. اناس ليسوا مُميين بالنضال ضد الشرطة فحسب، بل بوسعهم الرد على الدعايات الدينية، الدعايات القومية والرد على البرجوازية باي شكل وهيئة كانت. اناس بوسعهم اقتناع الاخرين، توحيدهم وتنظيم مجمل جوانب نشاطهم. كما اكدنا انه ليس ثمة شخص مُلماً وذا خبرة بكل هذا. ان هذه السمة يؤمنها جمع من المتخصصين الذين توفرهم هذه الشبكات وهذه اللجان والنشاط الشيوعي. نطلق على هؤلاء الثوريين الحرفيين اسم كادر. ان اساس اي عمل واي نشاط يقع على كاهل كوادره. ان هذا الطيف ياتي بصعوبة وعدده قليل. بيد ان النشاط الشيوعي لا يقتصر على هذا المستوى من الناشطين. ثمة جماهير عريضة من العمال وغير العمال الشيوعيين، وينبغي اعادة انتاجهم دوماً، يكونون حمالة القيام بالنشاط الشيوعي.

نبلع هنا نوع اخر من الناشطين الشيوعيين، اناس لامعنى للنشاط الشيوعي بدونهم. بدونهم تتحول شبكات الثوريين الحرفيين او الكوادر الى امرين بدون جيش، يمكن فقط لهم ان يفتخروا بمداليتهم. ان هذه الجماهير العريضة من الناشطين الشيوعيين في الحقيقة، تمتاز عن الكوادر والثوريين الحرفيين، هم اعضاء منظمة شيوعية.

## مبادئ النشاط الشيوعي

ينبغي ان تكون المنظمة الشيوعية منظمة جماهيرية. ينبغي ان يلتف حول شبكة الكوادر اعضائها، مثلما ينبغي ان يلتف حول اعضائها طيف واسع من اصدقاء وناشطين مستعدين. مبدئياً، ان معلّم كادر جيد هو ان يكون قادر على ان يكون موحداً ومبعث اعتماد وثقة جماهيريين.

الاهم من هذا، وعلى النقيض من صلة الامر والجندي، النفوذ والصلة بين الكوادر والاعضاء يكونا على اساس نفوذ الكوادر ومكانتهم مما على اساس رتبتهن ومكانتهن في الهيكل التنظيمي. وعلى هذا الاساس، لا يتمتع الكوادر في النظام الداخلي للحزب الحكمي بحقوق وامتيازات وصلاحيات خاصة مقارنة بالاعضاء. لديهم مهمات اوسع واكثر تعقيداً. حين ينتخب هيكل منظمة شيوعية، لكل حق متساوي ومماثل في التصويت. كيف يعطى هذا الصوت والى اي جهة يمضي مرهون بدرجة كبيرة بالاعتبار والنفوذ المعنوي للكوادر. ولهذا، معلّم اي منظمة شيوعية هي ان تنتظم جماهير عريضة من الشيوعيين حول هيكل من الكوادر. بدون هيكل الكوادر هذا، يغدو التنظيم الحزبي مثل جماهير على شكل جلاتين عديمة الملامح والحدود على الارض، وبدون جماهير الاعضاء، يصبح هيكل الكوادر مثل هيكل عظمي للانسان، لا ياتي على ايديه الكثير. واؤكد على ان الفرق بين الكوادر (الثوريين الحرفيين) والاعضاء هو ليس فرقاً بين الجيد والافضل او المهم والاهم. انه تقسيم عمل وخطة وخارطة تنظيمية على اساس واقعا القائم. بدون تقسيم العمل هذا لا يمكن تنظيم عمل ما مبدئياً. لا يمكن القيام بهذا النشاط الشيوعي دون فصل ووحدة هذين المستويين في ان واحد. بدون هذا الفصل والمزج، يؤول النشاط الشيوعي الى: اما كوادر حرفية بدون نفوذ، او اعضاء لا ياتي على ايديهم شيئاً او كلاهما. عندها تعجز المنظمة الشيوعية عن الرد على البرجوازية، ولا يوسعها ان تدافع عن نفسها امام الشرطة، ولا تستطيع مبدئياً تنظيم نضال مؤثر وناجح.

### 7- حزب سياسي او محفل اناس يقبلون بعضهم البعض

الصلة المحفلية او الحلقية اساس تشكل اي شبكة نضالية ويصاب اي تنظيم شيوعي بالشلل اذا لم يلف حوله طيف واسع من الشبكات الحلقية.

بيد ان البقاء في اطار هذه الصلات وادامة هذه الصلات والمعايير المحفلية والحلقية الى عمل منظمة شيوعية هو امر مميت وقاتل. تحدث لينين بالتفصيل في "العمل؟" و"خطوة للامام خطوتان للوراء" بهذا الخصوص. نستطيع هنا فقط الاشارة الى جوانب منها.

يتشكل المحفل والحلقة استناداً الى الثقة الشخصية، قرب وتقارب الطباع، الاشتراك في مدينة او مقاطعة واحدة، الثقافة المتماثلة، الارتياح الشخصي وغير ذلك، وان هذه الصفات والعلاقات هي امر طبيعي كذلك. ولكن الانتقال من محفل الى منظمة شيوعية ينبغي ان يرافقه تحول من هذه المعايير الى معايير سياسية واجتماعية. والا فان امكانية تنظيم النشاط الشيوعي الذي اشرت له يغدو مستحيلاً. ان للمحفل امكانية توسع محدودة، ويوسع تنظيم شيوعي فقط، يكسر هذه العراقل المضيقّة.

ينبغي ان تكون مجمل الصلات في المنظمة الشيوعية مستندة الى اسس وموازن وقرارات متفق عليها. ينبغي ان تتخذ القرارات وتنفذ وفق نمط وعملية ومقررات مدونة وواضحة. ان هذا الحال يعكس موازين وصلات المجتمع والطبقة العاملة كذلك. ان الطبقة العاملة وتنظيمها في المجتمع يستندان الى الصلات الانتاجية والاجتماعية وليس الصداقات واشكال التقارب الفردي. ان العمال الذي ينتجون ويصنعون السيارات او الحديد او حتى عمال يعملون في فرن للصمون هم شيء وكتلة واحدة في حين ان سلوكياتهم وسماتهم الفردية ليست متماثلة على الاغلب.

ان النضال العمالي هو نضال غير شخصي كلياً؛ نضال طبقي. وبمجرد ان تدخل عنصر القومية، الامة،

## كورش مدرسي

الدين، الجنس، الصنف، السلوكيات والثقافة تخلق التفرقة فيما بينهم. ان المنظمة الشيوعية هي منظمة لانهاا التبعثر والفرقة داخل الطبقة العاملة وليس تاييدها او اصفاء الصفة الرسمية عليها. ان وجود الطبقة العاملة، وبمعزل عن الدين، القومية، الاثنية، الصنف والسلوكيات، هو اساس قدرة الطبقة العاملة؛ وان القسم الاعظم من الخرافة التي تنتجها البرجوازية لتعميق هذه الفرقة القومية، الجنسية، الصنفيه، السلوكية والثقافية وغيرها.

### 8- خط ماركسي واضح

لقد ذكرت ان اساس النشاط الشيوعي هو السعي للوحدة الطبقيه للطبقة العاملة. وقلنا ان هذا السعي هو امر نضالي، وليس تعليمي او توضيحي محض. يعد التوضيح الصحيح في هذا النضال للصلوات الاقتصادية والسياسية للطبقات والحركات المختلفة امراً حياتياً. بدون مثل هذا التحليل او وضوح رؤية عميق لايمكن اتخاذ سياسة وتكتيك واستراتيجية صحيحة. لايستطيع ان يدخل احد هذه الحرب باعين معصوبة، وبأوهام، وبتحليلات سطحية او خيالية، ويحدوه الأمل بالنصر.

كما ذكرنا ان احد الاركان المهمة للسعي من اجل توحيد الطبقة العاملة هو احباط الدعايات والتفسيرات البرجوازية لاوضاع المجتمع، ومن بينها اوضاع الطبقة العاملة. اذ يسعى الدين، القومية، الليبرالية، الفاشية ومجمل التقاليد والتيارات البرجوازية لطرح تفسير مقبول ليمرره على المجتمع والطبقة العاملة. تفسيرات تؤيد الخرافات والفرقة داخل صف الطبقة العاملة. كما ذكرنا ان البرجوازية في هذا المسار تصيغ اكثر نظرياتها ودعاياتها تعقيداً والتواءاً كي تخلق تيه وتشوش فكري. تقوم بعصب الاعين، وتجعل الابيض اسوداً والاسود ابيضاً. اذ تقوم بهذه الحملة الفكرية والثقافية كل يوم وكل لحظة حول اي مسالة كانت، حتى فيما يتعلق باكثر صلوات الانسان خصوصية تتضمن من صلة العشق الى صلة الزواج والصلة بالاطفال، تصويرها عن نفسها، صلة العمال في المجتمع. تعرف للمجتمع الدين، القومية، الليبرالية البرجوازية، ماهو سيء وماهو حسن. انظر الى امانتي وامال اي شخص، حتى اي طفل، ستجد عمق نفوذ ثقافة الطبقة الحاكمة (البرجوازية) بهذا الشكل او ذاك. يعلمنا ماركس ان الثقافة السائدة في اي مجتمع هي ثقافة الطبقة السائدة وثقافة العلاقات السائدة.

ان المشاركة في هذا النضال، سواء من حيث البعد العملي او السياسي والثقافي، بدون نظرية واضحة، بدون ماركسية شفافة هي ليست امراً عملياً.

بدون تحلي النشاط الشيوعي، المنظمة الشيوعية، والشيوعيون الذين اتوا للميدان هذا، بخط ماركسي واضح، سيعملوا بصورة عمياء. وعليه، ينبغي الارتقاء بالفكر الماركسي، ويعتبر الانتباه للخرافات والخزعبلات التي تطرح لاستهلاك المجتمع والطبقة العاملة باسم الدين، القومية، الليبرالية، الفاشية، النزعة الرجولية وغيرها، ناهيك عن باسم الماركسية هو امراً حياتياً. ان النضال ضدها هو حياتياً بقدر النضال في اي ميدان اخر. ولهذا، فان معلّم بارز للنشاط الشيوعي هو وجوب الاهتمام بالنظرية الماركسية، ينبغي مركزة السعي لفضح مجمل جوانب الحياة الانسانية وفق وجهة نظر البرجوازية. وذكرنا انه ينبغي في اغلب الاوقات انجاز هذا العمل بصورة صبورة، دؤوبة وفي مجرى النضال والتجربة اليومية للطبقة العاملة.



### الجزء الثاني

#### الفصل التاسع- مبادئ النشاط الشيوعي

سنعود في هذا القسم لتناول الجوانب المختلفة للنشاط الشيوعي. بدءاً، أكد مرة أخرى على نقاط تتعلق بهدف النشاط الشيوعي، بوصفه استهلالاً للموضوعات اللاحقة. بعدها سأتطرق الى ثلاثة مواضيع. احدها، الاشرطة الناقله للنشاط الشيوعي، والثاني اساس وارضية تنامي النشاط الشيوعي، واخيراً الثالث العمل الاساسي لتنظيم شيوعي او حزب شيوعي.

#### 1- الهدف من النشاط الشيوعي

لقد ذكرنا ان الهدف من النشاط الشيوعي هو توعية، توحيد وقيادة الطبقة العاملة نحو الثورة العمالية. كما ذكرنا ان العائق اليوم امام الثورة العمالية هي عوائق ذاتية، وليس الشروط الموضوعية. العائق الذاتي يعني عدم الاستعداد الذاتي لفاعل مثل هذه الثورة، اي الطبقة العاملة.

اننا نرى انعكاس هذه العوائق الذاتية في بُعدين. احدهما في وحدة الطبقة العاملة، والاخر في وعي هذه الطبقة. وان كلاهما مرتبطان ومعجونان في بعض بلا شك. ان الوحدة هي انعكاس للوعي الى حد كبير، ولكن هذا الانعكاس ليس مباشر وبالضبط. اي ان بوسع اتحاد او وحدة ما ان يعكس درجات مختلفة من الوعي. على سبيل المثال، في الاوضاع القمعية، قبل ان يعكس اتحاد العمال في نقابة محدوديات في درجة وعيهم، بوسعه ان يعكس توازن القوى وبالعكس، واذا شكل عمال معمل ما تجمع عام، احد اكثر معالم وشواخص اشكال الاتحاد، فانه ليس انعكاساً لوعيهم الشامل بمكانة الطبقة العاملة. قد يكون هؤلاء العمال المشاركين لازالوا غير واعين، قد يكونوا غير واعين بعد لمسالة تعقب الثورة العمالية، وضرورة انتزاع السلطة السياسية وغيرها. ينبغي الانتباه لهذه النقطة، والا تدفعنا عملياً نحو اتخاذ موقف يساروي او يميني تجاه المنظمات العمالية القائمة.

لقد ذكرنا ان ذلك الشيء الذي يشير قبل اي شيء غيره الى عدم الاستعداد هو عدم وحدة الطبقة العاملة وتشتتها وتبعثرها. ان قسم من هذا التبعثر والتشتت تفرضه البرجوازية عبر القمع والاستبداد، والقسم الاخر، وهو اهم من القمع، يتم تامينه عبر موجة التبليه او فرض اللاوعي على الطبقة العاملة. للبرجوازية هاتين الاداتين اللتين تحدثت عنها في الاقسام السابقة.

ينبغي ان نمحص نقطة وهي ان لاوعي الطبقة العاملة ليس علامة غياب الوعي. بل يعني وجود الوعي البرجوازي، اي الايمان بالخرافات البرجوازية فيما يخص الحياة والمجتمع. علامة وجود مناهضة ومضاد الوعي. ان ذهن الطبقة العاملة ليس مثل ذهن طفل اتى للعالم تواء، صفحة بيضاء ودون محتوى. لديه محتوى وملطخ. ملطخ بالخرافات والتبليه البرجوازي. تشكل ثقافة الطبقة الحاكمة ذهن الطبقة العاملة أيضاً.

### 2- ماذا تعني الاشرطة الناقلة للنضال الشيوعي؟

كمقدمة، اود ان اتحدث هنا فيما يتعلق بمفهوم الصلة بالطبقة العاملة في النشاط الشيوعي.

حين توجه السؤال التالي للعديد من الاحزاب اليسارية: ماهو دوركم في الطبقة العاملة؟ يردون "ان لدينا صلة جيدة بالطبقة العاملة". قد يكون مايقولونه صحيحاً، ولديهم ارتباط جيد معها. بيد ان موضوعة النشاط الشيوعية ليست مقتصرة على موضوعة ارتباط الحزب بالعمال. لندع جانباً ان القسم الاغلب من اليسار ليس لديه صلة بالطبقة العاملة اساساً. ولكن موضوعة النشاط الشيوعي لا تقتصر على ذلك. ليست قلة هي الاحزاب البرجوازية التي ذا صلة بالطبقة العاملة. القوميون لهم صلة وارتباط قليل بالعمال، ولكن نفوذهم ليس قليلاً داخل الطبقة العاملة.

في النشاط الشيوعي، يُنظم العمال بوصفهم عامل. ان هذا النشاط يرتبط بالحياة والنضال اليومي للطبقة العاملة ومرهون بها، من لحظة ذهاب العامل للعمل وحتى لحظة عودته، ومن لحظة استيقاظه حتى لحظة نومه. النشاط الشيوعي ليس امراً يخص جمع العمال عموماً. ليس حول تنظيمهم خلف هوية قومية، دينية، جنسية، صنفية وغيرها. ان النضال اليومي للعامل ضد الراسمالي، بغض النظر عن قوميته، جنسه، دينه وفرعه الانتاجي ليس امراً لخدمة النضال من اجل امر قومي او ديني، بل جزءاً من النشاط الشيوعي. حتى النضال من اجل الاطاحة بالحكومة يتم تصويرها عبر هذه القناة، وعبر هذه القناة تجد معناها. اذا قطعت هذه القناة او الصلة، تصل الى الصلة او التنظيم البرجوازي للطبقة العاملة. البرجوازية تنظم العامل ايضاً، ولكن ليس بوصفه عامل او ارتباطاً بصراعه مع الراسمالية، بل بوصفه احد فئات المجتمع واصنافه ولخدمة الحركات البرجوازية.

ما اود قوله ان الحزب والاتحاد الشيوعي للطبقة العاملة يتخطى عقد الصلة مع العمال، انه حزب الطبقة العاملة. يمكن لحزب ذا صلة بالعمال ان يكون حزباً مناهضاً للنظام صرفاً ( مناهض للنظام كنظام وليس لطبقته-م). يمكن ان يكون قومياً، جماعة الخضر (جماعة موسوي) او محافظاً او ملكياً.

ان حزب الطبقة العاملة هو حزباً له وجود ومعنى في مجمل لحظات حياة تلك الطبقة، في حياتها اليومية. ماذا يحل باجري؟ ماذا يحل بعملتي الاضافي؟ لماذا ليس لدي مدرسة؟ لماذا يعيش طفلي في هذه الاوضاع؟ وصولاً الى لماذا يجثم الراسمال وحكومته على صدري اساساً؟ له (اي الحزب-م) حضور وتواجد ومعنى في كل هذه الاسئلة. ان النشاط الشيوعي هو جزء من الحياة اليومية للطبقة العاملة. مثلما ان النشاط النقابي هو جزء من حياة الطبقة العاملة. مثلما انه لايمكنك ان تشكل نقابة فرع ما في اوربا وتشكله خارج شركة الفرع هذا، مثلما انك لايمكنك ان تشكل نقابة عمال الحديد في النفط. ان الحزب الشيوعي في شركة الحديد هو تحزب شيوعي في شركة الحديد.

اود ان اؤكد ان العامل ظاهرة ملموسة. ليست تحليلية وايدولوجية. العامل هو ليس امرء يقبل بايديولوجيتي. العامل عامل. الموضوعة هي ان الشرط الناقل للنشاط الشيوعي هي الطبقة العاملة نفسها، لا اناس يعتبروا انفسهم عمالاً او عمالاً استناداً الى ايديولوجيتهم. ان الطبقة العاملة وتنظيمها من شبكة العمال المناضلين الى الحزب الشيوعي هي جميعها ظواهر ملموسة وموضوعية، وليس ذاتية. وان هذه الظاهرة الموضوعية هي الشريط الناقل للنشاط الشيوعي.

## مبادئ النشاط الشيوعي

إذا نظرت إلى هذه الظاهرة بصورة موضوعية، بوسعك عندها أن تعمل على حل معضلاتها. إن جزء مهم من تصوير اليسار هو أن ليس للطبقة العاملة تنظيم. إن هذا التصور ينجم من الفهم الذاتي للعامل. إذا كان معنى العامل أعضاء أو مناصري تنظيمي، عندها لأن العمال معي، فإن قلة تنظر إلى الطبقة العاملة على أنها بدون تنظيم. من وجهة نظر 99% من اليساريين إن ليس للطبقة العاملة تنظيم إطلاقاً. إذا تنظر للعامل بصورة موضوعية لعماليته في صلب المجتمع الرأسمالي، ستدرك أن ليس بوسع العامل أن يبقى غير منظم. بالنسبة لأي عامل، العمالية مفهوم معطى. النضال اليومي ظاهرة معطاة. إن النضال يجلب بصورة تلقائية نوع من التنظيم والوحدة. ليس بالضرورة أن يكون التنظيم شيوعياً. بيد أنه تنظيم وطبيقي. إن هذه الظواهر مفهومة للعامل الذي يعمل بقدر كونها مفهومة للأطفال عائلة عمالية. مثلما إن أبناء العائلة الفلاحية تعرف ظاهرة مثل الجفاف، حصة المالك، الأغا أو العمدة، وغيرها، في العائلة العمالية، ما إن ترى عين الأطفال النور، يتعرفوا على البطالة، خطر البطالة، الطرد من العمل، أجور زهيدة، نضال من أجل الأجور وساعات العمل، رأسمالي، إضراب، عمال المعمل، قادة عماليين وغير ذلك. ويكبرون معها. ويعرفونها كلها. مع قلق الإضراب، ماذا جرى كي يتم إخراج فلان، هل بلغ الإضراب هدفه أم لا؟ يعرفون تكتيكات الرأسمالي ومديرية العمل.

لقد ذكرنا أن الطبقة العاملة في مجابهة مع البرجوازية في حياتها اليومية، وإن حياتها اليومية هذه تدفعها صوب التنظيم. تنتظم في العمل والنضال. وفي المطاف الأخير، أنا وانت وحسن وحسين ومريم وتقي نعمل سوية في معمل ما. ليس وضعنا مماثلاً لوضع مالك دكان، حيث إن ما عليه هو أن يذهب لعمله فقط، وإن أفلاس الدكان الذي جنبه يخلق لعمله الأزدهار. نعمل سوية، وطردي عامل، أو تقليص أجور أي عامل، أو زيادة ساعات عمل أي عامل يجعل وضعنا أسوأ جميعاً. وفي هذا السياق، إن شرط بقائنا وأكثر غرائزنا البدائية مرهونة ومعجونة ببعض. نعود ونقول لحسن أو مريم، على سبيل المثال، نتحدثون بصورة جيدة، انتم تدافعون بصورة جيدة، امضوا للامام وثلث حولهم وتلعب مريم أو حسن دور القائد، وفي الأغلب يلعبون هذا الدور، وبهذا السياق، يجذبون بصورة تلقائية سائر القادة وغير ذلك. إن هذه الظاهرة تخلق تنظيمياً يومياً داخل الطبقة العاملة. إذا يحدث هذا بالنسبة للفلاح مرة واحدة في السنة وعلى شكل فردي، أي وقت جمع المحصول، فإنها بالنسبة للعامل ظاهرة يومية وجماعية.

وعليه، تخلق الطبقة العاملة بصورة لاندحة عنها تنظيمياً داخلها. ويتشكل التنظيم الداخلي للطبقة العاملة أساساً حول شبكة من العمال الطليعيين. أطلقنا على هذا الطيف أو الفئة من الناشطين العماليين اسم شبكة المحرضين البروليتاريين.

إن الطبقة العاملة مجبرة على خلق نوع من تنظيم المقاومة والنضال داخلها. وحتى في أسوأ أوضاع القمع يكون لها نوع من الهيكل والتنظيم كذلك. في أسوأ وأكثر أشكال القمع حلقة في المعمل أو في المحلة العمالية، هناك عمال طليعيين، يثق بهم سائر العمال ويلتفون حولهم. إذا لم يكن هناك ماء في المحلة، يمضوا للالتفاف حولهم ويذهبوا لبيوتهم ليعقدوا اجتماعاً معهم هناك. إنهم مبعث ثقتهم. ويشكلون شبكة من أصحاب الثقة داخل الطبقة العاملة. إنهم في المطاف الأخير ليسوا أصحاب ثقة الأوغوات والملاهي في القرى، إنهم أساساً عمال يساريين وشبكة من العمال الاشتراكيين.

ما أريد قوله هو أن الشريط الناقل للنشاط الشيوعي وتنظيم الطبقة العاملة لا بد أن يبدأ من هذه الشبكة من العمال المناضلين. إن هذا واقع جميع المنظمات العمالية. تستند مجمل التيارات داخل الطبقة العاملة إلى هذه الشبكات. إن الحرب من أجل كسب الريادة الحركية للطبقة العاملة، يتوقف على كسب الريادة الحركية لهذا القسم من العمال. لا يمكن للنشاط الشيوعي داخل الطبقة العاملة أن يجري بمعزل عن هذه الشبكات. إن هذه الشبكات هي الشريط الناقل للنشاط الشيوعي. وبين صفوف العمال هناك، تلوثة دينية، قومية، رجولية، تخلف ثقافي وغيره دون شك. إن التغلب على أشكال التلوثة هذه، مجابهة معضلاتهم من حيث البعد السياسي،

## كورش مدرسي

الفكري، النظري والعملي، وبالاخص في خضم التجربة اليومية، هو ماينبغي ان يكون مادة عمل النشاط الشيوعي.

### 3- محل تنامي وعرقلة النشاط الشيوعي

موضوع اخر اتطرق اليه هنا هو محل تنامي وعرقلة النشاط الشيوعي. اجمالاً، في اوساط اولئك الذين يعتبرون انفسهم شيوعيين، ثمة فهم شائع وهو ان الطبقة العاملة بالنسبة لهم ليست شيء ذا وجود موضوعي، بل مفهوماً ايديولوجياً. اذا تسال العديد منهم: لماذا تعتبر نفسك عاملاً؟ لا يكون الرد مرتبطاً بمكانته في تنظيم انتاج المجتمع. يردون: اني عامل لان ايديولوجيتي شيوعية، لان ايديولوجيتي عمالية.

وفق هذا الرؤية، الطبقة العاملة ليست ذلك الشيء الكائن الموضوعي في المجتمع. من الواضح انك تشير الى فيل موجود هناك لايمكن ان تكون فيلاً! اذا كان من المقرر ان تقوم الطبقة العاملة بعمل ما، ينبغي ان تقوم به الطبقة العاملة التي هي كائن موجود بصورة موضوعية في المجتمع، وليس انساناً يعتبرون انفسهم عمالاً استناداً الى عقيدتهم.

ان قسم كبير من اولئك الذين يتحدثون باسم الطبقة العاملة ينشدون ثورة طبقات اخرى. انهم يريدون الطبقة العاملة لتلك الثورة وليس لانجاز الثورة التي ينشدها العامل، والذي عليه ان يضع امر انجازها على كاهله. وبهذا، يستطيعون ان يفلتوا من شر معضلات النضال اليومي للعامل في البعد السياسي، الثقافي، المعيشة اليومية ومجمل الميادين التي يمسك العامل يومياً من خلالها بخناق البرجوازية. في الحقيقة انهم برجوازيين، وليس لهذه المسائل اي مكان عندهم اساساً.

الحالة المفرطة منهم هو ان يقول اني عامل لان ايديولوجيتي حسنة. كل ما اقله هو للطبقة العاملة وخير الطبقة العاملة في تنظيم انتاج المجتمع، لست عاملاً، ولكن هذا ليس مهماً. انا عامل! ولهذا لاحاجة لي بتنظيم الطبقة العاملة، اني منظم، ولهذا الطبقة العاملة منظمة. ما اود قوله هو انهم يصفون فهماً وسمة دينية على العامل كي يتمكنوا من التخلي عن العامل الحقيقي في منظومتهم. وعليه، من وجهة نظرهم، بوسع التنظيم الشيوعي ان يكون تنظيمياً لاصلة موضوعية له بالطبقة الموجودة في المجتمع.

من وجهة نظر الماركسية، ومن وجهة نظر النشاط الشيوعي، الطبقة العاملة هي كائن اقتصادي-اجتماعي موضوعي. ان هذه الطبقة لاتشمل كل من يستلم اجراً. اذ يستلم الكثيرون اجوراً. بل حتى ينتجون فائض قيمة. ان الطبقة العاملة ليست ذلك القسم من المجتمع الذي لا يستلم اجراً فحسب، ولا ينتج فائض قيمة فحسب، بل بالاضافة الى ذلك هو قسم من المجتمع عليه ان يقوم بهذا العمل يومياً. والا فليس لديه معاش. انه مجبر على بيع يومياً قوى عمله. ان قسماً كبيراً من اولئك الذي يستلمون اجراً او حتى ينتجون فائض قيمة، مثل المهندسين، الموظفين الاداريين وغيرهم على شكل مدخرات واملاك بوسعهم ان يعيشوا بدون عمل لفترة على الاقل. ان النشاط الشيوعي هو ليس لتنظيم هذا القسم بالاساس. والثورة التي ينشدها هي ليست الثورة التي ينشدها هذا القسم.

يعرف كتاب الراسمال الطبقة العاملة. الطبقة العاملة هو كائن اقتصادي اجتماعي وليس اقتصادي فقط. اقتصاديه هو انه يبيع قوة عمله وينتج فائض قيمة. واجتماعيه هو ان مالك الراسمال لايمائتله. ولهذا فان القناة الوحيدة لامرار معيشته هو بيع قوة عمله.

ان محل تمرکز وتنامي النشاط الشيوعي هو داخل الطبقة العاملة هذه وليس بين الطلبة والموظفين او اصحاب المحلات والفلاحين وغيرهم.

## مبادئ النشاط الشيوعي

ذكرنا ان بالاضافة الى محل العمل، يعد محل معيشة الطبقة العاملة ايضاً جزء من مكان انتاج واعادة انتاج الراسمال. صحيح ان قدرة الطبقة العاملة تبرز بايقاف عجالات الانتاج في المعمل. بيد ان الحياة في المحلة هي قسم من الوجود الاجتماعي للطبقة العاملة.

المحلة والمعمل مراكز استقرار الطبقة العاملة، وانها مراكز نشاط شيوعي. ساشير لاحقاً الى ان علينا دون شك ان ننشط في الاجواء الاخرى، مثل الجامعات، بين الكادحين، في الحركة النسوية، والكثير من الاجواء الاخرى. اذا اردت ان اعود الى الاستفادة من الاستعارة التي استخدمتها في بداية هذا الموضوع واقول انها ابواب وشبابيك النشاط الشيوعي. ان بناية النشاط الشيوعي هو المنظمة والتنظيم الشيوعي داخل الطبقة العاملة. اذا لم تكن لدينا هذه البناية، فان بقية الميادين مثل ابواب وشبابيك ليس لهن ربط ببناية خاصة وتنهار.

### الفصل العاشر - العمل الاساسي للنشاط الشيوعي

لنشاط الشيوعي اعمال متنوعة ومختلفة كثيرة. من النشاط النظامي (المسلح-م) في الاوضاع الخاصة الى النشاط في خارج البلد او اي ميدان اخر يقتضيه. ولكن من بين هذه الاعمال، هناك احد منها ليست اساس فحسب، بل تعطي معنى وجهة لمجمل الاعمال الاخرى، وقد يكون من الضرورة القول انها تضعهم في سياق صحيح. بدون هذا العمل الاساس، تبقى الانشطة الاخرى بدون مرسى، بدون مقود وبدون بوصلة.

استخدم هنا بعض الاحيان كلمة حزبي بدل من النشاط الشيوعي، لان النشاط الشيوعي بالاساس هو نشاط حزبي برايي، ليس نشاطاً محفلياً او حلقياً نقابياً او مجالسياً او اي نوع اخر مثلاً. النشاط الشيوعي بالاساس هو نشاط سياسي، وان اداة النشاط السياسي هي الحزب. ولهذا، فانا استخدمهما بدل بعض.

قلنا ان النشاط الشيوعي لاينطلق من هيكلية التنظيم بالاساس. الهيكل تابع للهيئات والمهام (فونكسيون) او العمل وتابع للاوضاع. بيد ان عمله الاساسي هو نشاط يقوم به جمع، حزب او منظمة شيوعية بمعزل عن الزمان والمكان. اي افعال وتفاعلات ينبغي ان تنفذ باي حال من الاحوال. الهيكلية التنظيمية تعتمد على الظروف والاطوار. مثلاً، في اوضاع استبدادية، هناك تركيبة وهيكلية ضرورية، وفي اوضاع ديمقراطية هيكلية وترتيبات اخرى. في اوضاع الازمة الثورية، تبرز الهيكلية التنظيمية والمهام، وفي الاوضاع غير الثورية هيكلية ومهام اخرى. وغير ذلك. ولكن على اية حال، ثمة اعمال اساسية ومشاركة. الموضوع يتعلق بهذا العمل الاساس. يتعلق الموضوع بذلك المقياس او بصورة اقرب للشاقول الذي يبقى النشاط الشيوعي عمودياً.

ان العمل الاساسي هذا كامناً في هدف النشاط الشيوعي. لقد ذكرنا ان هدف النشاط الشيوعي هو تنظيم وتوحيد الطبقة العاملة من اجل القيام بالثورة الاشتراكية. في هذه الحالة ان العمل الاساسي ناجم وتابع من هذا الهدف، وسيكون عبارة عن التوعية والتوحيد والقيادة. انها اساس النشاط الشيوعي ومرتببات ببعض ولايمكن فصلها عن بعض وناجيات بصورة مباشرة عن هدف النشاط الشيوعي.

ان الجمع الذي ليس لديه هذا النشاط الاساس، لا يكون قد قام بنشاط شيوعي مهما قام بنشاط اخر. ان سمة وخصيصة الحزب الشيوعي للطبقة العاملة موجودة بهذه الحركات والتفاعلات المتقابلة. اما بالنسبة للهيكلية والترتيبات التنظيمية فهو موضوع جانبي في هذا المستوى من البحث.

المنظمات الشيوعية، في جغرافيا واطوار مختلفة، ذات هيكليات ومهام مختلفة. بيد ان هذا الفونكسيون الاساس هو مشترك في جميعها. ان ما هو متمائل وواحد، قبل اي شيء اخر، في نشاط المنظمات في جميع البلدان والعالم كله هو اشتراكهم في هذا النشاط الاساس. ان شكل التنظيم والمهام والاعمال من صلة النشاط الشيوعي والمنظمة الشيوعية تتأثر بالدولة، المجتمع، بتاريخ ذلك المجتمع والف عامل اخر. ولكن في المطاف

الاخير ان العمل الاساس للنشاط الشيوعي والعمل الاساس لحزب شيوعي هو توحيد، قيادة وتوعية الطبقة العاملة للثورة الاشتراكية.

اتناول هنا الخطوط الاساسية لهذا العناصر من النشاط الشيوعي والتي قلت عنها انها معجونة ببعض ولا يمكن فصلها عن بعض.

### 1- الوعي

في اغلب الاوقات يتم اختزال التوعية والوعي الى اعلان موقف او اصدار بيان او وثيقة. لا اتطرق الان الى المحتوى الشائع، واقصر لفت الانظار الى الاطار الشامل ولهذا العمل. وبتوضيح هذا الاطار، عندها يمكن الانتباه الى ان اشكال التوعية السائدة هي لا يمكن ان تكون خالقة للوعي فعلاً في اغلب الاوقات. انها تبدوا اقرب الى الفتاوي.

ينبغي الانتباه، في الخطوة الاولى، الى ان القصد من التوعية هو ليس فقط توضيح الحقيقة من زاوية منطقية، فلسفية او ايديولوجية توضيحية. التوعية هي عمل سياسي. الصراع حول حقيقة صراع سياسي. شن الحرب لجر الطبقة العاملة لتفسير صحيح وطبقي لكل الاحداث، التيارات، الشخصيات، والبنى الثقافية والسياسية والايديولوجية السائدة.

ان هذه التوعية هي ليست جدلاً او موضوعة حول الظلم، الظالم والمظلوم. اذ تتحدث جميع الحركات السياسية والاجتماعية بهذا الخصوص. والاهم من ذلك ان اساس مجمل الحركات غير العمالية، البرجوازية الصغيرة، الدينية للاشتراكية الرجعية وغيرها هو اساس تصوير المجتمع استناداً الى الظالم والمظلوم.

ان العمل التوعوي يعني تحديد كل هذه الاقطاب الثلاثة: الظالم، المظلوم، والمظلوم في قالب الراسمالي، الاستغلال والعامل. ان هذا هو بالذات اختلاف الشيوعية عن الشعبوية. الشعبوية ايضاً هي ظاهرة توضح نفسها في قالب فضح الظالم والدفاع عن حق المظلوم. ان الشعبوية وكل الحركات الاخرى التي اشرت اليها اعلاه، وعبر ابعاد هذه الظاهرة الملموسة الراسمالي-العامل والاستغلال الراسمالي وصيها في قالب الظلم والظالم والمظلوم، تبعد الراسمالية من الطبقة العاملة. ان هذه نشاطات مناهضة للوعي، خرافات، وهي حركات برجوازية في المطاف الاخير. حركات تنشئ ايجاد سبيل حل لمصائب ومآسي الصلات الاستغلالية والخضوع الاقتصادي والسياسي للطبقة العاملة في اطار الراسمالية.

لندع جانباً أولئك الشعبويين غير العماليين والمناهضيين للعمال على الاغلب، نرى نوع من عمل توعوي ليس معادياً للعمال فحسب، بل غير سياسي. في هذا التقليد، نرى عمل توعوي هو تبيان الحقيقة من زاوية منطقية ومدرسية. في هذه المنظومة، العمل التوعوي هو عمل نشر الحقيقة وليس نضالاً سياسياً. ان الطرف المُخاطَب في هذه العملية هو ليس قوة سياسية من اجل قضية سياسية (اي الطبقة العاملة من اجل الثورة الاشتراكية). بل ليس جزء من مشروع سياسي معين ومحدد. ذر بذور الوعي عسى ان تأتي بثمر يوماً ما، في اخره ما.

وبالطبع ان طيف اوسع من هذه النشاطات التوعوية هي خليط او مزيج من هذين التوجهين. على اية حال، ساسعى لاحقاً، من خلال البحث، توضيح هذا الامر اكثر.

نعود الى موضوعة العمل التوعوي، علينا ان نسأل انفسنا التوعية حول اي شيء؟ ومن اجل اي شيء؟ في العالم ثمة الاف وملايين المواضيع يمكن الوعية بشأنها. من النظام الفيزيقي للعالم الى النضال ضد انواع

## مبادئ النشاط الشيوعي

الميتافيزيقيا، من التربية حول السلامة والصحة الى تطور التاريخ والتاريخ. السؤال هو على اي مواضيع يتمركز الوعي بوصفه اساس النشاط الشيوعي، وما هو هدفه السياسي (اي العمل التوعوي-م)؟ من اي زاوية ينبغي ان نتوجه لموضوع العمل التوعوي؟ من هم الاشخاص الذين ينبغي مخاطبتهم؟ ما هو معيار نجاح هذا العمل التوعوي؟

في اكثر المستويات اساسية، العمل التوعوي هو لخدمة توعية الطبقة العاملة بضرورة وامكانية الاطاحة بالبرجوازية والنظام الراسمالي. على العمل التوعوي، بالاضافة الى وجوب نقده لآكثر مستويات الخرافات اساسية، الخرافات التي تبرر لوجود النظام الراسمالي، ومن اجل تحقيق هدفه، عليه ان يجعل المبررات الذاتية للثقت داخل الطبقة العاملة هدف عمله. ومن هذه الزاوية، عليه ان يضع على سبيل المثال هدف عمله هو الشفاقات الدينية، الجنسية، القومية، الاثنية، الفئوية والصنفية وغيرها. ينبغي ان يجعل موضوع نقده النظريات، التصورات، والمعطيات الفكرية للحركة والتقليد الذي له تأثير على اذهان الطبقة العاملة، وتبيان كيف ان هذه تؤيد وتؤزل عبودية الاجر. كيف تبقى الراسمالي جاثماً على صدر العامل. ينبغي من زاوية هذا الموقف وهذا الهدف المضي صوب المسك بخناق الدين، القومية، الليبرالية، القدرية، مكتب فرانكفورت وانواع المنظرين البرجوازيين وغيره.

ان مثل هذا التوجه يحدد مخاطب العمل التوعوي هذا ويرسم كذلك اطاره للحزب السياسي للطبقة العاملة على السواء. لقد كتب البيان الشيوعي، عالم افضل، مجمل كتابات ماركس وانجلز ولينين، وكان هذا الهدف وهذا الاطار نصب اعينها.

لقد سعينا، على سبيل المثال، في وثيقة "ماينبغي تعلمه"، التأكيد على هذا الجانب من العمل التوعوي. لقد اكدنا على ان مجتمعنا مجتمع طبقي. لا يمكن تفسير وتوضيح اسس صراعات المجتمع ونزاعاته وتلاطماته على اساس تقسيم المجتمع الى انسان وحيوان، الى مرأة ورجل، الى كرد وفرس، الى جيد وسيء و غيرها من هذه التصنيفات. وضحنا ان المجتمع يدور حول مجابهة وصلة العمل الراسمالي، وليس حول الانسانية واللائسانية، نزعات الخير والشر، الكرد والفرس والترك والعرب والعجم او اناس جيدين واخرين سيئين، النظام وغير النظام وغيرها. الكثير من البرجوازيين ليسوا اناس سيئين. ولكنهم يرون صلة ان يستلم احد اجراً ويعطي اخر اجراً ويأخذ الربح هو امراً طبيعياً. هم اناس خيريين وقد يساعدوا الفقراء كذلك.

لقد تمثل سعينا بلفت انتباه الطبقة العاملة الى ان ليس لدينا برجوازيين تقدميين وديمقراطيين. ان من يقوم بدعاية تخالف ذلك، يكذب عليكم. ان مصلحة الطبقة العاملة تقف بالضد من مصلحة البرجوازية ككل. حين تمد الطبقة العاملة ايديها للسلطة بهدف انتزاعها، فان اي امرء يمكن تسميته برجوازي، امرء يعيش على قوة عمل جمع اخر، سيظهر السلاح بوجه الطبقة العامل. اذا يقوموا اليوم بهذا العمل على هيئة حكومة وشرطة وقوى المسلحة، فانهم سيهبون ذلك اليوم جميعا على الطبقة العاملة.

لاندحة للعمل التوعوي هذا من ان يجعل جميع اعضاء واطراف الحركات البرجوازية وقنواتهم ومنطقهم وبحثهم والياتهم التي يؤثرون من خلالها على ذهن الطبقة العاملة موضوع نقده، ويحبطها ويبين ان مجمل الحركات البرجوازية تمصل مصلحة الطبقة البرجوازية. في النشاط التوعوي، ينبغي ان تكون هذه الحقيقة ماهية فضح التيارات البرجوازية. سواء اكان هذا التيار هو انواع القومية الكردية، القومية الايرانية، سواء الحزب الديمقراطي او الملكيين ام الشيوعية البرجوازية وغيرها.

ينبغي ان تكشف للطبقة العاملة، في هذه العملية، وثبت لها انهم يمثلون مصالح البرجوازية، لا ان تكشف انهم تخطوا اصولاً ما، او انهم غدوا كفرة او تحريفيين او انهم قوميين صرف مثلاً. اذا اردت ان تعري في كردستان الحزب الديمقراطي او القوميين، لا يمكن ان تمضي للمسالمة من زاوية المنطق العام بوصفهم دمويين وغيره. ولكن عليك، في كل خطوة، وفي كل لحظة، ان تبين انهم يمثلون مصالح البرجوازية الكردية بوجه

## كورس مدرسي

الطبقة العاملة. بخلاف هذا، ستبقى مقتصرًا على نقد نزعتها المساومة مع الدولة أو عدم صراعها بصورة جيدة أو غير ذلك، والذي هو على أية حال ليس بامر دقيق، ولا عميق، ولا تطبيقي ولا مؤثر في قضيتك. أو مثلاً فضح وتعرية فكرة ان الدولة والحكومة ليست ممثلة للطبقة البرجوازية أو ممثل مجمل المجتمع أو اساساً ممثلة لجماعات وعصابات، أو ممثلة للفرس وغيره. ان مثل هذا التوجه يغير من مجمل الدعاية من اللهجة الى المضمون والمحتوى.

او ان فكرة الثورة العمالية تزيل الملكية الخاصة من وسائل الانتاج، وتزيل الانتاج من اجل الربح، وتطيح بالنقد وكل اشكال الاستغلال. واخيراً، ان الثورة العمالية هي امراً ممكناً وضرورياً اليوم. اذا كانت رؤوس النقاط هذه قد قبلتها 10% من الطبقة العاملة في ايران، ستكون الثورة العمالية امراً عملياً اليوم. بوسع الطبقة العاملة ان تستلم السلطة السياسية اليوم بصورة فورية. يمكن اعلان قرار الانتفاضة العمالية. ان مثل هذه الثورة لا يمكن توضيحها بالتحريض ضد الظلم والنهب، ناهيك عن الدعاية لها.

ينبغي على العمل التوعوي ان يجعل من المعضلات الحقيقية في العقلية والتقليد السياسي السائد على الطبقة العاملة هدفه. مثلاً افكار من مثل ان الثورة العمالية ليست ممكنة الان، ولكن ينبغي الارتقاء بالتصنيع الان! الثورة العمالية هي امراً ممكناً، ولكن ينبغي الارتقاء بثقافتنا الان! الثورة العمالية هي امراً ممكناً، ولكن الازدحام ليست ثورية الان! الثورة العمالية مهمة ولكن ليس وقت الصراع الان مع جماعة الخضر (جماعة موسوي)، الثورة العمالية مهمة، ولكننا نحن الان كرد، او ايرانيين، اترك او عرب وغيره، اولاً ينبغي ان نحل مسألة الظلم القومي او ضغط الامبريالية، الثورة العمالية امراً ممكناً، ولكن علينا ان نفكر باجورنا الان، وان نبتعد عن السياسة وغير ذلك. ان مثل هذه الافكار تثقل، بصورة واعية او غير واعية، على ذهن الجماهير العريضة للطبقة العاملة، و فقط عبر صراع دؤوب ومستمر، وفي صلب التجربة اليومية للطبقة العاملة، يمكن القيام بنضال مؤثر ضدها.

ان قسماً مهماً من العمل التوعوي هو النضال ضد العمل المشوش على الوعي او النضال ضد التبليغ. انه ليس بامر سهل وبسيط. انه وعي حولته البرجوازية على شكل دين، ثقافة، وتربية وتعليم، تلفاز وسائر وسائل الاعلام الجمعية الى معطيات معروفة و"طبيعية" الى حد كبير في ذهن الطبقة. ان مجمل المنظومة التي تبلى وخلفت للتبليغ. ان مجمل مؤسسة التربية والتعليم، من الصف الاول الى الثانوية، الى مستوى الدكتوراه وبعده، وحيث يرتبط الامر بالبعد الاجتماعي هو تبليغ بالاساس. وحيث ان البعد الكيميائي والفيزيائي ومن هذا القبيل، فان البرجوازية في المطاف الاخير، ومن اجل مصالحها، ينبغي ان تتحلى بفيزيائيين وكيميائيين، وتركن لاسسهم العملية. ولكن هذا الشيء الذي تعلمه وتدرسه بوصفه علم المجتمع، علم الصلات بين الناس (سواء القديم بوصفه تاريخ او اليوم بوصفه علوم اجتماعية وسياسية) هو تبليغ، ولخدمة صيانة الوضع الراهن. بكلمة ما، ان الثقافة، السياسة والعلوم الاجتماعية تصوغها الطبقة السائدة.

ما اود قوله ان الثقافة السائدة في المجتمع هي ثقافة الطبقة السائدة. لو نقرأ الف دعاء اشتراكي في اذان اطفالنا، فانهم في المطاف الاخير يجلسون امام التلفاز ويذهبون للمدرسة ويتعلمون الجيد والسيء او المهم وغير المهم من هذه القنوات. اذا كنت فتاة ولا تلبسي مثل "مد اليوم"، سينظر لك وكأنك شاذة او هوجاء. ولهذا، وكما تكون لك صلات اجتماعية يمكن تحملها، عليك ان تقبل بالمعايير. من بين مئة الف فتاة، يمكن ان نجد واحدة تقول لا. هذا هو واقع الحال مع الاولاد ايضاً. اذا كنت واسع البال والصبر، ولست عنيفاً ولا تستهين وتهين المرأة ولا تتحدث بصورة مصطنعة، فانك تعلن عن نفسك بوصفك "انسان مختلق"، وفي المطاف الاخير، تعاني الوحدة والانزواء.

ان حملة الشهادات الساخطين وحركة حملة الشهادات الساخطين هم انفسهما منبع قسم كبير من منظومة التبليغ القائم. لا استخدم كلمة مثقف لهؤلاء، وذلك لان هناك جانب ايجابي في كلمة مثقف. اذا كان الامر كذلك في



## مبادئ النشاط الشيوعي

عصر الاقطاعية، فانه ليس صحيحاً الان قطر. ولهذا ينبغي تسميتهم بحملة الشهادات فقط. لديهم شهادة دراسية. بيد ان ماهية ماتعلموه هو خرافة وتبليغ كليا. انهم ادوات ترسيخ الثقافة السائدة قبل اي شيء اخر. لا يتمتعون بالثقافة اساساً، بل انهم عامل بث ونشر الخرافة. انهم ينظمون حركات ويصيغون نظريات لحرکتهم يعد فيها صيانة عبودية الاجر ومنظومة الاستغلال الراسمالي معطى. تمكنت البرجوازية عبر قدرة وقوة هذه الشهادات والتخصصات ان تنتج منظرين ووعي مضاد بابعاد "جماهيرية". انهم قسم من مؤسسة انتاج الوعي المضاد والشيوعية البرجوازية. الشيوعية البرجوازية هي مؤسسة انتاج الخرافة من الناحية الفكرية. انها مؤسسة تبليغ الطبقة العاملة.

اذا لم يلج العمل التوعوي من هذه الزاوية وفي هذا السياق الصراع مع الحركات والسياسات والنظريات البرجوازية، لن يتمكن من تحصين الطبقة العاملة منها وصياغة وتشكيل وتوظيف الوحدة الداخلية للطبقة العاملة امام البرجوازية. اذا لم يلج العمل التوعوي الصراع بهذا السياق، سيكون نقده شعبوياً للبرجوازية. سيحل النضال وتبيان الامور ضد الفقر والماسي بدل النضال وتبيان الامور ضد الراسمالية والبرجوازية، وهو المكان الذي ينتمي اليه كل الشعبويين من احمد نجاد الى شعبيوي اليسار.

اذا لم ينطلق العمل التوعوي من نقطة انطلاق ماركسية وشيوعية، لا يمكن ان يوضح اختلاف نزعة حداثة وعصرانية الطبقة العاملة عن حداثة وعصرانية البرجوازية، او الاختلاف مابين الفيمينية والاشتراكية، اما مناهض للحداثة والعصرانية والميل للنزعة الرجولية او يسلم الطبقة العاملة مكبله الايدي للنزعة القومية الايرانية المفعمة بالشعور بالعظمة والمناهضة للاسلامية. ان هذا هو بالضبط اختلافنا مع الشيوعية البرجوازية في نقدها الوسطي لتيار الخضر. لقد كان هذا الاختلاف هو بوصلتنا في الصراعات السياسية والاجتماعية مع التيارات البرجوازية المناصرة والمعارضة للخضر في سياسة ايران. لم تكن التيار الوحيد المعارض للخضر. ان قسماً من البرجوازية، سواء اولئك الذين اصطفوا مع احمد نجاد ام قسم من القومية الايرانية والقومية الكردية، لم يمضوا مع الخضر او فصلوا بعقيديتهم صف "الجماهير" عن صف الخضر. لقد كنا تياراً ماركسياً وشيوعياً معارضاً للخضر، تيار ينظر من زاوية الطبقة العاملة ويعرف ويبين للطبقة العاملة الخضر ومناصريهم ومعارضهم وفق هذه الرؤية. لم تكن منتقدين للخضر فقط. بل كنا منتقدين المعارضين البرجوازيين للخضر كذلك.

يصح هذا كذلك على التعامل مع النزعة الاصلاحية. ان الاصلاحية التي تستند الى قصر النظر داخل الطبقة العاملة هي ذات نفوذ عملي كبير جدا على اذهان الطبقة العاملة. نفوذ يلقى ستاراً على اهمية الوحدة الطبقيّة. تصويراً يوصل الطبقة العاملة الى قناعة مفادها ان علينا ان نثبت اقدامنا ونرفع اجورنا وانشاء الله تحدث ثورة (اية ثورة؟) يوماً ما.

اذا لم يستطيع العمل التوعوي الشيوعي ان يدخل هذه المسائل من السياق الذي اشرت اليه، اما ينجم عن ذلك موقف مناهض للاصلاحات وناشطيه، وهو الذي يعني بالصد من الطبقة العاملة، او يصبح اصلاحياً. ان بوسع العمل التوعوي، من زاوية وموقف شيوعي للطبقة العاملة فقط، ان يكون مطالباً بالاصلاحات ويتقدم صفوف النضال من اجلها ومطالباً بالثورة العمالية ويقف في مقدمة صفوفها على السواء. عبر هذه الزاوية فقط يمكن تشكيل وصياغة الوحدة داخل الطبقة العاملة، وهو الامر الذي يتمتع بمثل هذه المزية كذلك. ان النضال من اجل الاصلاحات والنضال من اجل الثورة العمالية كلاهما بوصفهما سياسة او وعي وموقف واحد.

ان جانباً اخر يتمتع باهمية في النشاط التوعوي الا وهو شن الحملة او النضال ضد الوعي المعوج او الوعي المضاد. يمكن ان تناول هذا لاحقاً في اطار جوانب اخرى اشرت لها سابقاً. ولكن اود ان اؤكد على بعض النقاط هنا. وذلك لاني ساشير اليها بشكل مستقل ومنفصل. ثمة تيارات كثيرة داخل الحركة العمالية نفسها تنتج

## كورش مدرسي

هذا الوعي المعوج. في الحقيقة ينبغي التصريح بحقيقة ان الوعي العفوي والتلقائي للطبقة العاملة بمكانتها هي معوج الى حد ما، ونظراً لهذا الاعوجاج تغدوا النظرية الماركسية والامام بها امراً ضرورياً.

مثلاً هناك ميل او تيار يعتبر النزعة النقابية (سنديكاليسم) ظاهرة معطاة وعفوية داخل الحركة العمالية تنتجها بصورة عفوية وتلقائية المكانة الاقتصادية للعمال والمصائب الناجمة عنها والنضال الاقتصادي اليومي. البعد والهروب من التدخل في السياسة من زاوية مصلحة الطبقة العاملة، الصنفية، القسمية (من القسم الانتاجي-م) والفرعية (من الفرع الانتاجي-م) من بين ماتنتجه. وبالاخص، وعلى الاغلب، في توازن قوى سياسي في المجتمع في اوضاع غير ثورية، فان التشكيلات الصنفية او المحدودة هي الامر الممكن. ينبغي الاستفادة دون شك من هذه الامكانية، وبدونها يستحيل العمل العلني او "القانوني" اساساً. ولكن يمكن ان يتحول هذا الاطار الى نزعة وعقلية الرضا بما موجود وتقديسه اي البقاء مقتصرأ على الامكانية وتقديس الواقع القائم وامكانياته وتقديس المنظمات العمالية المشتتة والمبعثرة.

بوسع البرجوازية، وطبقاً للاوضاع والظروف، ان تركز الى اشكال وانواع من المنظمات العمالية الاصلاحية التي هي نفسها محدودة بهذا النوع من الامكانيات. ان مزية الناشط والقائد العمالي هي ان لايعرف فحسب ان هذه المنظمات ينبغي ان لاتقدس، بل وان لايسمح في كل خطوة ان يترسخ ويتعمق مثل هذا التصوير في ذهن الطبقة العاملة. ان هذا بالضبط هو احد الاختلافات التي يتحدث عنها البيان الشيوعي بين الشيوعيين وسائر الاحزاب العمالية. ان الشيوعيين هم ممثلين مصلحة مجمل الطبقة العاملة اليوم وغداً.

يسعى النشطاء المطلخون بهذه الميول الصنفية او النقابية على الاغلب لايجاد نوع من الاتحاد داخل صف الطبقة العاملة، وبوجوده. ولكن في الوقت ذاته، ينجم عن هذه التيارات ان ضيق رؤيتهم تخلق وترسخ شقاً او فصلاً في صف الطبقة العاملة في الوقت ذاته. لقد اكدنا على ان الناشط الشيوعي يشد على ايدي اي امرء يخلق اي درجة من الاتحاد داخل صف الطبقة العاملة ويمد يده له. ولكن يوضح في الوقت ذاته بصورة مخلصمة محدوديات هذه المساعي. اذا لم يكن في هذه المساعي وعي طبقي وشيوعي عميق سائداً، تؤدي هذه المساعي الى تاسيس الفرقة بين العمال.

ينبغي ان نميز هنا ما بين تاسيس نقابة او منظمة صنفية مع النزعة النقابية والنزعة الصنفية. ان تشكيل نقابة، صناديق التعاون، اتحادات صنفية وغيرها هي دون شك خطوة مهمة في خلق الاتحاد ما بين الطبقة العاملة، والذي على الشيوعيين ان يكونوا في مقدمة صفوف النضال من اجل ذلك. ولكن اذا اصبح هذا العمل هدفاً بحد ذاته، ولم يتحول الى خطوة صوب توحيد مجمل العمال، عندها نفع في النزعة النقابية والصنفية والاصلاحية. يمكن رؤية حصيلة سيادة مثل هذا التيار في البلدان الغربية او البلدان التي فيها نشاط الاتحادات حر او حر نسبياً. لقد قسموا العمال الى اصناف مختلفة، قوميات مختلفة وبعض الاحيان جنس مختلف، وابتدوا هذا التقسيم. جمع عمال يعملون على السيارات، جمع سواق، جمع في نقابة النقل، اخريين سواق مترو وحافلات، جمع بائعي تذاكر النقل، عمال مراقبة التقاطعات وغيرها. السواق مضربون، بائعوا تذاكر النقل يعملون، عمال المخزطة في احتجاج، ليس السواق متدخلين وغير ذلك. ان هذا النمط من التنظيم يضيق بشدة عملياً قدرة الطبقة العاملة. جعل من الفرقة امراً ابدياً.

لايمكن للنشاط التوعوي الشيوعي ان لايجعل من هذا الوعي المعوج موضوع عمله، وعي معوج يُنتج بصورة عفوية داخل الطبقة العاملة وتعمقه البرجوازية باية هيئة او شكل كانت.

ثمة جانب مهم اخر يخلق اعوجاجاً في وعي صف القادة والممرضين البروليتاريين على وجه الخصوص، وربما يجب ان يتم تعريف وتحديد جانباً اخرأ من النزعة الصنفية الا وهو عدم ايلاء اهمية لتعلم الماركسية بوصفها علم تحرر الطبقة العاملة. وكاي علم اخر، ينبغي تعلم الماركسية. لايمكن لاي شخص ان يتعلم اي

## مبادئ النشاط الشيوعي

علم، ومنه الماركسية، بصورة عفوية وتلقائية وغريزياً. بقدر الامام بعلم الطيران ضرورياً لبناء طائرة، يعد الامام بالماركسية هو امراً ضرورياً لتحرر البروليتاريا. وبالقدر الذي يستطيع امرء ما ذا صلة بالطيران ان يصنع طائرة بصورة غريزية، بالقدر ذاته بوسع الفرد المهتم بتحرر البروليتاريا ان يستخلص سياسة صحيحة لتحرر الطبقة العاملة عبر الغريزة. عدم الاهتمام بالنظرية الماركسية، عدم الاهتمام بالاهمية الحياتية لتعلمها يبلغ بعض الاحيان الى تعميق التضاد مع المثقفين الشيوعيين حتى.

ليست قليلة هي التيارات التي ليس لها صلة رسمياً وعملياً بتعلم الماركسية، بل ترفع راية مناهضة المثقفين الشيوعيين. في مرحلة الثورة الايرانية، اطلق عليهم اسم عامل عامل (تيار التشدد اللفظي الفارغ باسم العامل والمناهض لهم). وان كل منظريهم كانوا مثقفين! ان هذا الميل يبرر سياسة وتقاليدهم غير عمالية ومناهضة للعامل سائدة على اذهان اغلبية مثقفي المجتمع وتتغذى منها. مثلما ان القمع يقوي النزعة الصنافية. على اية حال، ان هذا التشوش والاعوجاج يحرم الطبقة العاملة وقادتها من الامام بعلم تحررها.

على اية حال، ينبغي ان يكون النشاط الشيوعي التوعوي حساساً تجاه هذا التيار، ويحصن الطبقة العاملة منه.

## 2- الاتحاد

ان العمل الاساس الثاني للنشاط الشيوعي هو توحيد صفوف الطبقة العاملة. بهذا الخصوص ايضاً، السؤال الاساس هو لاي شيء ينبغي توحيدهم؟ لماذا ينبغي توحيد الطبقة العاملة وبأي صفة؟ اشترت الى انه من الممكن توحيد العمال من اجل القيام بثورة قومية. او تنظيم العامل حول هوية قومية، دينية، لنيل حقوق الايرانيين، الكرد وغيرها. لا تقصّر القومية والقوميون في سعيهم بهذا الخصوص. او يمكن توحيد العامل من اجل الديمقراطية واسقاط النظام. اذ تقوم بهذا العمل مجمل الشيوعية البرجوازية، الشعبويين. او يمكن توحيد العامل من اجل تحسين ظروف بيع قوة عمله فقط، وهو العمل الذي يقوم به النقابيون. ان النشاط الشيوعي، طبقاً للتعريف وفي اكثر مستوياته اساسية، يوحد العامل بوصفه عامل في جميع الابعاد وضد البرجوازية بجميع الاشكال ويجره للميدان. اي بوصفه كائن مناهض للبرجوازية، طبقة تتصدى للبرجوازية. طبقة تريد انتزاع السلطة السياسية من ايدي البرجوازية وتطيح بمجمل النظام الراسمالي.

اذا لم تكن لدينا هذه البوصلة في النشاط الشيوعي، سنقع عملياً في الذيلية للمسار العفوي والحركات البرجوازية. في عالمنا، ليس للحزب القومية، الدينية والنقابية من امثال الاشتراكية الديمقراطية او حزب العمال البريطاني ارتباط وصلة ونفوذ قليلين بين الطبقة العاملة. كل منهم يسعى لتوحيد الطبقة العاملة طبقاً لحاجات ومقتضيات حركته. يمكن توحيد العامل بوصفه قوة للاطاحة بالنظام. اقله هم العمال الذين جرحهم الخميني والتيار الاسلامي بهذا الاطار للميدان؟ انه جر العمال للميدان او الاتحاد في صلب الصراع بين التيارات البرجوازية، وليس في سياق مجابهة العامل لمجمل الراسمال. يصح الامر كذلك على الثورية البرجوازية الصغيرة والشعبوية كذلك، والشيوعية البرجوازية ايضاً.

ان مجمل هؤلاء اساساً يوحدون العامل خارج عن وجوده الاجتماعي-الطبيقي، بوصفه صنف، قوة ضرورية لاقتدار حركتهم.

اود ان اؤكد على وجوب التحلي في كل لحظة وكل مرحلة وكل تكتيك في النشاط الشيوعي بهذه البوصلة التي ينبغي ان تخرج الطبقة العاملة في هذا السياق وبهذا الهدف اكثر توحداً في تلك اللحظة والمرحلة او نتيجة لذلك التكتيك الفلاني. وعليه، حين نتحدث عن العمل الاساس للنشاط الشيوعي هو العمل التوحدي، ينبغي ان يكون واضحاً لنا ان قصدنا هو توحيدها بوصفها طبقة امام طبقة اخرى. ينبغي ان يتجسد هذا السعي من اجل الاتحاد في الابعاد الاقتصادية، السياسية والثقافية وغيره.

انه لخطأ مميت ان نعتقد ان الشيوعيين والحزب العمالية لديهم عمل داخل الطبقة العاملة، يعملون عليها

ويخلقون فيها منظماتهم. ان مجمل التيارات البرجوازية من الليبرالية الى القومية والفاشية، من الاسلامية الى المسيحية واليهودية، من النقابية الى اي متوحش سياسي برجوازي يتجهون للطبقة العاملة. حين يندلع صراع سياسي حاد بين التيارات (سواء في الشوارع ام امام صناديق الاقتراع) تحتاج البرجوازية الى القوة الكبيرة عددياً للطبقة العاملة وكادحي المجتمع. ليس ثمة حرب يخوضها البرجوازيين وحدهم، ولايوصلون بها لنتيجة وحدهم.

على اية حال، اذا كان الاتحاد يعنى الاتحاد بوصفها طبقة، عندها لايمكن ان يقام هذا السعي خارج عملية عمل الطبقة العاملة ومعيشتها. ان الشيوعيين في وضع مناسب دون شك لجر الطبقة العاملة الى الشوارع ومنازيس الانتفاضة والحرب المسلحة. ولكن تتوقف درجة نجاح هذا العمل على كون الطبقة العاملة قد جُلبت للميدان وصفها طبقة منظمة.

ان هذه البوصلة والتوجه في تشكيل منظمات عمالية متنوعة لتوسيع اتحاد الطبقة العاملة هو امراً حياتياً. ينبغي على الشيوعيين ان يكونوا في طليعة تاسيس اي نوع من التنظيم يزيد من الاتحاد الداخلي للطبقة العاملة. من هيئة الممثلين الى الاجتماع العام، من النقابة الى الاتحادات، ومن الصندوق التعاوني الى صندوق الاضراب وفريق كرة القدم وغيرها. ولكن ينبغي ان يسود عليها كلها افقاً عاماً وهو توحيد الطبقة العاملة ضد البرجوازية ومن اجل الاطاحة بالنظام الراسمالي. لقد اشرنا الى ان جميع هذه التشكيلات هي متاريس. النقابة، الاتحاد وغيرها هي متاريس وخنادق للدفاع والمقاومة بوجه البرجوازية. بيد ان المرء الذي يقدر هذه ويضفي صفة مثالية عليها ويفصلها عن سياق السعي للتوحيد الطبقي للعامل هو نقابي وليس شيوعي. نقابية تاتي من داخل حكومة توني بلير في بريطانيا والاشتراكية الديمقراطية في السويد هي اكثر يمينية من الاحزاب المحافظة.

ان تنظيم الطبقة العاملة هو ليس تنظيم الفقراء. يسعى النشاط الشيوعي دون شك الى لف الفقراء والمعدمين والمحرومين حوله، بيد انه ليس تنظيم الفقراء. ان وضع العامل في اغلب الاحيان افضل من فقراء المجتمع والكثير من الفلاحين. ان الثورية والاتحاد الطبقي للعامل لاتنجم عن فقر العامل. تنجم عن مكانته في الانتاج وصلته بالرأسمال. ان هذا خطأ يرتكبه الكثير من الشعبويين والخيريون. انهم ينظمون حركة الفقراء، والتي في المطاف الاخير تتموضع في صلب حركات برجوازية. ان حركة توحيد العامل هي اساساً توحيد البروليتاريا الصناعية من اجل اقامة الثورة البروليتارية.

ينبغي الفصل بصورة كلية وتامة مابين مقولات ومفاهيم من مثل التوحيد كطبقة عاملة والتوحيد كقوة حازمة وراسخة لحركة اخرى. ينبغي ان يكون واضحاً ان الطبقة العاملة تريد عدم بقاء النظام الراسمالي، وتعرف ان اول خطوة في هذا السبيل هو الاطاحة الثورية بالجمهورية الاسلامية. ولكن يستطيع العامل ان يلعب هذا الدور فقط بدخوله الصراع والانهماك به بوصفه عامل وبهدف الثورة البروليتارية وان يعرف تمايزه مع مجمل التيارات والتقاليد البرجوازية.

لقد ذكرنا ان الطبقة العاملة ليست ظاهرة تحليلية، بل حقيقة موضوعية. انها ليست مقولة ايديولوجية ثمرة الوحدة العمالية، وان يكون موضوع السعي الموحد في النشاط الشيوعي هو اتحاد الطبقة العاملة نفسها. وعليه، لايمكن لمركز سعي النشاط الشيوعي والمنظمة الشيوعي من اجل وحدة الطبقة العاملة ان لا يكون مراكز نشاط البروليتاريا الصناعية. لايمكن ان يحل اي قسم من المجتمع محل الطبقة العاملة. لايمكن ان يكون الحزب الشيوعي العمالي للطبقة العاملة الايرانية في فنلندا. ليس بحثي وموضوعتي هي نقطة انطلاق نشاط شيوعي. محل تمرکز نشاطه في عملية تطوره. ينبغي ان تكون المنظمة الشيوعية منظمة العمال. ان الطبقة العاملة في ايران تعمل في مكان معين، وفي مكان معين تجدد قوى عملها، وان المكان الذي تعمل فيه هو المعمل ويطلق على المكان الذي تجدد فيه قواها اسم محلة. وان هذين المركزين هما ارضية توحيد الطبقة العاملة. ان اتحاد البروليتاريا هو هذا الشكل من الاتحاد، لقد كان البلاشفة هكذا. هذا كان حال الاحزاب

العمالية.

مع مصادرة حركات برجوازية للشيوعية، تكشف وتبين تدريجياً أن النشاط الشيوعي والحزب الشيوعي ليسا بحاجة الى العامل اساساً. من الطبيعي ان يبلغ المرء ما هو عليه الحال الان. ان ماهية الحركات البرجوازية اوصلت الحال الى هذا المكان. في ستينات القرن المنصرم، كانت نظرية اليسار الجديد هي ان الطالب والشاب هما القوى المحركة للمجتمع اساساً، وليس العامل. وان ذلك تحت مبرر ان العمال ليسوا ثوريين بقدر الطلبة اساساً، او انهم لم يبقوا بعد بوصفهم اغلبيية المجتمع اساساً.

ان كتاب "عشرة ايام هزت العالم" يزود المرء بتصوير حي لشكل الاتحاد الذي خلقه البلاشفة داخل الطبقة العاملة الروسية. ان الساحة التي يصورها جان ريد في هذا الكتاب هي مثيرة للاهتمام. في محطة قطار، يتجادل منسفي مع عامل. يقول المنسفي للاشتراكية شروط ويشرع بايراد نظريات عجيبة وغريبة لاثبات ان البلاشفة مخطئين. يرد العامل البلشفي: انك متعلم كثيراً بدرجة لا تستطيع ان ارد عليك، ولكن بلغت في المطاف الاخير نتيجة وهي ان المجتمع طبقتين: برجوازية وبروليتارية والبلاشفة انصار البروليتاريا. يعود الطرف الاخر مرة اخرى للتوضيح بالحديث عن الاقتصاد والتطور التاريخي وان هناك ظروف وشروط مسبقة للاشتراكية، ويديم حديثه لعشر دقائق. يرد العامل الشيوعي مرة اخرى ويقول: انك انسان ذا اطلاع فعلاً، ولكن في المجتمع هناك طبقتين فقط: البرجوازية والطبقة العاملة. والانسان اما مدافعاً عن هذا او مدافعاً عن ذلك. ولكن مرة مرادد منطقته هذا، شرع الطرف الاخر بتوجيه الشتائم واللعنات للعامل البلشفي متهماً اياه بالتخلف. ان قصدي هو ان ذلك العامل وعى هويته وماهيته الطبقيية امام البرجوازي.

او ان عاملاً في كردستان يقول ان الحزب الديمقراطي هو حزب برجوازي. سواء اكان متشدداً ام لا، فيدرالي النزعة ام لا، يود ان يحارب جيداً ام... ام. انه حزب برجوازي. انه حزب صاحب عملي. اذا كنت اعمل في كورة طابوق، فانه حزب صاحب الكورة، واذا اعمل في معمل ماء، فانه حزب صاحب المعمل. ان هذه الحكومة، ورغم اختلافاتها مع الحزب الديمقراطي، فانها سوية حماة مصالح الراسمال وممثلة الحزب الديمقراطي في الدفاع عن صاحب عملنا، حتى لو كانت الحكومة ليست حكومة الحزب الديمقراطي او القوميون الاخرين، فانها تضع مهمة هذا الدفاع على كاهلها. ولبلوغ هذا الهدف، لابد من نشاطنا التوعوي والتوحيدي.

توحيد الطبقة العاملة بوصفها طبقة امام البرجوازية. في الميدان السياسي، في الميدان الاقتصادي، الثقافي، في ميدان الحركة وفي اي ميدان يمكن تصوره. انه مفتاح توحيد الطبقة العاملة ووعيتها.

ذكرنا انه بمحض ان يتوحد 10% من الطبقة العاملة في ايران وتتحدى بهذا الوعي، ستكون الثورة العمالية امر اليوم وغدا. ان هذا الاتحاد يخلق المعجزات. في اوضاع مثل هذه، تصبح الثورة البروليتارية والاعداد للانتفاضة هو امر على جدول اعمال اليوم. وذلك لان البرجوازية عاجزة امام هذه المقاومة.

### 3- القيادة

لقد ذكرنا ان النشاط الشيوعي هو، في اكثر مستوياته بنويوية، نشاطاً توعوياً، موحّداً وقيادياً. كما ذكرنا ان هذه الالوجه من النشاط الشيوعي هي ليست جوانب تقنية فحسب، بل متعلقة بهويته ولا يمكن استنتاجها من اي كتاب، منطق، او من علم الادارة.

لقد تحدثنا عن الالوجه التوعوية والتوحيدية للنشاط الشيوعي. نصل هنا الى جانب اخر الا وهو الجانب القيادي. لتوضيح هذا الجانب من النشاط الشيوعي، علينا، مرة اخرى، ان نتبع اشكال المنطق الطبقي التي تعقبناها في الجوانب الاخرى.

لقد ذكرنا ان خصيصة النشاط الشيوعي، والتي سنتحدث عنها لاحقاً بصورة اوسع، هو ان النشاط الشيوعي ليس نشاطاً فكرياً او ثقافياً او دعائياً فحسب. انه صراع سياسي كبير. في الحرب، تغدو القيادة امراً محورياً. بدون التحلي بمفهوم القيادة، وبدون التعريف الدقيق لهذا المفهوم في سياق حرب ما، لايمكن الحديث عن النصر في تلك الحرب. وعليه، ثمة حقيقة وهي اننا لانواجه في نشاطنا الشيوعي، اي حين نكون في انهماك بحرب كبيرة، الجيوش المسلحة للراسمالية، الشرطة والمعتقلات، بل بالاضافة الى هذا، بجيوش اكبر واكبر، ثقافية وفكرية للبرجوازية، وهي، اي الحقيقة، توصلنا الى الحاجة الى تحديد الخصائص الاساسية لقيادة شيوعية في هذه الحرب.

ثمة اسئلة كنا قد طرحناها على انفسنا، ومن الضروري هنا تكرارها فيما يخص جوانب اخرى. قيادة في اي حرب وقيادة لاي شيء؟ وبأي هدف؟ للرد على هذا السؤال، يمكن ايراد قائمة طويلة، ساتناول هنا بعضها. القيادة في تعميق الوعي الطبقي: ان تعميق الوعي الطبقي هي حرب. ومثل اي حرب اخرى، هناك مجموعة غير محدودة من المعارك الكبيرة والصغيرة. لايمكن للنشاط الشيوعي ان يكون موفقاً في هدفه هذا ان لم يشارك في كل معركة وفي المعارك كلها، ويعمق خطوة خطوة الوعي الطبقي للطبقة العاملة، والاستفادة من اي تجربة في تعميق هذا الوعي. لايلح شيء محل التجربة في حياة الطبقة العاملة ونضالها. ينبغي الدخول في هذه المعركة في خضم مجمل القضايا والتحركات السياسية، الاقتصادية والثقافية وغيرها، ووضع تلك المعطيات التي تلطخ ذهن العامل نصب العين وبلوغ النصر في هذه المعارك. قد تلحق بك الهزيمة في النضال المحدد حول مطلب محدد، بيد ان دروسها هي خطوة مهمة في الارتقاء بوعي الطبقة العاملة. على القائد الشيوعي، من بين ذلك، ان يكون قادراً على تحويل حتى الهزيمة الى تعميق للوعي الطبقي للعمال. مثلما قام ماركس بهذا العمل فيما يخص هزيمة كبيرة مثل كومونة باريس.

القيادة في توسيع الوحدة الطبقيّة: ان المعطيات البرجوازية هي مثل عصب الاعين، تقلل من الرؤية الطبقيّة للعامل فيما يخص المصلحة المشتركة للطبقة العاملة امام البرجوازية. ثمة حكم اساسي للبيان الشيوعي الا وهو اعلان الحرب على الثقافة والتفكير والمعطيات البرجوازية هذه. ان الجملة الاخيرة للبيان الشيوعي هي: ياعمال العالم اتحدوا. هي اثبات ان ليس فقط عمال الاقسام المختلفة في ايران منخرطة في حرب واحدة مع البرجوازية، وينبغي ان تكون في صف واحد، بل ان العامل الكردي، الفارسي، التركي، الافغاني، العربي، الامريكي، الاسرائيلي وغيرهم، وان عمال العالم منخرطين في حرب واحدة ضد الراسمالية في كل العالم. انهم بامس الحاجة لقوى بعض، وينبغي ان يعضوا ايديهم بايدي بعض سوية امام البرجوازية، وان الكل بحاجة لنشاط متمركز، وبقية القوى الموجودة في جميع ميادين هذه الحرب.

القيادة في حث الخطى صوب السلطة والاقطار السياسيين: النشاط الشيوعي هو نشاط سياسي من حيث الماهية والمحتوى. نشاط من اجل استلام البروليتاريا الثورية للسلطة السياسية. ان موضوعه الحزب والسلطة والاقطار السياسيين اجمالاً تنضوي في هذا الهدف. اي بمعنى ان البروليتاريا الثورية تستلم السلطة بحزبها. اما فيما يخص كيف تتم هذه الخطوة، وفي اية اوضاع وظروف، ومن قبل اي نوع من الحزب، وباية ابعاد، فاننا قد تحدثنا عن هذا في امكان اخرى بالتفصيل، وهو ليس موضع بحثنا الان. ان ماهو موضوع بحثنا هو المضمون الاساسي لهذا التفاعل المتبادل. ساوضح لاحقاً مكانة اليات من مثل "حرس الحرية" (اسم القوى المسلحة التي شكلها الحزب الحكمتي-م) في اتخاذ خطوة صوب السلطة والاقطار السياسيين.

اود ان اؤكد هنا على ان النشاط الشيوعي هو نشاط في ميدان النضال السياسي. النشاط الشيوعي ليس نشاطاً يخص قضايا معمل ما فقط. ذكرنا ان اداة الثورة العمالية هي التحزب السياسي قبل اي شيء اخر. يمكن الاشارة الى الكثير من المحاور في هذا الاطار. بيد ان مضمون جميعها هو وضع الطبقة العاملة في مكانة اكثر مناسبة للقيام بالثورة البروليتارية. اذا لم نتحلى بهذه البوصلة، سنقع فريسة الصنفيّة عمل اجتماعي خيري وغيرها، وبغض النظر عن كونها جيدة ام سيئة، فانها تبقى على صيانة المجتمع الراسمالي على اية

## مبادئ النشاط الشيوعي

حال. بهذا السياق، يمكن توجيه النضال في الميادين المختلفة واعطائها مكانتها الصحيحة.

القيادة في تحسين ظروف المعيشة والعمل: كلما تحسن وضع العامل، كلما تحسنت امكانية نضاله من اجل الاشتراكية. على النقيض من تصورات انصار الفقراء واشتراكية الفقر الذين يعتقدون انه كلما كان الانسان افقر ويغط في المصائب اكثر، يصبح نضاله اكثر اشتراكية، بيد انه كلما كان العامل اكثر رفاهاً، كلما ازداد مستوى تطلعاته.

حين يعود عامل يعمل ثمانية ساعات في اليوم بدل من خمسة عشر ساعة الى بيته، وبدلاً من يتصبب كل جسمه عرقاً، وليس لديه امكانيه على اللحاق باوضاع عائلته وماتحتاجه، بوسعه ان يخلص عائلته من الجهنم الذي ترسف به، بوسعه ان يتابع متطلبات طفله، ان يقرأ كتاباً، ان يعقد اجتماعاً مع رفاقه، بوسعه ان ينظم نضاله وغير ذلك.

ان هذه ظاهرة لايفهمها البرجوازي الصغير. انه يعتقد انه كلما يكون الانسان افقر، يكون اكثر ثورية. ان الفقير امرء يرسف بالجزع والقنوط. وان الانسان الجازع والقانط لا تطل ايديه شيء. انه مجبر على القيام بهذا العمل. عملياً وفي الحياة الواقعية، ليس لديه اختيار. يمكن ببساطة ان تجذبه اكثر الافكار رجعية. ويمكن ببساطة ان يساوره شعور بالرضا والقناعة بالقليل.

لا اعرف كم مقابلة شاهدتم او قراتم لعمال تبعوا شخص مثل احمد نجاد ولاينتمون الى سياسته، لماذا اعطوا صوتهم له؟ تحدثت مع احد منهم وقلت له: لماذا يصوت بعض العمال لاحمد نجاد؟ قال "اولاً علي ان انظر الى بطون اولادي كي اتمكن لاحقاً من النضال. اني لست مناصر للخضر، ولكن هذا (وقصده نجاد-م) يعطيني معونة ودعماً ولايطردوني من بيتي". ان هذا الجزع التام ناجم عن الفقر. ان هذا التصويت لنجاد او دفاعه الضمني هذا امام الخضر ليس نابعاً من ارتياحه لاحمد نجاد او يعرف الخضر جيداً. بل من زاوية انه لايريد ان يطرد من البيت مع اطفاله الاربعة او الخمسة.

ولهذا فان القيادة في تحسين ظروف العمل، القيادة في النضال ضد الجزع الذي فرض على القسم الاكبر من الطبقة العاملة، ليس نضالاً انسانياً وطبيعياً، بل انه ذا صلة مباشرة بالنضال من اجل الاشتراكية. بشرط ان يتحلى المرء بالبوصلة التي تحدثت عنها. بدون هذه البوصلة، فان النتيجة العملية هو السقوط في الدفاع العلني او الضمني لهذا الجناح او ذلك من البرجوازية.

القيادة في بث قدرة الدفاع عن النفس: قلنا ان النشاط الشيوعي هو ليس نشاط تنويري، انه نشاط اجتماعي، وموضوع عمله اناس محددين ومعينين في المجتمع. اذا كان الامر كذلك، عندها ينبغي ان يكون معلم تقدم ونجاحه، وكاي نشاط اجتماعي اخر، هو معلماً موضوعياً اجتماعياً.

ان هذا الشاخص والمعلم بسيط. ينبغي على النشاط الشيوعي، وبأي مستوى من مستوياته، ان يترجم في المطاف الاخير الى ان الطبقة العاملة تكون اكثر قدرة في الدفاع عن نفسها. ينبغي ان يكون العامل الذي انجذب للنشاط الشيوعي او السياسة الشيوعية او انه موضوع عمل النشاط الشيوعي، في وضع افضل واكثر قوة واقتدار فيما يخص الدفاع عن النفس من عامل ليس في الظروف ذاتها. مثلما ان انضمام عامل الى نقابة او اتحاد سيجعله اكثر قوة واقتدار من عامل غير منظم في تنظيم.

ولهذا فان الشاخص الموضوعي لنجاح النشاط الشيوعي هو ان يمنح الطبقة العاملة في الحياة الواقعية امكانية مقاومة وهجوم اكبر امام البرجوازية سواء في الميدان الاقتصادي، السياسي، الثقافي او اي ميدان اخر. اذا لم تتمكن من الاشارة بهذه الشواخص ان التوفيق قد حالفنا، فان اي عمل استثنائي وبطولي قمنا به لا يكون

ناجحاً، ولا بد ان هناك خطأ ما فيه.

حتى اذا كان اغلب العمال معك، ولكن حين تعجز بهذه الاغلبية ان تمنح قدرة الدفاع عن النفس، فانك لست منهمكاً بنشاط شيوعي. انك لاتقوم بتلك القيادة التي يستلزمها نشاط شيوعي. انك تقوم بعمل اخر. لا احكم على جودة ورداءة العمل الذي تقوم به، ومن المؤكد انه عمل حسن. ولكنك في المطاف الاخير، في الصراع بين الطبقة العاملة والراسمالية، كانك تطرق الماء في هاون.

ان النشاط والتنظيم الشيوعي هما نمط من النشاط والتنظيم العمالي. ومثل سائر التشكيلات العمالية، ينبغي حساب نجاحه من عدمه بصورة قياسية موضوعية بالمتر الموضوعي للتغيير في العالم المحيط لصالح اعطاء القدرة والاقتدار للطبقة العاملة، وليس بالاقوال والاعمال العامة.

قيادة النضال الطبقي للبروليتاريا بوصفها طبقة معينة وطبقة عالمية في مجمل اوجهها: تسعى البرجوازية، وعبر الاستناد والالتكاء على القومية، ان تضع الطبقة العاملة في بلد ما بمواجهة الطبقة العاملة في البلدان الاخرى. مع موضوعة "الدخول اللامنظم للبيضات الاجنبية" وان "مطلب وضع العراقي او منعها" هي امراً معروفاً. مع فكرة ان العمال الافغان يسرقون عمل العمال الايرانيين او ان العمال الايرانيين ياخذون عمل العمال السويديين، او العمال الاتراك و العمال الالمان، العمال النساء تجاه العمال الرجال وغيرها هي معروفة دون شك، وهل تعرفون مدى نفوذ مثل هذه الخرافات البرجوازية عند الطبقة العاملة؟

اوردت لكم مثلاً وقلت في بريطانيا، قرر مالك شركة بي ام دبليو، وهو مالك مصنع سيارات روفر كذلك، اغلاق المصنع لانه لايدر ربحية مناسبة. وجه ممثل الجناح اليساري، ومايسمى بالراديكالي، لاتحادات بريطانيا نداءً لمقاطعة شراء سيارات بي ام دبليو حتى يرمى عمال المصنع في البطالة كي يفهم "الالمان" اي بلاء ومصيبة هي البطالة!

من وجهة نظر القائد النقابي الالمانى، الالمانى الماني سواء كان عامل ام راسمالي، والبريطاني بريطاني سواء اكان عامل ام راسمالي. ان هذا القائد النقابي هو في الحقيقة ممثل البرجوازية التي ليس لها قدرة المناقسة مع بي ام دبليو مثلاً. انه يضع راسماله في العرق القومي بالدفاع عن العامل، وبهذه القناة يحول العامل البريطاني الى جنود البرجوازية في حالة افلاس بريطانيا. بدل ان يطرح ضمان بطالة كافي، بدل ان يطرح زيادة اجور العمال القليلي الاجور في سائر بقاع العالم، يلجأ الى رمي العمال الالمان الى البطالة. ان هذا يسمونه قومية.

ومتلما يعلن البيان الشيوعي، القيادة الشيوعية هي قيادة السعي لتوحيد الطبقة العاملة عالمياً. قيادة السعي لاثبات المصير المشترك للعامل، سواء اكان امراة او رجل، كرد، فرس، بلوش، افغان الى سويدي والماني وبريطاني. قيادة السعي ضد الخرافات البرجوازية التي تضع العامل والراسمال في سلة امة واحدة. القيادة في مجمل الميادين والقضايا المتنوعة لحياة ونضال الطبقة العاملة. ذكرنا ان النضال والنشاط الشيوعي ليسا نقاشاً وجدلاً فيما يخص القضايا النظرية والسياسية، وبالاخص الاقتصار على اعلان موقف فيما يتعلق بالمسائل المتنوعة. ان اعلان الموقف هذا ضروري دون شك، بيد انه ليس كافٍ بشكل تام. ينبغي ان يكون النضال الشيوعي منهمك ومنخرط بقضايا متنوعة تواجهها سواء من الناحية الذهنية والعملية الطبقة العاملة والمجتمع وبابعد اكثر عمومية. وبالاخص، ينبغي على النشاط الشيوعي ان يخصص خلق الوحدة في صف الطبقة العاملة على ارض الواقع في المجتمع وخلق الاقتدار في صف الطبقة العاملة. تستلزم هذه الاهداف ان يعتبر النشاط الشيوعي قيادة مجمل اوجه النضال وجميع القضايا التي تواجه الطبقة العاملة مهمته. سواء من حيث الابعاد السياسية، الاقتصادية، الايديولوجية والثقافية وغيرها. يستلزم النشاط الشيوعي ذلك قيادة لاتقتصر افقها السياسي للعمل ومهامها جراء الضغوطات المرحلية للحركة.



## مبادئ النشاط الشيوعي

ثمة واقع الا وهو حين تطرح الكثير من المسائل اليومية على طاولة قائد عملي، يمكن لها ان تبعد الكثير من الامور الاكثر اساسية عن اعينه. تتمثل مزية النشاط والقيادة الشيوعية في ان لا يدعا هذا يحدث. بخلاف ذلك، سيظهر ميل العفوية. ينبغي ان يؤمن النشاط الشيوعي مجمل هذه الواجهه في كل لحظة. لاندحة للقيادة الشيوعية من ان تجابه بصورة حاسمة كل ميل او تيار يضع العراقيل امام الحركة العملية او يدعو ويوعظ بنفض اليد عن هذه المبادئ تحت مبررات خصائص هذه المرحلة او تلك. اي ان لا تكون مساومة.

القيادة هي، في المرتبة الاولى، قيادة سياسية وليست قيادة نظرية. لقد تحدثنا عن دور النظرية في النشاط الشيوعي، بيد ان المعرفة النظرية لمسائل النضال الطبقي هي امراً نسبياً. لا ينتظر النضال لحين اكمال مطالعاتي. اذ يجبر القائد الشيوعي، وكاي قائد اخر، على ان يعمل في اي صراع استناداً الى معرفته. اذا تطلب الامر ان يدعو اخصائياً ويتشاور معه، بيد ان عليه، على اية حال، ان يتخذ قراراً حين تكون الحرب جارية، مثل اي قائد وأمر اخر.

اشرت الى وجوب ان ننظر للقضايا من زاوية موقف عامل منهمك في هذه الحرب. لا يمكن ان نقول في وسط الاضراب: لا اعرف ما ينبغي عمله، علي ان اقرأ انتي دوهيرنغ اولاً او انني بحاجة الى التفكير او الراحة لسنوات. لاندحة لنا من تعلم الماركسية في سياق الحرب واثنائها. ليس لدينا امتياز الضباط والجنرالات والمنظرين البرجوازيين، اذ يرسلوهم اولاً للجامعات وبعدها الى الحرب. اتمنى ان ياتي يوماً يكون الامر فيه هكذا لنا. ولكن الى ان ياتي ذلك اليوم، نحن مجبرين على تعلم الماركسية والنظرية ابان الحرب. بيد ان لهذا الجدار جانبيين دون شك. يمكن ان يظهر احد من طرف ويقول ليس لدي وقت اساساً للنظرية الان، ويدخل هذه الحرب معصوب العينين، او اخر يقول لن امضي للحرب طالما لم اكمل النظرية. على القيادة الشيوعية ان تكون قادرة في اوضاع ما على صيانة هذا التوازن.

وبهذا السياق، نصل الى ان القيادة الشيوعية ليست قيادة تاخذ اوسط الامور، انها قيادة منحازة وذات موقف. ليست قيادة مصلحية، تتحدث بوضوح وتتخذ موقف بوضوح. قيادة بعيدة الرؤية وتتلقف المسائل الطارئة. قيادة تعريف وتحديد نصر الطبقة العاملة في كل معركة: الحرب هي مجموعة من المعارك. الحرب الطبقيّة للبروليتاريا هي ايضاً مجموعة من المعارك المختلفة في جبهات مختلفة واوقات مختلفة تجري في اغلب الاحيان بعيدة عن ارادتنا.

على القيادة الشيوعية ان تعرف وتحدد بصورة موضوعية في كل من هذه المعارك النصر الذي من الممكن ان تحققه الطبقة العاملة بالاستناد الى قواها. على سبيل المثال في موضوع اسقاط الجمهورية الاسلامية، علينا ان نحدد ماذا يعني ذلك من زاوية الطبقة العاملة في كل مرحلة ارتباطاً بالقوى الموجودة في الساحة. اذا كانت مايجري هو ثورة ديمقراطية، فماذا يعني انتصار الطبقة العاملة في هذه الثورة الديمقراطية؟

ان تحديد وتعريف الانتصار ليس بمعنى اعلان موقفنا فيما يخص امانينا. ينبغي تحديد معنى النصر ارتباطاً بالقوى الموجودة. مثل جنرال بالضبط، اذ يحسب قوي العدو وقواه، ويحدد معنى النصر في كل معركة. من جمع هذه المعارك في حرب ما يمكن الخروج منتصراً. لا يمكن جعل شعار اسقاط الجمهورية الاسلامية شعار اضراب حول مطلب معين، وبعدها تعلن اننا انهزمنا. ينبغي تعريف وتحديد النصر في كل مكان وفي كل معركة، من اضراب الى ثورة استناداً الى القوة التي بوسعها تحقيق ذلك. تبيان العوائق العملية والذاتية لتحقيق هذا النصر وطرح السبيل العملي وليس الاماني والاحلام والسعي لتحقيقه.

الصراع ضد تيار الخضر (تيار موسوي)، ضد مليشيات الباسداران، من اجل الاجور، حول العمل الاضافي، الصراع في سياق مسالة قومية، الصراع حول اي شيء اخر، ينبغي تحديد انتصار البروليتاريا في هذه

الصراعات بوجه انتصار الحركات البرجوازية، والعمل من أجل تحقيق الانتصار كاي قائد وجنرال اي معركة. ان هذا يوصلنا لنقطة اخرى بعدها.

القيادة في تحقيق نصر اي نضال: القيادة ليست اطلاق الشعارات فقط. كما انها ليست كتابة المقالات والبيانات فقط. انها قيادة عملية لحرب او صراع. ان قيادة النشاط الشيوعي هي مرشد حرب من أجل تحقيق الانتصار فيها. لايمكن ان تذهب لميدان الحرب وتقول لقد صرحت بمواقف صحيحة. ينبغي تنظيم الانتصار. مثل جنرال عسكري يعرف ان عليه ان يحتل هذا الموضوع اوذاك، هذا المرتفع او ذلك، هذه النقطة المحورية او تلك. ان ينظم ويقود الصراع من أجل احتلال هذه المواضع. على القيادة الشيوعية ان تكون جنرال الانتصار خطوة خطوة في تلك المعركة في مجمل الميادين المنخرطة بها.

لقد اشرت الى ان احد عناصر الشق القائمة في الصف الشيوعي هي السمة الفردية والذاتية للمثقفين. بوسع هذه السمة في ميدان الحرب ان تحول القيادة الشيوعية من مسالة عملية-فكرية الى مسالة ذهنية كلياً. في هذه الحالة، تتحول القيادة الى قيادة اعلان موقف. اذا تسال ماذا عملت في الصراع الفلاني الذي جابهته الطبقة العاملة او المجتمع، يكون رده "لقد قلت!!!!". لقد كنا مجبرين في الحزب الحكمتي على اقرار قرار ان "مائلته" ليس تقريراً. قمت بكذا، لم اقم بكذا، يمكن او لايمكن وغيرها هي التقارير.

واخيراً القيادة هي حرفية. ان احد الاركان الثابتة للنشاط الشيوعي هي وجود شبكة من الثوريين الحرفيين. وذكر ان الحرفية لاتعني اني استلم دعماً مالياً من الحزب. بل يعني اختصاص ومختص حرفته. واذا يستلم دعماً مالياً من الحزب فذلك يعود لتخصصه.

وبهذا الخصوص، ليس ثمة شيء بقدر قيادة ملمة بفن القيادة. ان هذه سمة اي قائد عملي للعمال. يتعلمها بالتجربة. ولكن يجب تطبيق هذه التجربة وتعميمها والاهم من ذلك ان لاتفارق باله.

### الفصل الحادي عشر - النشاط الشيوعي: تنويري (توضيحي) ام نضال؟

تحدثت في الجلسات السابقة عن ان النشاط الشيوعي الاساسي هو عبارة عن توعية البروليتاريا وتوحيدها وقيادتها للثورة البروليتارية، وليس لثورة الطبقات الاخرى. كما تحدثنا عن جوانب من هذا النشاط. وشرنا هنا وهناك الى ان هذا النشاط ليس نشاطاً لتوضيح الامور، بل نضال اساساً.

اتحدثت في جلسة اليوم عن موضوعين. نركز ادهم حول هل ان النشاط الشيوعي هو نشاط تنويري وتوضيحي ام نضال، والثاني حول اي تنظيم ضروري لهذا النضال؟

للرد على سؤال: هل ان النشاط الشيوعي هو تنويري ام نضال؟ الرد هو ان هذا النشاط هو تنويري وتوضيحي. ولكن يمكن لتصنيفه بوصفه تنويرياً وتوضيحياً ان يوصلنا الى نتيجة غير صحيحة. قد يرمي المرء باحضار الاكاديمية. ان توضيح الامور هي احد اوجه النشاط الشيوعي دون شك. ولكن ينبغي فهم هذه التوضيحية في اطار ما، بوصفها جزء في خدمة صراع سياسي معين. اسمحو لي ان افصل بهذا الخصوص. اؤكد مرة اخرة على اني ساتطرق لهذا الموضوع بصورة مفصلة على شكل كراس، واعرض هنا مقدمة فقط لهذا الموضوع.

ان قسم واسع من اناس يعتبرون انفسهم يسار او ماركسيين، يختزلون في اغلب الاحيان النشاط الشيوعي، باي معنى وشكل يفهموه، الى توضيح الامور. يناضلون في افضل الاحوال ضد الخرافة، يوجهون النصح، ينطقون بكلام حكيم وغير ذلك، وفي اغلب الاحيان لايدخلون هذه الحرب حتى، ويكتفون بتبيين واعلان موقف وصدور فتاوي سياسية ونظرية. يختزلون توضيح الامور الى اعلان موقف. ويستفادون دون شك من

## مبادئ النشاط الشيوعي

ادوات هذا التنوير مثل جريدة، كتاب، تلفاز، اذاعة، واليوم الصفحات الالكترونية والانترنت كذلك. من الواضح ان ذلك القسم من هذا النشاط الذي يقوم بحرب فكرية مع البرجوازية يقوم بعمل مفيد. ان الحرب الفكرية مع البرجوازية هي قسم مهم من النشاط الشيوعي. بيد ان هذا العمل تفصله اشواط عن تغيير العالم المحيط بنا، وهو محتوى وهدف النشاط الشيوعي.

بوسعنا ان نقوم بسنوات وسنوات من التنوير والتوضيح ولانترك تأثير يذكر على عالمنا الخارجي. ان كل شيء في عالمنا يقترن بصراع الطبقات مابين البروليتاريا والبرجوازية. ان هذا الصراع لايرتبط في الاخير، بل يومياً، في السياسة، الصراع السياسي، توازن القوى السياسي، والاهم من هذا المكانة الموضوعية واليومية للطبقة العاملة التي هي موضوع مخاطبة التنوير.

دع جانباً اذا اراد العامل الاستفادة ولو ذرة من هذا التنوير، سيجابه بقوى العنف البرجوازي، بمؤسسة الدين والقومية وغيرها، كي يُحرم اساساً القسم الاعظم من الطبقة العاملة من امكانية وفرصة الاستفادة من التوضيح هذا. البرجوازية ومكانة حياة العامل اليومية تحرمه من هذا.

ان اليسار تاريخياً هو نبي كشف الحقيقة. وضع ابلاغ الجماهير بالحقيقة مهمة له. قد لا يكون خاطئاً في مايقول ايضاً، ولكن في ظل غياب نضال سياسي واستناد الى القوى الموضوعية لذلك النضال، سيبقى ابلاغنا للحقيقة عديم او قليل الثمار، وسيبقى موضحنا ومنورنا للحقائق مقتصر على لعب دور الحكيم او محسناً اجتماعياً في افضل الاحوال.

ان تصورنا لعملية التنوير هذه هي توعية الطبقة العاملة بمجمل الخرافة التي ينتجها المجتمع الراسمالي ومجمل ادوات تبليغه، بالاضافة الى انه تتمتع الاليات التي تجعل امكانية نيل الطبقة العاملة هذا التنوير واتخاذها نتائج عملية منه امراً محدوداً او مستحيلاً، باهمية تضاهي التنوير هذا. ان العوائق تجعل نيل الطبقة العاملة لهذا الوعي امراً مستحيلاً او ان تحقيقه يغدو امراً لاعملياً في كل خطوة. ان طرح السؤال حول ماهي العوائق الموضوعية التي تجابه التنوير او التوعية وكيف يمكن احباطها هي جزء من مسالة النشاط الشيوعي. لايمكنك ان تفصل تنويراً مؤثراً عن تحطيم الجدار الذي يفرض هذه المحدودية والتضييق. هنا يكمن اختلاف اكايمي ما عن ناشط شيوعي. حتى اذا منحتك البرجوازية اجازة التنوير، وفي بلد مثل ايران لاتسمح بذلك، فان امكانية تأثيره يصبح محدوداً وذلك للمكانة الاجتماعية للطبقة العاملة. انظروا الى اوربا والبلدان التي ليس فيها قمع واستبداد، ستدركون ما اقصد. ان ماركس من يقول ان الوعي هو جزء من البنية الفوقية للمجتمع ويقترن بالسياسة والسلطة السياسية. اي بلغة بسيطة، لايقترن فقط بمؤسسة السجون والشرطة البرجوازية، بل بكل امكانات البرجوازية وعدم امكانيات البروليتاريا.

وعليه، نبلغ سؤال: اية عوائق يجابهها التنوير والتوعية هذه؟

ولكي اوضح لماذا ان التوضيح ونشر الحقيقة هما امراً ليس بكاف. ضعوا في بالكم الحجم الهائل للوعي المضاد او الخرافة التي تنتجها هذه المؤسسة البرجوازية. من الدين الى الجامعات، من المدرسة الى تلفازها وسينماها ومطبوعاتها هي كلها مؤسسات لانتاج الخرافة. انها مؤسسة انتاج وعي مقلوب. مؤسسة تنشد زرق الطبقة العاملة بان هذه هي حياتك. الشيوعية انتهت. النضال من اجل المساواة انتهى، تبين ان السبيل الوحيد هو الراسمالية، وينبغي تعريف وتحديد المساواة والرفاه في اطار هذه المنظومة. للعامل حق ان يناضل، ولكن بشرط ان يكون ذلك في اطار الراسمالية.

وان مصيره الاخفاق هو ذلك العمل التوعوي الذي يعتقد ان بوسعه الوقوف والتصدي لهذه المنظومة العالمية الهائلة عبر عدة جرائد. تصدر جريدة، تصدر البرجوازية عشرة الاف جريدة، تبث برنامج تلفزيوني لمدة ساعة، تفتح البرجوازية مقابل ذلك مئة قناة تلفزيونية. ولايمكن اساساً مقارنة الامكانيات سواء من الناحية

الكمية او الجذابية بالمعنى الشائع للكلمة.

البرجوازية عالمية، لديها BBC و CNN وغيرها. اذا تسال اليوم اي شخص ماهو تيار الخضر في ايران، من الارجننتين حتى الصين، من الاحزاب اليسارية الاوربية حتى الايرانية تعطيك جميعها تصوراً ما عنه. تصيغ مؤسسة الوعي المضاد البرجوازية في غضون 48 ساعة العالم حول ما يحدث في ايران من زاوية مصلحة البرجوازية، وتحول هذه الرؤية الى رؤية الجميع، ومن ضمنهم الطبقة العاملة. ليس بوسع اصدار جريدة او تلفاز مجابهة هذه المنظومة اساساً.

وببعد اخر، ان اي مقدم نصح او نبي حقيقة يُجابهِ فوراً بتكفير مؤسسة الدين من المسجد والكنيسة الى معبد الراهبين. انكم ما ان تبدأوا بالنشاط الشيوعي تُجابهُون بالملالي والقساوسة والكهنة قبل الشرطة. فوق هذا، لا على صعيد الجدل والنقاش التوضيحي، بل بالتكفير واللجوء الى قسر المتدينين.

بعد هذا تبلغ قمع الدولة ومحدوديات حرية التعبير وغيرها. حرية التعبير ممنوعة. لا يمكن لمقدمي النصح بالحقيقة ان يقولوا كلامهم. انهم اناس جيدين، ولكن ليس بوسع انبياء ابلاغ الحقيقة ان يصرحوا ب99% من كلامهم، والذين اذا لم تحرق المساجد والكنائس والمعابد كتبهم، تقوم الحكومة بهذا العمل.

وبموازاة ذلك، هناك قمع وترهيب العصابات غير الرسمية للبرجوازية. مليشيات البسيج، الجماعات والعصابات البرجوازية المسلحة. أ تذكرون السنوات السابقة، حين كان العمال في كردستان يقومون باضراب ما، يدافع الحزب الديمقراطي رسمياً وعلناً عن البرجوازية ويقمع العمال؟ في تاريخ الحركة العمالية في امريكا، لعبت وتلعب هذه العصابات المسلحة للبرجوازية دوراً قبل الشرطة في قمع وترهيب وتخويف ناشطي الطبقة العاملة.

تنظم البرجوازية دوماً اناس مسلحين لها. وقبل ان تتدخل الدولة، تقوم هذه العصابات والجماعات المسلحة لمالك العمل بقمع قسم كبير من العمال المناضلين واليسار والشيوعيين.

كل هذا والامر يتعلق بادوات القمع الفكري لحد الان. الخضوع والرضوخ الاقتصادي للطبقة العاملة هما عائق بنفس القدر من الجدية امام التنوير والتوضيح هذا. اذ تضع البرجوازية الطبقة العاملة، من الزاوية الاجتماعية والخضوع الاقتصادي، بمكان بحيث تتحول ضرورة العمل من اجل المعيشة الى عائق امام النشاط التنويري. كيف لك ان تتطلع من عامل يعمل خمسة عشر ساعة ان يقرأ الرأسمال، فمابالك بكتاباتي وكتاباتي؟ يقرأ البيان الشيوعي، ويتعلم الشيوعية بوصفها علم؟

عامل يعمل خمسة عشر ساعة، ويغض النظر عن ساعتين من نومه كي يعقد اجتماع مع رفاقه، يقرأ كتاباً، وينفق فرصة متابعة اطفاله وعائلته للقيام بهذا العمل؟ كم منا يقوم بهذا العمل لو كنا في مثل هذه الوضعية؟ يقوم قسم من القادة الشيوعيين للعمال بهذا دون شك. بيد انهم ابطالنا الحقيقيين والمجهولين لعصرنا، وان عددهم محدود مقارنة بجموع العمال.

ان المحدوديات الثقافية هي بعد اخر من هذه العوائق التي تأسر البرجوازية الطبقة العاملة فيها. يقول ماركس الثقافة السائدة هي ثقافة الطبقة السائدة. الامر هذا يصح على مجمل الانظمة الطبقية. تزرُق البرجوازية بكل قواها ثقافتها في جسد المجتمع عبر توظيف اكثر المكتسبات البشرية تقدماً. تحول تصورها للعالم الى تصور كل المجتمع للعالم. الطبقة العاملة ايضاً جزء من هذا المجتمع والثقافة السائدة عليها هي جزء من هذه الثقافة. ان كون هذه الثقافة في تناقض يومي مع حياة الطبقة العاملة وحاجاتها هي مسألة مهمة اخرى ساتناولها لاحقاً بوصفها احد ادوات مجابهة البرجوازية. بيد ان الطبقة العاملة هي الهدف الاساسي والضحية الاساسية للثقافة

البرجوازية.

تتمثل مجمل حياة العامل، طبقاً لتعريف ماركس، بامرارها من اليوم لغد. وطبقاً للتعريف ايضاً، على الطبقة العاملة ان تبيع قوة عملها يومياً من جديد، ومن الممكن يومياً ان تحال الى البطالة، ويكيلها عالم العمل المضني والحياة الفردية والعائلية والاجتماعية، تبحث عن افیون قبل اي شيء اخر. الدين والقومية هما جزء من اشكال الافیون هذه، وان كل العالم والتطلع من العالم الذي تضعه البرجوازية امامها هو افیون من هذا القبيل. افیون تستنشقه في التلفاز، المدرسة، ومن وضعيتها في المجتمع.

على سبيل المثال، ان تصور العامل للمرأة هو نفسه التصور الذي يزوده به المجتمع الراسمالي. المرأة ربة البيت في حياة الطبقة العاملة هي جزء من عملية الانتاج الراسمالي. يحسب الراسمالي قيمة قوة عمل العامل استناداً الى قيمة المواد الخام اللازمة لاعادة انتاج العامل. ان ذلك الشخص الذي ينتج من تلك المواد الخام غذاء او مواد للاستهلاك هو على الاغلب المرأة ربة البيت، او يفترض الراسمالي ان هذا هو عمل المرأة ربة البيت. وعليه، ومن اجل اعادة انتاج قوة عمله، وكي يتمكن ان يمضي للعمل غداً، العامل بحاجة الى عبد عديم الاجر في البيت، بحاجة الى من يشاطره الفراش لانتاج مثله، عمال الغد، اي ولادة الاطفال.

يضع البرجوازي العامل في هذه الوضعية. في هذا العالم، تخلق الارضية والاجواء لترسيخ او مرغوبية الدعايات الدينية والبرجوازية حول دونية المرأة، فكرة المرأة الخاضعة، تخلق اجواء القبول بهذه الافكار. انه افیون لتبرير وطأطة الراس للمكانة الراهنة للحياة. ان هذا مثال فقط. يمكن تعميم وتطبيق الامر ذاته على صلة العامل بنفسه وباطفاله.

ثمة سؤال اخر الا وهو كم تستغرق عملية التوعية هذه او التنوير والتوضيح هذه؟ متى تعطي ثمارها؟ ينبغي الانتباه الى، اولاً، ان الماركسية علم، وعلى كل امرء ان يتعلمه، وثانياً، كم يستغرق من سنوات تعليم هذا النشاط التنويري هذا العلم للعامل؟ كم يستلزم من سنوات التحقيق والتحميص كي يتمكن العامل من فهم مجمل النظام الراسمالي؟ والرد على مجمل الخرافات التي يزرق بها ذهن الطبقة العاملة يومياً؟

اذا نترجم النشاط الشيوعي الى امر تنويري فقط، عندها، في عالمنا، فان عمر العامل، هذا اذا لم يعدم اويسجن او لم يرمى للبطالة، لا يكفي للامام بهذا العلم.

الماركسية، وكاي علم اخر، يمكن تعلمها. يمكن ان تُنقل الماركسية شفاهاً وتتوارث بقدر ما يتناقل الطب والصحة والفيزياء شفاهاً او بالتوريبث. الوعي امر يمكن تعلمه، ولكن ليس توارثه. لاينتقل شفاهاً. مهما قرانا انا وانتم ماركس، لانستطيع نقله شفاهاً الى ابنائنا او زملائنا في العمل. لانستطيع ان ننقله الى ابنائنا. على كل امرء ان يتعلم هو نفسه الماركسية مثلما ان على الطبيب ان يتعلم الطب. ان عاملاً تعلم الماركسية، حين يرحل عن عالمنا، على الجيل الجديد من العمال ان يبده مرة اخرى من الصفر.

ما اود قوله هو ان تحويل النضال الشيوعي الى نشاط تعليمي يتضمن مجمل هذه التناقضات. ليس لهذا العمل من نهاية ويحيل الثورة الاشتراكية الى امر محال.

ان هذه دون شك هي زاوية من العوائق التي تواجه التنوير بصورة صرف. وعليه، لايرد نبي الحقيقة على معضلات النشاط الشيوعي. ليس موضوعي ابدأ التقليل من اهمية وقدرة عمل المتفقين او التنوير. في عالمنا المليء بالحماقات، اشد على يد اي مثقف او عملية تنوير تتصدى للخرافة. ان توضيح الامور هو جزء من النشاط الشيوعي، بيد ان النشاط الشيوعي ليس تفسير وتوضيح المسائل. انه سعي منظم من اجل التغيير. تتمثل النقطة بانه اذا اردنا توضيح الامور في اطار اهداف النشاط الشيوعي، علينا ان نتحلى بسبيل مجابهة

جيش التخلف، ينبغي ان تتحلى بسلطة وثروة.

### الفصل الثاني عشر - عقب اخيل الراسمالية - نقطة قدرة الشيوعية

مقابل مجمل المنظومة البرجوازية المقنطرة لتأمين الفرقة والتبعثر في صفوف الطبقة العاملة عبر الاستناد الى الخرافة والقسر، فان هذه المنظومة ذا عقب اخيل ونقطة ضعف يجعلها كل هذه المنظومة عرضة لضربة جدية امام النشاط الشيوعي. ان عقب الاخيل هذا هو عملية الانتاج الراسمالي، وان عمل ومعيشة الطبقة العاملة ذاتهما هما عملية وحياء تجذب حديد الشيوعية مثل المغناطيس وتجعل الراسمالية عرضة للضربة بصورة كبيرة.

ثمة شيء في المجتمع الراسمالي لا يمكن ان يتوقف. ان عملية الانتاج الراسمالي هي عملية جني الراسمال للربح والمجابهة المتواصلة لهذه العملية السائدة بين العامل ورب العمل في كل لحظة من عملية الانتاج وتسود على كل لحظة من حياة الطبقة العاملة. صدام باشكال ملموسة كثيرة، حول الاجور، ساعات العمل، مطالب العمال والسؤال البسيط الذي مفاده لماذا تذهب ثمرة عملي الى جيب شخص ليس له اي دور في انتاج الثروة؟ انه سؤال يمثل نقطة انطلاق الوعي بالمجتمع الطبقي والوعي الاشتراكي. ليس بوسع اي درجة من القمع والاستبداد ان تستاصل هذه المجابهة، هذا النضال السافر والمستتر بعض الاحيان. ان هذا الصراع هو تنمية للراسمالية، وينتهي مع انتهاء الراسمال.

ان نضال الطبقة العاملة ضد البرجوازية في محيط العمل، في محيط اعادة انتاج قوة العمل (محل السكن والمعيشة) هو مجابهة مستمرة لطبقتين في مجمل لحظات الحياة الاجتماعية، وهو منطق مجتمعنا. انه الصراع الطبقي الذي يتحدث عنه البيان الشيوعي. صراع مستمر علنياً احياناً ومستتراً احياناً اخرى. انه يتضمن من صك العامل لاسنانه غضباً على الراسمالي الى الاضراب والانتفاضة البروليتارية.

ان هذا العالم، عالم يعمل فيه العامل، التجربة التي يمر بها العامل في كل لحظة من حياته وعمله والاسئلة التي سواء في ذهنه وسواء في نضاله تتطلب رداً شيوعياً. بشرط ان يكون هناك ناشط شيوعي. بشرط ان يتناول داعيتنا الشيوعي هذه الحياة واسئلة العامل المطروحة هناك. عندها يبعد حياة كل المنظومة الدعائية الهائلة والقمع الراسمالي او يضيق من اثارها وتأثيرها، وتتوفر له افضل امكانية لاحباط الخرافات البرجوازية. اذا وضعت المؤسسة الصغيرة للدعاية الشيوعية، مقارنة بالمؤسسة الهائلة للبرجوازية، مخاطبها وموضوعها وتمركزها حول هذا العالم العمالي، فسيكون لاي ساعة نفوذاً وتأثيراً يعادل الاف ساعات من الدعاية البرجوازية. بيد ان بوسع مثل هذه المؤسسة الدعائية ان تقوم بمثل هذا العمل فقط حين تستند الى شبكة العمال الشيوعيين. ومهما كان عليه صعيد ومستوى دعائيتها، فهي عصارة وارقي الدعايات المحلية وتتغذى منها. بخلاف ذلك، تتحول الدعاية الشيوعية والتنوير والتوضيح الشيوعي الى انشاءات تكتبها في خلوتك حول فوائد شيء ما، حتى اذا لم ترى في حياتك كذلك.

اذا نقوم بنشاطنا في هذا العالم العمالي، عندها اي عامل يشعر بعدم ارتياح ما، سيكون داعية لكم، سيزيد من اصدار جريدتكم، داعية لقناتكم التلفازية وصفحتكم الالكترونية. ستكون اكثر الجرائد انتشاراً، واكثر البرامج التلفزيونية مشاهدة واكثر السابيات تردداً. وان هذا هو السبيل الوحيد للتغلب على الامكانات الهائلة للبرجوازية.

ان النشاط الشيوعي عام ومحلي على السواء. لا يمكن القيام بمثل هذا النشاط الشيوعي عبر مركز غيبي او محدود. ان هذا النشاط يستند بقوة الى النشاط المحلي. ينبغي ان نكون قادرين في اي اطار جغرافي معين على الرد على اسئلة ومعضلات العمال في ذلك الاطار، نرشد، نطرح تكتيكات النضال، ونبين ان الشيوعية هي الرد على كل مسائل الطبقة العاملة. من الامور الصغيرة حتى الكبيرة. وبخلاف هذا، سيكون اثر داعيتنا

محدودا، وتختزل تكتيكاتنا الى عبارات حكيمة عامة.

في مثل هذه العملية، يوسع العامل في يوم واحد ان يجذب للماركسية بقدر عدة سنوات. في تجربة الحياة والنضال في العالم العمالي، العامل يعرف الشيوعية بسرعة اكبر واكثر من اي مكان اخر، يتحد ويتوعى، يعرف قادتها، ويعتمد عليهم. ويخلق الساحة نفسها التي يصفها كتاب عشرة ايام هزت العالم.

من خلال مثل هذه العملية، تعرف الطبقة العاملة الطبقات الاخرى. لا تتعلم من انتصاراتها، بل من هزائمها كذلك. ترى اهمية الوحدة العامة والشاملة، وتدرك احقية وحقانية الشيوعية. حتى اذا لم تصغي في النضال للسبيل الذي طرحه الناشطون الشيوعيون، وتلحق بها الهزيمة، ستعود وتقول كانت اللجنة الشيوعية للمعمل على حق. ان هذا انتصار كبير للنشاط الشيوعي.

انه نشاط يختلف عن نشاط حركات واناس يعتقدون ان النشاط الشيوعي يعني نشاطاً مناهاضاً للنظام. انه نشاط ضد البرجوازية. ضد رب العمل، من مستوى معمل من عدة عمال الى مستوى مجتمع هي محمل ووعي الطبقة العاملة نفسه.

ان احد المراحل المشرفة في نشاط الحزب الشيوعي الايراني اواخر الثمانينات في ايران هو تحول الحزب الى لسان حال قسم عظيم من عمال كردستان. كان كل عامل ناطق بالكردي في تلك السنوات، وفقاً للتعريف، نصيراً للحزب الشيوعي الايراني. ان الرفاق المنخرطين في الامر يعرفون ان الحزب الشيوعي ومنظمة كومه له انئذ يستندوا الى اعماق الصلات مع مجمل مراكز عمل ومعيشة العمال، وان قسم مهم منهم هم العمال الموسميون. ان اختلاف كومه له قبل المؤتمر الثاني للحزب الشيوعي (عام 1985م) والذي طرحت فيه موضوعات الشيوعية العمالية، وكومه له مابعد المؤتمر الثاني في خلق تغيير عميق في نمط النشاط في محل عمل ومعيشة الطبقة العاملة.

في خضم مثل هذه الصلة، في مراحل التحولات الثورية والتصادمات الاجتماعية، يتعلم العامل، حسب قول لينين، يوماً بقدر عشرة اعوام. ان هذا التعلم ذا حقيقة وواقع في المرحلة الثورية ان كان لديك حزب يمثل قسم مندغم بعمل وحياة ونضال الطبقة العاملة. بخلاف ذلك، حتى في المراحل الثورية كذلك، فان نشر الحقيقة لايداوي اي علة.

لقد انقضى شوطاً بعيداً على عصر افلاطون الذي اعتقد انه يمكن ارساء مدينة فاضلة استناداً الى وضوح رؤية الناس وكذلك على الاشتراكية الخيالية التي كانت تعتقد ان بالوسع، عبر الوعظ والتنظيم بديل واضحي الرؤية الخلاص من الفقر والاسر. ولكن لازالت هذه الاوهام باقية على حالها.

### الفصل الثالث عشر - اللجان الشيوعية والخلايا الحزبية

الموضوع الذي اتناوله هنا هو: ماهو التنظيم المناسب لنشاط شيوعي؟

لقد اشرت سابقاً الى امر وهو: على المستوى العام، النشاط الشيوعي هو صراع، نضال ونشاط سياسي. وان اداة التدخل في السياسة هي حزب. وذكرنا ان رغم كل اهمية اي شكل من اشكال الاتحاد والتنظيم داخل الطبقة العاملة، فان هذا النشاط الخاص (السياسة-م) تقوم به منظمة خاصة. ان الاتحادات، النقابات، المجالس، التجمعات العامة، الصناديق التعاونية و... غيرها، ورغم كل اهميتها لوحدة الطبقة العاملة، الا ان ليس بوسعها القيام بنشاط يستلزم نوع اخر من الاتحاد داخل الطبقة العاملة. ان هذا الاتحاد هو اتحاد شيوعي. بوسع الحزب الشيوعي ان يوضح ويرسم مصير الراسمالية.

## كورس مدرسي

بيد ان هذا هو على المستوى العام. السؤال اللاحق الذي عليك ان توجهه لنفسك هو "ما هو اساس هذا النشاط في المحل؟ هل ان جمع اي جمع يطلق على نفسه اسم حزب قادر على القيام بهذا العمل؟ هل ان على الحزب الارتباط بفونسيون (مهمة او وظيفة-م) او عمل اساسي في الطبقة العاملة ويستند عليه؟ يطلق في الثقافة السياسية عادة على هذا الفونسيون اسم اللبنة او الوحدة الاساسية. ولكن رغم ان هذه التسمية، وان يكن تبين عن ابعاد من الحقيقة في المستوى التنظيمي، الا انها تخلق تشوشاً والتباساً على الصعيد العملي.

يمكن تحديد الخلية على صعيد اللبنة الاساسية للحزب. يمكن تصور ان الخلية الحزبية هي اكثر الاصعدة اساسية وبنوية يجتمع اعضاء الحزب بها. على اية حال، ان هذا الشكل من التعريف لللبنة مرتبط بهيكليّة موجودة ايضاً، ويمكن بالطبع ادراج وادخال اشكال اخرى مثل بيت الحزب وغيره لهذه اللوحة. على اية حال، ان هذه اللبنة سواء اكانت خلية ام بيت الحزب. انها اساس تعريف تنظيم الحزب.

بيد ان ايلاء الاهمية للاطار التنظيمي وليس عمل هذا التعريف، فصل تقليدياً التنظيم الحزبي في التاريخ الاخير للشيوعية من فونسيون اساسي للنشاط الشيوعي والذي هو قيادة الطبقة العاملة وكذلك من اليات هذه القيادة، وتحول الحزب الى جمع اي مجموعة يتمنون وياملون بقيادة الطبقة العاملة، ولكنها تقف الى اكثر اللبنة الاساسية لممارسة هذه القيادة.

بوسع خلية الاعضاء، وبالاخص في مراحل، ان تكون قسماً مهماً لاي تنظيم لحزب شيوعي. بيد ان التحزب الشيوعي والنشاط الشيوعي هو امر يتعدى خلية او بيت حزب. النشاط الشيوعي هو مكان جاري ومؤثر، وان هناك نوع اخر من التنظيم للنشاط الشيوعي. تنظيم يعكس اكثر اعمال النشاط الشيوعي اساسية. تمثل الخلية في المطاف الاخير اساس تنظيم جسم اي كائن. ولكن ان جمعت مليون خلية لاتستطيع ان تشكل منها كائناً او احد اعضاء جسد ذلك الكائن. ان وجود كائن ما مرتبط بوجود وظيفة تميز عن وظيفة خلية ما. يمكن لهذه المقاربة ان تنطبق على الحزب والنشاط الشيوعي كذلك.

ان فكرة ان تكون الخلية هي اللبنة الاساسية للنشاط الشيوعي تعود الى عملية اتخاذ الحزب البلشفي قالباً وشكلاً نهائياً ومحدداً بعد انتزاع السلطة السياسية، وبعدها الى عملية اتخاذ المنظمات التابعة للاممية الثالثة قالباً معيناً. ان كان هذا التصنيف في مستوى معين هو امر صائب، ولكن حين تستبدل الوظيفة الاساسية في النشاط الشيوعي، فانه مؤشر على اول علامات تنظير الانفصال الشيوعي عن الطبقة العاملة. وهو المسار الذي حذر منه لينين في المراحل الاخيرة من حياته.

على اية حال، حين تنظر الى تاريخ الثورة البروليتارية الوحيدة المنتصرة في العالم، اي ثورة اكتوبر، وتتمعن بالحزب الذي نظم هذه الثورة، ستلاحظ انه لم يكن هناك اي موضوع حول الخلايا قبل انتصار الثورة. ان التاريخ التنظيمي للحزب البلشفي يعود الى تاريخ لجانته: لجنة باكو، لجنة فايرغ، لجنة بوتيليف وغيرها. انها لجان لا تشرف او تدير تنظيم محدد من الاعضاء في مرحلة القمع. ان عمال وشيوعيين كثر هم اعضاء هذه اللجان، ولكن ليس لديهم لبنة اساسية باسم خلية، ولم نستطع ان نجد في مكان ما اثراً حول دور مثل هذه الخلايا.

وبالتالي، ان تحديد الاختلاف ما بين اللبنة الاساسية لتنظيم الحزب واللبنة الاساسية للنشاط الشيوعي هو امراً مهماً. لقد تناولنا هذه النقطة كثيراً في طرح فكرة اللجان الشيوعية.

ان اللبنة الاساسية لتنظيم حزبي، اي كيف تربط اعضاء الحزب ببعض. ان هذه اللبنة هي شيئاً مثل خلية او بيت حزب دون شك. بيد ان اللبنة الاساسية لنشاط شيوعي لا يمكن ان تكون خلايا او مجموعة اعضاء الحزب



## مبادئ النشاط الشيوعي

في مكان ما. ان اللبنة الاساسية لعمل الحزب، اي توعية، توحيد وقيادة الطبقة العاملة في اطار تحدثنا عنه هنا وفي محيط معين، لايمكن القيام به عبر جمع من الاعضاء. ينبغي ان تكون العضوية في حزب شيوعي او في النشاط الشيوعي امراً بسيطاً وسهلاً. ينبغي ان يكونا قادرين على توحيد اي عامل واي شيوعي يعتبر نفسه شريكاً في اهداف هذا النشاط وينشد العمل في هذا الاطار. لكن الفونسيون الاساسي للنشاط الشيوعي لاياتي على ايدي جمع مصطنع.

اذا لم نقر بهذا الفصل، عندها، وبدلاً من تنظيم هذا النشاط الشيوعي، نصل الى تشكيل جموع ونواتات لاتستطيع القيام بهذا العمل. عندها، سيقصر عملها عملياً على التوعية ونشر الحقيقة، وهي امور ليست سيئة دون شك، ولكن لاترد على مشكلتنا.

ان هذا يعني ان موضوعة اللجان الشيوعية ليست مطروحة بوجه الخلايا الحزبية او اي تنظيم اخر للاعضاء. ان الخلية الحزبية هي جمع اناس شيوعيين. اللجنة الشيوعية هي جمع اولئك الشيوعيين الذين بوسعهم تامين تحقيق تلك الوظيفة والمهمة الاساسية للنشاط الشيوعي في مكان ما. ومن اجل تحقيق عملها، اللجان الشيوعية مجبرة على ان تقيم تنظيماتها الاساسية للاعضاء، مثل خلية.

ينبغي ان تتبع موضوعة تنظيم النشاط الشيوعي من موضوعة تنظيم عمله الاساسي، وليس من موضوعة الهيكلية. فيما يخص الهيكلية، يمكن اقامة اشكال متنوعة جداً في المراحل المختلفة ارتباطاً بالوضع المحددة. في مكان ما خلية، وفي مكان اخر بيت الحزب، في مكان ما فرع الحزب في الخارج، في مكان ما نواة وغيرها. ان مايجعل وجود هذه الاشكال امراً لاجدال حوله هو وجود وظيفة ومهمة النشاط الشيوعي، اي اللجان الشيوعية. ليس اي من الاشكال المتنوعة للتنظيم الاساسي لاعضاء الحزب خاطيء بذاته. ولكن ما هو خطأ ان نتظر ان يقوم هذا التنظيم بالنشاط الشيوعي بالابعاد التي تحدثنا عنها هنا.

كي نعرف ان نشاطاً شيوعياً اساسياً يقام في مكان ما ام لا، علينا ان ننظر الى ان اتحاد وتنظيم هذا النشاط، اللجان الشيوعية، هل هي موجودة ام لا؟ ان عدم رؤية هذه الحقيقة وهذا الواقع هو قسم من انعكاس انفصال الشيوعية عن الطبقة العاملة ووظائفها الاساسية. الانعكاس هو اشكالية يغط قسم واسع ممن يسمون انفسهم شيوعيين، اسرى لها او بحاجة اليها. الهيكلية هي كل شيء بالنسبة لهم، والعمل باساس هذا العمل، اي الطبقة العاملة، لايتحاجون له اساساً#.

ان اللبنة الاساسية للنشاط الشيوعي هي اللجنة الشيوعية برابي. ان لم توجد لجنة شيوعية في مكان ما، فهذا يعني عدم وجود نشاط شيوعي بشكل منظم بعد. ان وجود اي تجمع للاعضاء مثل كائنات احادية اللبنة او متعددة اللبنة في الاقيانوس عديمة الاذرع والسيقان. لقد قلنا الف مرة ان الشبل شبيه الاسد من الصغر. الشبل ليس شبه كائن احادي الخلية. الشبل هو اسد ولكن صغير.

لانحة اللجان الشيوعية من ان تكون في جغرافية محددة. انها ليست لجنة عامة. اللجنة الشيوعية مرتبطة بمعمل، محلة، مدينة وغير ذلك. اذ ترتبط في المطاف الاخير بجغرافيا معينة. لقد اشرت سابقاً الى مسالة قيادة الطبقة العاملة وتوحيدها، هي امر قيادة محلية في اكثر المستويات اساسية. لايمكن من الارجتين تحديد تكتيك معين لعمال المعادن. لجنة المعادن او سكك الحديد هي مسؤولة عن تنظيم الطبقة العاملة وتوحيدها وقيادتها في ذلك المحيط.

من الواضح ان هناك ابعاد اخرى من النضال تتخطى هذه الجغرافيا، ولايمكن القيام بالثورة بعمال المعادن فقط. عندها ياتي الامر على لجان ذات نطاق جغرافي اوسع وصولاً الى حزب بلد، والذي هو تنظيم جغرافي معين دون شك.

### الفصل الرابع عشر - مبادئ النشاط الشيوعي:

#### العمل في الحركات وبين الطبقات الاخرى

لقد اكدنا منذ بداية بحثنا على ان النشاط الشيوعي يخص تنظيم الطبقة العاملة للثورة البروليتارية. النشاط الشيوعي لا يتعلق بتنظيم الجماهير او الطلبة او المثقفين او الساخطين. انه يخص الطبقة العاملة بمعناها الخاص للكلمة، وان هذا اساس هويتنا.

ولكن هل ان هذا التأكيد يعني ان الطبقة العاملة والنشاط الشيوعي ليس لهما ربط بالحركات الاخرى التي تضم جماهير اوسع (وعلى الاغلب العامل جزء منها كذلك) او الحركات التي ليست اشتراكية من حيث المضمون والمحتوى؟ الجواب كلا دون شك. بدون التحديد الدقيق وتدخل الطبقة العاملة والنشاط الشيوعي في هذه الحركات، واذا ما اردنا استخدام الاستعارة التي وردت في بداية هذا الموضوع، يبقى (النشاط الشيوعي-م) بناية دون شبايك وابواب، بدون ماء وكهرباء، فاما لايمكن العيش فيها او ليست بناية على اية حال. لايتعلق الموضوع ببخس قيمة الحركات الاخرى، بل وضع كل من هذه العناصر في مكانها الواقعي.

ليست الطبقة العاملة في النضال القائم في المجتمع لوحدها ولا الحركة الشيوعية هي الحركة الوحيدة في المجتمع المنهمكة في النضال من اجل حياة افضل او عالم افضل. ان هذه الموضوعه لهي قديمة بقدم البيان الشيوعي الذي خصص فصلاً لتوضيح هذه الحقيقة.

ليست الحركات غير الاشتراكية الداعية للحقوق او للتحرر غير قليلة فقط، بل موجودة بوفرة. اذ تشاطر هذه الحركات في اغلب الاوقات الطبقة العاملة والنشاط الشيوعي في الدعوى للحقوق والمساواة. ان اختلاف الحركة الشيوعية للطبقة العاملة مع هذه الحركات تخص ارتباط الحركة الشيوعية بوجود النظام الراسمالي نفسه.

لايتحرك الناس في المجتمع بالضرورة من اجل مطلب اشتراكي. بل تتشكل حركات اخرى. على سبيل المثال، حركة تحرر المرأة، حركة الانعتاق الثقافي ضد التخلف والرجعية، حركة الدفاع عن حقوق الاطفال، حركة الدفاع عن حق اللاجئين، الحركة المناهضة للدين والداعية للالحد، حركات الدفاع عن الحريات السياسية والثقافية، حركة الفلاحين ضد الاقطاع، حركة مناهضة عقوبة الاعدام، حركة الدفاع عن البيئة، او حتى حركة الاطاحة بالنظام وغيرها.

حين نقول ان هذه حركات غير اشتراكية وحركات ديمقراطية بمعنى ان تحقيقها لايتطلب، من حيث المضمون، الاطاحة بالنظام الراسمالي. انها يمكن تحقيقها في اطار الراسمالية ايضاً. اذا نظرت للمجتمعات الغربية، ترى ان الكثير من هذه المطالب قد تحقق. ان هذا اختلاف، من حيث الماهية، الحركة الاشتراكية للطبقة العاملة عن هذه الحركات. فيما لايمكن تحقيق الحركة الاشتراكية للطبقة العاملة في اطار الراسمالية. اذا اخذت موضوع المساواة الحقيقية ما بين المرأة والرجل. حين نقول انها ليست حركة اشتراكية، ديمقراطية، فان ذلك يعني ان انتصارها لايعني بالضرورة الغاء العمل الماجور. ان لا يكون في مصلحة البرجوازية الان تحقيق المساواة، فهذا موضوع اخر. انه ليست حركة بمعنى الغاء العمل الماجور او الغاء الملكية الخاصة لوسائل الانتاج. ان قسم مهم من هذه الحركات تخالف الحركة الاشتراكية للطبقة العاملة. انها برجوازية. اذا اخذنا بنظر الاعتبار الحركة من اجل الحريات السياسية، حق التنظيم وغيرها. انها يمكن ان تتحقق في اطار الراسمالية كذلك. ان الجماهير التي تتجذب الى هذه الحركات قد اتت للميدان لهذا الهدف. ان انتصار هذه الحركات هو لصالح الطبقة العاملة، يجعل من حياتها ونضالها ووجدتها اسهل. ولكنها لاتضع عمالية او برجوازية طرف تحت طائلة السؤال.

## مبادئ النشاط الشيوعي

ولأن موضوع النشاط الشيوعي هو الطبقة العاملة، فهل هذا يعني ان الجامعات، على سبيل المثال، غير مهمة؟ ليس الامر كذلك. لقد قلنا في مكان اخر ان الجامعات، وبالاخص في بلدان مثل ايران، احد الحلقات المهمة في النضال السياسي للطبقة العاملة. الجامعات احد المراكز المهمة التي بوسعها ان تلعب دوراً ضد الطبقة العاملة او بالعكس في خدمة الثورة البروليتارية للطبقة العاملة.

لقد ذكرنا ان المثقفين هم احد العوامل التي تلعب دوراً مهماً في الوعي الشيوعي للطبقة العاملة، وفي الصراع الفكري ضد البرجوازية. اذ يتربى المثقفون في المجتمع في الجامعات اساساً. ليس ثمة حظوظ تذكر لمثل هذا العمل في المعمل. ان كسب هؤلاء المثقفين للشيوعية وتنشيطهم للنضال الشيوعي يعد امراً مهماً. فيما يخص حركة تحرر المرأة، وضحنا ان حركة تحرر المرأة جزء لا يتجزأ من نضال الطبقة العاملة، ولهذا لا تستطيع ان تتخذ موقف اللامبالاة من هذا الامر. حتى في الحياة والنضال اليوميين للطبقة العاملة، ان الدفاع عن حق المرأة بوجه جميع الخرافات التي تعيد انتاجها البرجوازية ضد المرأة والتصدي لمجمل منتجات الوعي المضاد الذي تنتجه البرجوازية في المجتمع هو جزء مهم من النضال الشيوعي.

كذلك الحال مع الحركة الداعية للخلاص الثقافي. في المطاف الاخير، الشاب الايراني، سواء اكان عاملاً ام لا، ينشد ان يتمتع بخيرات الحياة الفكرية والمعنوية للعالم بقدر ما يتمتع به امرء اخر في اوربا. ان هذا الصراع ضد التخلف هو لصالح الطبقة العاملة، للطبقة العاملة مصلحة فيه.

لا يمكن لقائد شيوعي في معمل ان يتخذ موقف اللامبالاة من نشر الخرافة والتخلف الثقافي الذي ضحيته الاولى والمهمة هو الطبقة العاملة، وان يقول ان هذا الامر ليس له ربط بالعامل. لا يمكن اتخاذ موقف عدم الاكتراث من ظلم المرأة، وتقول ان هذا ليس له صلة بالعامل. ان ظلم المرأة هو اساس اهم شق وفرقة داخل الطبقة العاملة. كما لا يمكن ان لا تكثر لما يحدث في الجامعات من سيطرة اليمينية والفاشية الفكرية. مثلما ان ليس بالوسع عدم المبالاة تجاه الجماهير العريضة من الكادحين المغلولين، العاطلين، او العمال العاطلين، كادحي المدن، معلمي المدن او القرى.

لقد وضعنا جل تاكيدنا على حقيقة مهمة الا وهي ان مركز وموضوعة النشاط الشيوعي هي اساساً النشاط داخل الطبقة العاملة. ان هذا لا يعني انه يمكننا او ينبغي علينا ان نولي ظهرا لهذه الاقسام من المجتمع واحتجاجاتها. يتمثل اختلاف موضوعنا مع الشيوعية البرجوازية بكونها جالسة خارج الطبقة وتنتظر الى ماهي مهامها تجاه الطبقة العاملة. ينبغي ان ننظر الحركة الشيوعية داخل الطبقة العاملة الى مسألة ماهي الصلة التي ينبغي ارسائها بينها وسائر الحركات. ومن هذا المكان والموضع يُلفت الانتباه الى ان على الطبقة العاملة ان تكون طليعة وقيادة مجمل هذه النضالات. وفي المطاف الاخير، ينبغي ان تحدد وتعرف النصر في اي منها من زاوية مصلحتها نفسها.

فيغض النظر عن ان الاشتراكية هي الخلاص تماماً من اي اشكال الاستغلال والقمع، ولكن حتى لو نظرت للامر من زاوية اقتصادية ايضاً، فان مساواة المرأة بالرجل لصالح الطبقة العاملة. وبمبررات واضحة جداً، ان اعلنوا مساواة المرأة مع الرجل، وان المرأة ربة البيت هي عاملاً او يمنحها ضمان البطالة، عندها تصبح الحياة مريحة اكثر، ويوفر الفرصة للمرأة العاملة، لنصف الطبقة العاملة ان يقوم بنضال اكثر تأثيراً.

حركة الاطاحة بالنظام، ليس موضوعي الان بطريقة ثورية او غير ثورية، بيد ان الاطاحة بالجمهورية الاسلامية، سواء اكان بصورتها الثورية ام غير الثورية، لا يعني الثورة الاشتراكية. فجميع الثورات العامة على هذه الشاكلة. مثل عصر الشاه، جراء تلك الثورة، ارسيت حريات ديمقراطية واسعة، حرية التنظيم لمرحلة ما.

وان كانت هذه الحركات وهذه النضالات ليست اشتراكية بصورة مباشرة، ولكنها ذا صلة بنضال الطبقة العاملة، وتترك تأثير على نضال الطبقة العاملة بصورة مباشرة. لانحة للطبقة العاملة، للشيوعيين والنشاط الشيوعي ان ينخرط بها. ان هذه احد الادوات واحد القنوت المهمة جداً فيما يخص توعية الطبقة العاملة

وتوحيدها وقيادتها.

ولهذا، فيما يخص الصلة بهذه الحركات وهذه التحركات، ينبغي ان نأخذ النقاط ادناه بنظر الاعتبار:

1- ماعدا المراحل الثورية، يبرز النضال اليومي للطبقة العاملة في هذه الاشكال والقوالب. النضال من اجل حرية التنظيم، النضال من اجل مساواة المرأة والرجل، الاجور، ضد تقليص الخدمات الاجتماعية وغيرها. ان اعلان ان هذه النضالات في المجتمع ليس لها صلة بطبقته العاملة ونشاطه الشيوعي هو ليس سوى اطلاق الرصاص على ساق الطبقة العاملة، ليس هذا وحسب، لايدفع الطبقة العاملة في نضالها اليومي ذاته للنصر. ذكرنا ان شريطا ناقلاً وقناة مهمة لتوعية وتوحيد الطبقة العاملة هما التجربة، وان بعداً مهماً من التجربة، التجربة اليومية للحياة في المعمل بوجه الراسمالي، والبعد الاخر للتجربة هو في الابعاد الاجتماعية. في هذه التجربة تتعرف الطبقة العاملة على اختلافها عن الحركات الديمقراطية.

ينبغي ان يكون النشاط الشيوعي والطبقة العاملة طليعيين، مبتكرين وقائدين هذه النضالات ومنظمي هذه التحركات. لقد تم التاكيد على هذا الحكم من البيان الشيوعي الى خطاب ماركس للجنة المركزية لجمعية الشيوعيين فيما يخص ثورات 1848 ولينين في المعمل وتكتيكات الى اطروحات نيسان والنزعة اليسارية ومن اول كتابات منصور حكمت الى اخرها.

2- تشرع الحركات والاحتجاجات العامة الابواب امام انواع القومية والشعبوية، من اشكال العلمانية الى الدينية ومن الشرقية الى الغربية. وعبر تبيان المصالح المشتركة للطبقات والحركات المختلفة، تعظ البرجوازية والحركات البرجوازية بالمساومة الطبقيّة وتصفية الطبقة العاملة في هذه الحركات وتنتج الخرافات حول هذا الامر. ان وجود هذه الحركات نفسها والاحتجاجات العامة وانخراط الطبقة العاملة (على الاغلب على شكل عمال افراد) يجعل الطبقة العاملة غير محصنة وسهلة الضربة في هذا الميدان.

وهذه هي السياسة التي اكد عليها ماركس، انجلز، لينين، وبعدها حكمت، وطرحوها بوصفها ركن اساسي للسياسة الشيوعية. تتمثل هذه السياسة بانه مقابل كل خطوة من النشاط الشيوعي في هذه الميادين، ينبغي، ولمئة مرة، توضيح اختلاف سياسة الطبقة العاملة ومصحتها عن الطبقات والحركات الاخرى. ينبغي ان يوضع امام الطبقة العاملة دوماً الاختلاف ما بين الحركة الشيوعية و سائر الحركات الاخرى. ينبغي تحصيل هذه الطبقة من الشعبوية وفكرة وضع مجمل الطبقات في سلة واحدة قومية، نسوية، تركية، كردية، فارسية، عربية. ان المسعى الدائم الذي يقتضيه وجود حركة مافوق طبقية ووجود مصلحة الطبقة العاملة في هذه النضالات يجعله امراً اكثر الحاحاً بالالف المرات.

3- ينبغي تحديد معنى النصر في هذه النضالات وهذه الحركات من زاوية مصلحة الطبقة العاملة. اذ يمكن تحقيق النصر باقتدار وقدرة هذه الحركات ذاتها، وليس عبر قائمة الاماني وتلك الاطروحة الحكيمة وغير الماركسية وغير الاجتماعية التي تجعل النصر امراً ممكناً في الثورة الاشتراكية فقط.

ينبغي تبيان تكتيك نصر هذه النضالات في كل نطاق. ينبغي جعل هذا النصر الخاص رؤية و تصوير الهيكل الاساسي المناضل لهذا النصر. على النشاط الشيوعي ان يسعى ان يكسب، من هذه الزاوية، قيادة هذه النضالات. اي ان هذا يعني سيادة البروليتاريا على هذه النضالات.

ينبغي ان يتم تحديد كل نصر بشكل بحيث تظهر الطبقة العاملة منه اكثر وعياً ووحدة واقتداراً. ان هذه هي معالم وشواخص. ان تهزم الامبريالية او الملالي وغيرها، وهو امر حسن كثيراً ايضاً، الا انها ليست بشواخص.

مثلاً، لنفترض اننا ننشد اعطاء تعريف محدد للنصر في حركة الاطاحة بالجمهورية الاسلامية. فان فرضنا

## مبادئ النشاط الشيوعي

هو ان الاطاحة بالنظام يعني حرية التنظيم، حرية التعبير، ضمان بطلاة عام و عدة مطالب من هذا القبيل انت في وثيقة "منشور الاطاحة بالجمهورية الاسلامية". انه لامر معروف ان في قلب هذه الوضعية لن تخرج البرجوازية مرة اخرى ولها يد طولى على العامل، بل تضع هذه الظروف الطبقة العاملة في مكانة مساعدة اكثر للاطاحة بالبرجوازية.

في هذه الحالة، يمكن تامين وضمان ان لا تتحول الطبقة العاملة الى جزء من الصراعات الداخلية للبرجوازية وملحقاً لها. اذ تسعى البرجوازية بكل قواها من اجل ان تخر الطبقة العاملة للميدان بوصفها جزء من جناحها هذا او ذاك. يعيش العامل في مجتمع، واذا دبت حركة في المجتمع، ستتحرك الطبقة العاملة ايضاً. بيد ان هذه الحركة لاتعني ان الطبقة العاملة دخلت لهذا الميدان برايتها ومطالبها المستقلة. بل على العكس من ذلك، تدفع الحركات العامة الطبقة العاملة نحو تصفية وحل نفسها في الطبقات الاخرى. هذا الا دفعنا النشاط الشيوعي قدماً على اساس الماركسية.

ينبغي، على سبيل المثال، تحديد الاطاحة بالنظام بشكل بحيث تظهر الطبقة العاملة من رحمة بصورة اكثر وحدة ووعياً، وتكون قد وحدت وجمعت وحشدت حولها جماهير عريضة في المجتمع، من الكادحين وصولاً الى المثقفين اليساريين، من مناصلي تحرر المرأة الى النضال من اجل الخلاص الثقافي. اي بلورت واستقطبت هذه الاقسام من المجتمع وهذه الحركات حول مصلحة الطبقة العاملة.

في مثل هذه الحالة، ستدرك الطبقة العاملة وقسم كبير من المجتمع اختلاف الطبقة العاملة مع البرجوازية فيما يخص ظلم المرأة مثلاً، وسينتبه الى ان تكون هيلاري كلنتوني رئيساً للجمهورية او ولاية فقيه السيدة خانم رهنورد ليس تقدماً للبشرية. بالنسبة للحركة النسوية الداعية للمكانة والمناصب يعد تقدماً. بيد انه ليس تقدماً للطبقة العاملة والقسم الاعظم من نساء المجتمع. اذ مالفرق ان يستغل العامل امراة برجوازية ام رجل برجوازي؟ ان هذه امثلة. ما اود قوله ان كل هذه هي ميادين مهمة للطبقة العاملة والنشاط الشيوعي وينبغي ان تتواجد فيها، وان تتواجد بقوة.

### الفصل الخامس عشر - مبادئ النشاط الشيوعي: العمل في اوضاع خاصة

ان هذه الجلسة هي اخر جلسة لموضوعة النشاط الشيوعي. سعيت لحد الان الى اعطاء صورة عن المنظومة الاساسية لنشاط شيوعي. من بين كل المواضيع التي بقت، وهي مواضيع كثيرة جداً ويمكن تناولها، أفضل ان اتحدث عن مسالتين، وكلا المسالتين مرتبطين بالعمل في ظروف خاصة. ولكلاهما دور مهم في النشاط الشيوعي، ولكنهما لايتناغما مع القالب العام لمبادئ النشاط الشيوعي، وفق الاطار الذي تحدثت فيه. انها تتاثر به دون شك، ولكنها ليست واحدة. الاول العمل في الخارج، وثانيا كارد ازادي (حماة الحرية-م). ان كلا النشاطين مهمين. ولكنها اشكال خاصة من النشاط الشيوعي لايمكن تغطيتها في قالب اسس العمل الشيوعي. ان خلطهما بهذا الصعيد لايجلب سوى تشوشاً فكرياً، حركياً وتنظيماً.

نظراً لمحدوديات الوقت، ساخصص عشرة دقائق لكل منهما.

#### 1- العمل في خارج البلد

باي شيء ينهمك حزب شيوعي او نشاط شيوعي في الخارج؟ ان هذا سؤال مهم، لان نظراً لاوزاع ايران، تحول خارج البلد الى مكان امن او اكثر اماناً للنشاط الشيوعي، وان عدد كبير من الشيوعيين في المنفى يعيشون في الخارج. ان تشخيص اهمية هذا الميدان بوصفه مهماً لانه في حاله غيابه، فان امكانات كبيرة ستضيع، وان رفض النشاط في الخارج بوصفه عمل تيارات سياسية حولت العمل الى موضوعة خارج

وداخل البلد، تيارات اذا تمعنت بها، ترى انها لاتقوم بعمل على صعيد داخل البلد كذلك.

من جهة اخرى ان احلالها محل النشاط الشيوعي داخل البلد هو ستار اليسار المنفي المفصول عن المجتمع من اجل ادامة الحياة في الخارج وتبرير انعدام الصلة بالمجتمع والطبقة العاملة. ساشير لاحقاً الى ظاهرة الثوريين المنفيين والاوزاع الروحية والفكرية المفروضة عليهم في اغلب الاحيان. يرى الثوريون المنفيون الذين هم منفيين ذهنياً وذاتياً كذلك، خارج البلد عملياً او رسمياً النطاق الوحيد لنشاطهم وميدان بذاته.

يمكن الاشارة الى مستويات مختلفة من النشاط. ان قسماً من هذه النشاطات هي نشاطات داخل البلد ذاتها والتي انتقلت، لاسباب امنية وامكانيات، الى الخارج او يتم تنظيمها هناك. على سبيل المثال، محل اصدار الادبيات، التلغاز، اذاعة، مكتب الاتصالات التنظيمية، قسم من القيادة، التحضيرات واعمال الاعداد وغيرها التي من الضروري ان تكون بعيدة عن متناول ايدي الجمهورية الاسلامية. لا اعطي هذه هنا لان امورها واعمالها معروفة عادة ولا تختلط هذه الميادين على المرء. من المعلوم ان قسم من هذه الاعمال هي في الداخل ايضاً.

ان قسماً اخرأ من هذه النشاطات مرتبطة بدعايات ونشاطات سياسية تساعد على ابراز راية معينة، خط، سياسة او حزب، وتؤثر على اجواء خارج البلد وغيرها. وان هذا هو القسم الذي ساشير اليه هنا.

ان اول نقطة تلفت انتباهنا فوراً هي اننا نتحدث عن نشطاء ليس موضوع عملهم هو تنظيم الطبقة العاملة في هذا البلدان من اجل الثورة الاشتراكية، او ليس كذلك بصورة مباشرة.

ان اي شيوعي يسعى للانهماك في النشاط السياسي في بريطانيا، السويد، المانيا وغيرها من اجل تنظيم الطبقة العاملة لذلك البلد للثورة البروليتارية، عليه الانضمام الى الحزب الشيوعي او جماعة شيوعية في بريطانيا والسويد والمانيا وغيرها، او يعمل على ارسائها. مثلما هو الحال سابقاً، اذ ان قسماً كبيراً من الشيوعيين الروس المنفيين يعملون في اطار احزاب بلدان اوربا الغربية، او شيوعيي المانيا وغيرها يعملون بعد ثورة اكتوبر في اطار الحزب البلشفي. ولهذا السبب، حين ننظر الى حزب مثل الحزب الاشتراكي الديمقراطي الروسي او احزاب ذلك الوقت، تجد ان ليس لهم تنظيمات خارج البلد. لديهم منظمات خاصة صغيرة جداً مثل مكتب ادبيات عموم البلد، قسم من القيادة او مدارس حزبية وغيرها في الخارج.

الكثيرون من الشيوعيين الايرانيين المنفيين، ولاسباب مختلفة، مثل اللغة او يميلون الى ادامة عملهم ارتباطاً بالمحيط الذي انخرطوا فيه سابقاً، يقررون العمل ارتباطاً بايران.

ثمة نقطة اخرى يجب ان نوليها انتباهنا الا وهي ان الايرانيين، ولاول مرة في تاريخ ايران، بعد ثورة 1979، شهدنا الهجرة للخارج لاسباب سياسية، اقتصادية وثقافية. ان عواقب ثورة 1979 في ايران شكلت لأول مرة جيل من الايرانيين يطلق عليه مهاجر. لقد شكلته بهذا المستوى على الاقل. قبل ثورة 1979، كان الكثيرون من الايرانيين في الخارج اما طلبية او اثرياء. في ذلك الوقت، حين تبرز في اوربا نفسها جواز سفرك الايراني، يتعاملوا معك مثلما يتعاملوا مع مواطن سعودي او كويتي ثري. حتى ان بعضهم يتعامل مع الايرانيين بصورة اكثر احتراماً من مواطني البلد نفسه، لانهم يعتقدون ان الايرانيين اثرياء واتوا لانفاق الاموال. وحتى الطلبة والسياسيين الايرانيين يتمتعون بدرجة جدية من الرفاه، بحيث انهم ليسوا مجبرين على اعالة انفسهم بالشكل الراهن، واذا لم يكن لهم زمالة دراسية، فان عوائلهم على الاغلب، ولدرجة تمكنها الاقتصادي، بوسعها ان تنجدهم.

لم تبقى هذه الظاهرة. ان المهاجرين الايرانيين في الخارج اليوم هم بالضبط مثل مهاجرين البلدان الاخرى

## مبادئ النشاط الشيوعي

الذين يعيشون في الخارج. الكثير منهم يذهب ويأتي من إيران. مثل المهاجرين الايطاليين في امريكا في السنوات السابقة او المهاجرين الافغان في ايران. وان هناك اختلاف بين المهاجرين المنفيين (اللاجئين-م) وأولئك المهاجرين. ليس للمنفي قدرة السفر لايران لانه تحت ضغط الجمهورية الاسلامية وعملياً هو كالسجين، ساتناول هذا لاحقاً. حياة ومعيشة المهاجر هي في الخارج ولديه اتصالات ويسافر الى ايران. وان كانت هاتين المجموعتين تعيشان في جغرافيا واحدة، ولكنهم يعيشون عالمين مختلفين عملياً.

ان الاجواء السياسية والثقافية لهذه الجماهير العريضة في الخارج تاتي مباشرة على الاجواء السياسية والثقافية لايران. ان لاجواء المهاجرين والمنفيين تأثير على اجواء البلد الذي اتوا منه دوماً. بالإضافة الى ذلك، فان عالمنا المعاصر وعولمة الاتصالات السياسية، الاقتصادية والثقافية وغيرها اضفت ابعاد اكبر واكبر على هذا التأثير. في عالمنا، الخارج والداخل مرتبطان ببعض. ليس عالمان منفصلان تماماً. لايشغل احدهما مكان الاخر، ولكنهم يؤثران على بعض كثيراً. ان السياسة والنشاط اللذان يتصاعدان في ايران يتركا تأثيراً مباشراً على اجواء خارج البلد، وان السياسة والنشاط اللذان ذا راية مميزة في خارج البلد ستجد لها انعكاساً وامتداداً في ايران كذلك.

السؤال هو كيف للنشاط الشيوعي ان يرتبط بهذه الصلة المتبادلة؟

ثمة قائمة طويلة من الاعمال التي يمكن ادراجها. يمكن ان تكون هذه القائمة طويلة او قصيرة ارتباطاً بالقوة التي تسعى لتنفيذها. بيد ان التوجهات او الاسس التي يمكن الاشارة لها والتي على النشاط الشيوعي ان يعتمد عليها بوصفها بوصلته بغض النظر عن قواه. يمكن الاشارة بهذا الخصوص الى العناصر ادناه:

1. اعلاء راية بديل شيوعي غير مشروط في الاجواء السياسية لايران،
2. الصراع المتواصل مع مجمل سياسات البرجوازية ومجمل التقاليد البرجوازية والخرافات التي تضخها البرجوازية في المجتمع والطبقة العاملة،
3. التحول الى ناطق باسم الاحتجاج العمالي في ايران، بابعاده الحركية والاجتماعية وليس الحزبية، والسعي لتهميش الحركات البرجوازية في الخارج،
4. جلب اكثر اشكال الدعم لنضال الطبقة العاملة في ايران سواء بابعاده الاشتراكية بمعناه الاخص، ام في الابعاد الديمقراطية من اجل الحريات السياسية، اسقاط الجمهورية الاسلامية، الخلاص الثقافي، تحرر المرأة، حقوق الطفل وغيره،
5. السعي لسيادة وبروز السياسة الشيوعية على اجواء الايرانيين المهاجرين. التضيق على اجواء نفوذ التيارات الرجعية، مثل الاسلاميين، القومية والفاشية الفارسية والكردية والتركية وغيرها في الخارج
6. عزل وتهميش الجمهورية الاسلامية في الخارج
7. ثمة مستوى اخر من النشاط في الخارج بوصفه شيوعي قاطن في ذلك البلد. اي اذا كنت شيوعي وتوطن في المانيا، فرنسا او بريطانيا لايمكن ان لا تكون لك صلة متينة مع شيوعيي الطبقة العاملة في ذلك البلد. كقاعدة، عليك ان تتعرف على العمال الشيوعيين هناك، ان تقيم صلة معهم، وكقاعدة ان تسعى لان تكون جسراً ضد الخرافة في خارج البلد وفي اوربا وامريكا فيما يخص النشاط الشيوعي، وان تكون مايسمى جسر الصلة الاممية بين الشيوعية في ايران والشيوعية في هذه المجتمعات.

ان هذه النقاط هي ليست اولويات حسب الترتيب. ولكن بوسعها ان تكون اساس النشاط الشيوعي في الخارج. وان بوسع كل تيار، ارتباطاً بتوازن القوى، ان يحدد شواخص تقدمه في كل ميدان دون شك. والاهم من هذا ان يضمن التقدم والاتساع وكسب القوى. ويضيق الاجواء على غيره. ان النشاط الذي ليس بوسع ان يرى نفسه موفقاً بهذه الشواخص، لن يكون له تأثير على عالمه الخارجي. ساوضح لاحقاً ان ليس لاكثر المنفيين السياسيين عالم موجود خارجه.

ان واقع النشاط الشيوعي في الخارج يواجه قضايا وتعقيدات اخرى، اشير الى بعض منها:

### الف: تركيبة المهاجرين

ان التركيبة الطبقية والسياسية للمهاجرين الايرانيين في الخارج لاتماثل مجتمع ايران ولا مجتمع البلدان التي يعيشوا فيها. ان القسم الاعظم من هؤلاء المهاجرين هم ليسوا عمالاً. ان معضلة النشاط بينهم تماثل معضلات النشاط في شمال مدينة طهران او المناطق المرفهة في مدن ايران. ليس قصدي ان اقلل من اهمية العمل بين الايرانيين، بل اشير الى تعقيداته.

علي ان اشير بهذا الخصوص الى قدرة نفوذ القومية والدين الى حد ما بين الايرانيين في الخارج. ان الفصل والهوة الثقافية مع المجتمع الذي يعيشون فيه، وجود العنصرية والخوف من الاجانب في جميع البلدان، يدفع الايرانيين، مثلما هو الحال مع بقية الامم، صوب تامين الامان الروحي، الاجتماعي والاقتصادي عبر تشكيل غيتوات (مناطق معزولة-م) قومية ودينية، وان هذا يوفر افضل مجال للقومية والدين وسائر التصنيفات الرجعية. ان مجابهة هذه الظاهرة والتصدي لها ليست عملية سهلة اساساً. بيد ان على النشاط الشيوعي ان يعد كسر هذا الطوق واشكال الحصار والغيتوات الثقافية والسياسية والاجتماعية هدفاً اساسياً ومهماً له. ان مايجري في هذه الغيتوات يجد انعكاس له في ايران دون شك.

ويتمتع النضال ضد التخلف الثقافي والسياسي، النضال من اجل الدفاع عن الحقوق الانسانية، النضال من اجل الدفاع عن حقوق المرأة، حقوق الطفل، ضد الدين وغيره، بالاضافة الى اهميته في ايران نفسها، فانه يتمتع باهمية كبيرة في النشاط في الخارج. كما يتمتع باهمية كبيرة التحول الى ناشط، ناطق ومنظم هذه النضالات في الخارج، وهو بالضبط مثل داخل البلد، يتخطى كثيرا التوعية المجردة، بل نضال عملي وسياسي. باء- الايرانيين العمال في الخارج

ان قسماً واسعاً من المهاجرين الايرانيين هم من حملة الشهادات الساخطين، وعملياً، من الناحية الطبقية، ينتمون الى القسم الاعلى من المجتمع، وحين يقدمون الى خارج البلد، يجبر بعضهم على العمل كعمال. ان المعضلة التي لدى هذا القسم هي شبيهة بالمعضلات السياسية والفكرية للجيل الاول من الفلاحين او البرجوازية الصغيرة التي تنضم يومياً للطبقة العاملة. ينظرون الى حياتهم واحلامهم في مكانتهم الاجتماعية السالفة. يسعون على الاغلب عتياً للعودة الى الماضي. بالضبط مثل فلاح او برجوازي صغيرة انضم حديثاً لصف الطبقة العاملة. ان هذا القسم، على غرار الجيل الاول للعامل، يظهر في محيط العمل بوصفه عامل متخلف على الاغلب. وفي اغلب الاحيان، ويشعوره بالاغتراب من مكانته الجديدة، يميل للقومية، او يُدفع لها. يجذبون للاجواء القومية، الاثنية والدينية التي يحسوا في اجوائها بامان اكبر. الغرق في خواطر وذكريات المرحلة السابقة، ويبقى في العالم ذاته ويحرم نفسه حتى من الخيرات الثقافية، الفكرية والمادية التي هي في متناول يده.

ان عدد كبير من العمال الايرانيين يعملون في السويد، فرنسا المانيا، ولكننا من النادر ان نراهم في صف الطليعيين العماليين في محل عملهم. على العكس من ذلك، ليس لهم دور ايجابي في خلق الوحدة الطبقية في محيط عملهم. اذ تدور رؤوسهم القومية والدين مثل الاقيون ويديموا معيشتهم في عالم خيالي. يعد الكثير منهم انفسهم يسار وشيوعيين قولاً، ولكن في الحياة الواقعية ليس لهم اي دور في نضال الطبقة الذين هم جزء منها، ليس هذا وحسب، ليسوا اداة لاي وحدة ونضال حتى في بعده النقابي. ينضموا، على الاغلب، في مراحل متأخرة عن البقية لصف النضال. ما ان نتحدث مع اي ناشط عمالي في اوربا، حتى ينفجر امامك استياءً من هذا الوضع. انهم مثل العامل الافغاني في ايران. ان هذا القسم من العمال الايرانيين في الخارج ليس عنصر اتحاد في اغلب الاحيان، وليسوا ضد الخرافة اساساً، لايعرف لغة البلد بصورة جيدة، ليس اصدقاء لعامل يساري او شيوعي في هذا البلد رغم قلتهم اساساً.



## مبادئ النشاط الشيوعي

لا يمكن للنشاط الشيوعي ان لا يولي اهمية للسعي من اجل جر الجماهير العمالية هذه ووضعها بصف الناشطين العماليين لهذا البلد. ان الشيوعيين الايرانيين هم بوضع افضل من الشيوعيين المحليين من بوسعهم ان يتوجهوا لهذه الجماهير العمالية، وعلينهم ان يلعبوا دورهم بهذا الخصوص.

### ج- ظاهرة الثوريين المنفيين والانفصامية السياسية، الفكرية والاجتماعية

ينبغي الاشارة الى تعقيد اخر اشترت له بصورة عابرة في مرات سابقة. ان ظاهرة النفي هي مثل المعتقل. تبعد يد الناشط عن مجتمعه. انها ظاهرة اجبارية، كما لو ان المنفي يعيش في سجن. النفي بالضبط مثل السجن يقلص من الصلة العملية والذهنية مع مجتمع ايران، وعلى المدى البعيد، ومثلاً ان السجن يتحول الى عالمه، فان اجواء حياة النفي تتحول الى اجواء خيالية ومجازية بذاتها. ان هذا العالم المجازي يتحول الى عالم يحل محل العالم الخارجي. تنفصل انهماكاته ومشغلاته، اتحاداته وانشاقاته، صداقاته وخصومه تدريجياً عن المجتمع، ويخلي المجتمع الواقعي مكانه لمجتمع منفيين او معتقلين. انها تخلق اجواء انفصاميه لايفهمها امرء يقف خارجها. بالضبط مثل معتقل. اذ يتراجع تدريجياً العالم الخارجي في ذهن وعمل هؤلاء الثوريين المنفيين ويحل محله عالم صغير، ابطال ولا ابطال مزيفين.

وان يصور المنفي مجمل هذه الانفصامية بقالب عبارات سياسية، وينبغي ان نعود لها دون شك. بيد ان لا يمكن للتفسير السياسي لهذه الحقيقة توضيح اغلبية "احداث" هذا العالم. السياسة، الماركسية وغيرها هي موضوعات حول المجتمع. لكن مجتمع المنفيين المغمم بالخيالات هو مفصول عن المجتمع وفقاً للتعريف. عندها يكون الموضوع متعلق بعلم النفس الفردي وعلم النفس الفرقي.

في هذه الاجواء الانفصامية، يغدوا امر تجديد القوى في الخارج وجعل منظمة خارج البلد شبابية هو امر ليس سهلاً اساساً. هذا الا اذا كانت لديك شيوعية قوية، اجتماعية وملحوظة في داخل البلد.

لقد كانت هذه سمة النفي على امتداد التاريخ. لا تقتصر هذه الظاهرة اساساً على الايرانيين ومرحلتنا كذلك. اننا نشهد، بالاخص بعد التحولات الثورية في بلد ما، ظاهرة "ثوريين في المنفى". لقد تحدث عنها انجلز ولينين في بعض الاحيان. يطلقون عليها اسم الثوريين المهاجرين. لقد واجهت كومونة باريس ذلك، كما واجهت ثورة 1905 في روسيا الثوريون الفارون الذين نفوا الى خارج البلد او هربوا انفسهم. واننا نرى هذه الظاهرة في مجمل هذه الاحداث.

بوسع فقط ذلك القسم من المنفيين السياسيين ان يتمكن من الافلات من هذه الاجواء المريضة وذلك بربط مجمل عالمه الذهني برافعات في حياة حقيقية، اي مجتمع ايران. ان مجمل تأكيداتنا في السنوات المنصرمة هو ان نكون اجتماعيين، ينبغي النظر بعين الطبقة العاملة، ناشط شيوعي والعالم الذي خارجك اجمالاً واعتباره مرجعاً ومحكاً، لقد كان سعياً لكي لايجرنا كلنا، نحن في الخارج، مستنقعاً مظلماً ذا قدرة جذب هائلة عميقاً نحو قاعه. المجتمع والعالم المحيط بنا يزودنا ببوصلة نهتدي بها. ان موت النشاط الشيوعي يتمثل بحبس النفس في هذا العالم.

## 2- كارذ ازادي (حماة الحرية)

ان احد الاشكال الخاصة والمهمة للنشاط الشيوعي هو الذي طرحناه تحت اسم كارذ ازادي (حماة الحرية-م). ان هذه الفكرة مهمة لانها تتخذ معنى من صلة النشاط الشيوعي بالسلطة والاقتدار السياسي التي اشترنا لها سابقاً.

ان على الحزب السياسي انتزاع السلطة هي ليست فكرة ماركس ولا منصور حكمت. انه منطوق كل نضال سياسي في تاريخ المجتمع البرجوازي. ان مجمل الاحزاب، سواء اكانت يسارية ام يمينية، ماعدا الاحزاب

الهامشية والتي هي في الواقع غير سياسية، لديهم هذه الفكرة بهذا الشكل او ذلك. ان موضوع حماية الحرية هي ان في عالمنا المعاصر، ومن اجل قرن النشاط او التحزب السياسي بالقدرة والاقترار لايمكن وينبغي ان لا تنتظر مكانة ووضعية مناسبة في مرحلة ثورية. اذ تسعى البرجوازية ومجمل التيارات الرجعية، سواء اكانت في الحكومة ام خارج الحكومة، عبر القسر ان تحول دون وصول النشاط الشيوعي لتلك المرحلة. يجابه النشاط الشيوعي والطبقة العاملة اليوم بمؤسسة القمع الرسمية للدولة والحكومة. اذ يجابه اشكال من الجماعات والعصابات الرجعية والبرجوازية، وان يكن بعضها في المعارضة، الا انها بجانب المؤسسة الحكومية تلجأ الى القسر والعنف ضد النشاط الشيوعي والطبقة العاملة.

في حقيقة الامر يواجه النشاط الشيوعي اليوم وضعية تختلف عن المرحلة السابقة. ان افضل نموذج مطروح امامنا هو نموذج الحزب الشيوعي الروسي. لقد كانت البرجوازية المسلحة هي الحكومة انئذ. الحكومة هي من تنفذ وتطبق النظام، وان الحقت بها الهزيمة ستنحصر. مثلما هو الحال مع انتفاضة اكتوبر، وبعدها الحقوا الهزيمة بها في الحرب الاهلية. لقد تغير العالم اليوم كلياً. في ذلك الوقت لم تكن المعارضة مسلحة ولا الحكومة، بالإضافة الى قواها النظامية، تستند الى الزمر المسلحة العريضة وبعض الاحيان اهم من الحكومة نفسها. في تلك المرحلة لم يكن هناك خطر سيناريو مظلم، خطر دمار وانهايار المجتمع على ايدي الجماعات المسلحة الحكومية وغير الحكومية والمناهضة للحكومة. لم تكن هناك ظاهرة مثل التي رايناها في الصومال، لبنان، افغانستان، يوغسلافيا والعراق. ان مجتمعنا على شفا الانهيار دوماً. ان انهيار المجتمع هو اسوأ الاوضاع الممكنة لنشاط شيوعي ولثورة عمالية. العراق نموذج بارز على هذا الواقع.

لم نمر بوضع في روسيا بحيث تقوم المعارضة، اذا اقتضت مصالحها، قبل الاطاحة بالحكومة، بارهاب وقمع الشيوعيين والطبقة العاملة. لم تكن في مرحلة لينين مقولة باسم "بسيج" (مليشيات تابعة للجمهورية الاسلامية-م). ليس هناك بسيج المحلّة، ولا بسيج المعمل، لا السلفيين ولا المعارضة المسلحة. لم يلغم احد نفسه في ذلك الوقت، ويفجر نفسه وسط اجتماع المجلس. لم يسلح احد طفلاً عمره عشر سنوات بالرمات اليدوية والسلاسل كي يغتال النساء غير المحجبات او المعارضات. لهذه الاعمال رواجاً كبيراً اليوم. اي يمكن تهديد واغتيال العامل الشيوعي والناشط الشيوعي من قبل الاسلاميين والسلفيين والشيعه، المجاهدين (مجاهدي خلق-م) والحزب الديمقراطي وغيره. يقومون بهذا العمل مع الدولة او بمعزل عنها.

ان هذا الواقع يثقل على ذهن المجتمع وبالاخص على ذهن العامل، وان هذا الثقل نفسه هو مبعث لحذر العامل وسيادة الروح المحافظة. كم عامل وكم انسان تحرري هناك في مجتمع ايران يرسف بهم قلق انه حتى اذا الحقنا الهزيمة بهم في خندق الانتفاضة في طهران، سيمضون بقصف طهران وسائر المدن الاخرى، ولو كان بيدهم اسلحة نووية، لن يترددوا عن استخدامها؟ هل يتردد من يلغم نفسه ويفجرها في المدارس والمستشفيات عن استخدام اسلحة نووية او كيميائية؟

اننا لم نرى هذه الظاهرة في ثورة 1979 حتى. يمضي الاسلاميون اليوم لقتل الفتيات لا لشيء الا لذهابهن للمدرسة. يلغم نفسه ويفجر نفسه وسطهن. ما اود اقله ان النشاط الشيوعي يجابه في هذه الحالة وضعية جديدة.

من المؤكد اننا اذا جوبهنا بوضع مثل هذا، ينبغي شن الهجوم عليهم، ونشكل في خضم هذا شيوعية بوسعها ان تقمع مجمل هذه القوى الرجعية. ولكن تتمثل المسألة بوجود عدم انتظار ان يقوموا بكارثة كي نبدأ. ينبغي ارساء الخنادق من اليوم ضدها. ان هذا التخندق يستلزم، بالإضافة الى الكتابة والتوعية، عملاً محدد ومنظمة ونشاط خاص في المجتمع.

وعليه، يتعلق الامر بعمل او وظيفه جديدة اضيفت الى النشاط الشيوعي اليوم. ان احباط هذه القوى الرجعية المسلحة الى ابعد الحدود، وايدولوجية الى ابعد الحدود، وبلطجية ورجعية حتى نخاع العظم. من هنا تبدأ

## مبادئ النشاط الشيوعي

موضوعه حماية الحرية، وليس من نواة مسلحة. ان فكرة حماية الحرية هي سبيل لمجابهة مؤثرة وفعالة لجيش الرجعية هذه على ايدي النشاط الشيوعي.

ذكرت ان حماية الحرية هي ليست حول ايجاد نواة مسلحة. ان اقامة هذه النواتات هي امر ممكن وجزء من هذا المشروع دون شك. ولكن ليس حماية الحرية حول هذا الامر، ولا حماية الحرية حول تنظيم النضال المسلح ولا حتى حول الشروع الفوري بحمل السلاح. حماية الحرية هي حول اعطاء قدرة الدفاع عن النفس للعامل والجماهير التحررية لذلك المجتمع كي يتمكنوا انفسهم من الدفاع عن انفسهم. ولكن حتى لفترة طويلة، ليس من الضرورة، ولا يعد امراً صحيحاً، ان يتسلح حماية الحرية بالمعنى المتعارف للكلمة.

في الواقع، سواء في الحزب الحكمتي الذي هو مبتكر حماية الحرية او خارج هذا الحزب تم فهم وبشكل واسع حماية الحرية بمعنى تشكيل نواتات مسلحة. كما لو ان تجتمع جماعة ما، تؤسس نواة مسلحة سرية، يوزعون بياناً بصورة مسلحة، ويعلنون عن وجودهم وغير ذلك. او اختزال حماية الحرية الي صيانة امكانيات او الهيئة المسلحة للحزب الحكمتي في كردستان. اننا، وبدون فكرة حماية الحرية، سعينا ايضاً الي صيانة الطابع المسلح للحزب في كردستان، لدينا مشروع القادة الشيوعيين بين الناس (زيارة قادة الحزب وكوادره بشكل خاطف وعلني لاطراف الجماهير والتحدث لها حسب الاوضاع الامنية-م) وغيرها. ان القيام بهذا العمل لم ولايستلزم حماية الحرية.

ان موضوعه حماية الحرية هي امر يخص خلق وايجاد عمل ما. وظيفة في المجتمع وفي الطبقة العاملة والكادحة يمنحها امكانية الدفاع عن نفسها.

ان عالمنا مليء بالاشكال البرجوازية والرجعية لاليات ممارسة السلطة المحلية بدون ان تكون لديك اسلحة. من اشكال المقاومة ضد اسرائيل في فلسطين الى على سبيل المثال الجيش الايرلندي الحر والذين 99% منهم ليس لديه اسلحة. عالمنا مليء باشكال التنظيم الجماهيري والسياسي التي تقلص او لاترك مجالاً عملياً في المحل، وفي توازن قوى قائم، لعمل التيارات المعارضة لها. ان تنامي السلفيين في كردستان والذي يستند الي التهديد المستمر للشيوعيين والناشطين اليسار في هذا المجتمع بالارهاب والتخويف هو نموذج اخر. ما اود قوله ان حماية الحرية لايساوي النشاط النظامي. حماية الحرية لايساوي نواتات مسلحة. حماية الحرية يختلف عن صيانة الملامح النظامية في كردستان. حماية الحرية نموذج ورمز الاقتدار التدريجي للطبقة العاملة والنشاط الشيوعي في الدفاع عن نفسها.

ان مكاناً مهماً لهذا النشاط هو المحلة. بوسع حماية الحرية ان تتخذ اي شكل لها من فريق رياضي الى جمع شباب المحلة. بيد ان العمل الذي يقومون به هو ان يضيّقوا الخناق خطوة بخطوة على نشاط وحركة القوى الرجعية في محلتهم او يجعلوها تواجه مشاكل جدية. لايسمحوا ان تتحول محلتهم الى مرتع للاستبداد. لايشعر البسيجيون بالامان هناك. ان بوسع انعدام الامان ان يشمل من اطلاق الصفيير والسخرية والاستهزاء بهم الى ارعابهم، وهي ليست بالضرورة بشكل مسلح، بل عملياً غير مسلحة في اغلب الاحيان. عبر رمي الحجارة عليهم، الصفيير، بشكل يشعر ان الاخرين ينظرون لهم نظرة سيئة. من هذه الاشكال الى يوم ما تشهر بوجههم الاسلحة دون شك. اصل القضية هو ربط هذه الاعمال بنشاط القوى الرجعية من قمع الحرية الى ظلم المرأة والطفل الى اي بعد يشمله النشاط الشيوعي.

ان اعتبار حماية الحرية معادلاً لرفع الاسلحة ومعادلاً للنشاط المسلح هو تقليل من شان موضوعه اساسية واستراتيجية الى ابعاد الحدود في الاوضاع الراهنة الى نضال فدائي او ادامة النضال المسلح في كردستان. ان صياغة هذا النشاط هو ظاهرة تدريجية، التوعية، جمع القوى، التجذر في المحل، التحلي بدعم معنوي وعملي في المحل، الاتحاد للدفاع عن النفس، الاتحاد لانتزاع ابتكار خلق الامان في المحل، والشل التدريجي

## كورس مدرسي

للرجعية والبرجوازية من التدخل في حياة والتحكم بالطبقة العاملة والجمهير الكادحة والمناضلة لمحل ما، وان هذا لا يتم في يوم واحد وبنواة واحدة.

يكفي ان يمضي شباب محلة ما لاعتقال ملا اصدر فتوى ضد النساء، في اطار تناسب قوى، يؤدبونهم، ويرهبوه. عندها سيحسب ذلك الملا عدا حساباً للهجوم على المرأة في ذلك المحل. وسيشعر مجمل النضال من اجل تحرر المرأة، على الاقل في تلك المحلة، باقتدار وامان اكبر. اتذكر وقت حين كان يقوم الاسلاميون في شهر رمضان بايقاظ الناس بالطبول في ساعات الفجر الاولى للسحور، ظهرت هناك مجموعة امسكتهم ومزقت طبولهم. لم تكن هناك اسلحة ولا رمانات يديوية كذلك.

ان حماة الحرية هي حول الاقتدار والاتحاد للدفاع عن النفس، لبث الامان في نشاطك ولا امان اجواء الطرف المقابل. ان هذا يشمل من الضغوطات الفيزيكية الى الضغوطات المعنوية والنفسية.

انه لامر معروفاً ان يؤول الامر الى المجابهة المسلحة في المطاف الاخير. يستل الطرف المقابل الاسلحة، ولكننا اذا لم نستل الاسلحة اليوم فذلك فقط لان هذا العمل ليس لصالحنا الان. في ظروف واطوار مناسبة، سنستل الاسلحة دون شك. ينبغي ان يكون هذا الامر واضحاً لحماية الحرية. ان هذه المجابهة ستؤول الى مجابهة عنيفة، وهذه المجابهة العنيفة ستقتضي الاسلحة، وهذا اللجوء للسلاح سيؤدي الى اسلحة ثقيلة هي عملية ينبغي طيها في حياة واقعية، والا فان النضال المسلح بصورة فدائية او اسلوب النضال المسلح في كردستان، في اوضاع لا يوجد فيها هذا النضال، سيكون كلاهما نزعاً مغامراتية. تستنتج حماة الحرية من موضوعه لاربط لها بالنظريات والتقاليد السائدة فيما يخص النضال المسلح.

من الممكن ان ياتي وضع وظرف ان ينظم حزب شيوعي نضالاً مسلحاً، وعليه ان يقوم بهذا. بيد ان موضوعه حماة الحرية هي موضوع اخر. ان التعامل مع الاثنين كانهم امر واحد يشل عملياً الطبقة العاملة والجمهير الثورية. لانك تشرع بحمل السلاح في وقت يكون للطرف المقابل يد طولى. من جهة اخرى، يتحول النضال اليومي للطبقة العاملة الى ادامة نواتات مسلحة، وهو ما يجعل تنظيم الطبقة العاملة هش وسهل ضربه. يستفزون الشرطة به، يبعثر هذه التنظيمات والتشكيلات لان من اتى ليتجمع حول هذا التشكيل لم ياتي للحرب. ليس ثمة اي قائد او مسؤول عاقل يرسل اناس لحرب لم ياتوا للميدان من اجلها.

على اية حال، ينبغي الفصل ما بين الاثنين كي يمكن التقدم للامام. ان يوم حماة الحرية هو شيء وغده شيئاً اخر. ان افضل تعريف له هو رمز الاقتدار التدريجي، من الصغير، وامل ان لا يبلغ اشهار الاسلحة يوماً ما، من تضيق الاجواء عليهم الى ردع هجماتهم باي درجة يقدر عليها الانسان وبصورة متناسبة مع الظروف والاطوار.

وعلى هذا الاساس بالضبط، اعلنا اطار وهيئة حماة الحرية من اليوم الاول بوصفها اطاراً محلياً وتابع للجان الشبوعية المحلية.

ثمة نقطة اخرى اود ان الف انتباهكم اليها وهي تبين المنطق والتجربة كلاهما ان فكرة حماة الحرية تستهوي وتجذب اليها الشباب قلبي التجربة بسرعة. اناس ليس لديهم صبر العمل الجماهيري، جمع القوى والنضال المُتَحَكِّم به، يحولوا بسرعة حماة الحرية الى نواة فدائية ويضعون على جدول اعمالهم خطوات مغامراتية. يعد التحكم التام للجان الشبوعية هنا بهذه الاشكال التنظيمية وزرق عقل سياسي واجتماعي بها امراً حياتياً. على اية حال، من اجل توضيح المسائل اكثر، ادعوكم للرجوع الى وثائق ونقاشات الحزب الحكمتي بهذا الصدد.

امل ان يكون مجمل هذا الموضوع قد فتح نافذة على النشاط الشيوعي وعون للناشطين الشيوعيين للطبقة

## مبادئ النشاط الشيوعي

العاملة. ان كان هذا الموضوع مفيداً، اجعله اساس عمك وضعه في متناول العمال والشيوعيين الاخرين.

### توضيح:

1- ليس قصدي هنا ان لايستفاد النشاط الشيوعي من النضال المسلح. بالاحص في عالمنا، تعد قدرة الدفاع عن النفس وقدرة قمع البرجوازية قبل اسقاط الحكومة السائدة امرأ حياتياً. يتعلق الموضوع هنا بان النضال المسلح والقوى المسلحة بالنسبة للبروليتاريا ذات معنى فقط في سياق الصلة بالتنظيم ونشاطه الاكثر اساسية. ولهذا بالضبط في موضوع حماة الحرية، عرفناها لابوصفها قوة نظامية بالمعنى الشائع للكلمة، بل جزء من النشاط الاساسي والمحلي للجان الشيوعية



## منصور حكمت

مؤسس الحركة الشيوعية العمالية

# الفصل ما بين القول والعمل

ترجمة: فارس محمود

## رفاق!

اود ان اتحدث اليكم اليوم عن نتائج الاجتماع الموسع الثاني للجنة المركزية للحزب. ان ما اعرضه هو تقرير غير رسمي. ان هذه المسألة مهمة كثيراً، واتطلع الى ان يولي جميع الرفاق انتباههم لها بدقة، ويسعوا الى ادراكها بصورة عميقة وقيموا ويحكموا على درجة استعدادهم وطاقتهم للدفع بأسلوب حل هذه المسألة الذي وضعه الاجتماع الموسع على جدول اعمالنا وتنفيذه. بعد تبادل الاحاديث هنا، علي كل رفيق ان يكون قادراً على ان يوضح لنفسه مسألة الى اي حد هو على استعداد ان يكون مناضلاً دؤوباً في سبيل التغلب على هذه المسألة.

ولكن ماهي المسألة؟ لتوضيحها افضل، اسمحوا لي ان اعود الى مرحلة تاريخية اخرى، الى الحزب البلشفي بعد استلام السلطة واورد لكم حديثاً للينين. ان الوضعية التي صورها لهي من بعض الجوانب ذا شبه بوضعنا القائم.

يذكر لينين في تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي (البلشفي) الى المؤتمر (11) عام 1922 (اي اخر مؤتمر حضره لينين):

"لقد مرت سنة كانت الدولة بايدينا. ولكن هل عملت هذه الدولة في ظل السياسة الاقتصادية الجديدة (نب) وفق اسلوبنا؟ كلا. لانريد الاقرار بهذا، ولكنه واقع الحال. ولكن كيف عملت ان؟ لم تمضي هذه الماكنة حيث

## الفصل ما بين القول والعمل

ننشد، بل مضت حيث تدفعه قبضة الراسمال الخاص وموظفي الاوراق المالية غير القانونيين وغير العلنيين الذي لايعلم احد من اين حلوا. ناهيك عن ان الماكنة لم تمضي حيث يتخيلها المرء الجالس خلف المقود. انتم الشيوعيين، انتم العمال، انتم القسم الواعي من البروليتاريا الذين توجهتم الى ادارة امور الدولة، عليكم ان تقوموا بما من شأنه ان تعمل الدولة التي بايدكم وفقاً لاسلوبكم".

يتحدث لينين هنا عن عدم تحكم الحزب البلشفي، بعد 5 اعوام من انتزاع السلطة، وبعد عام من طرح السياسة الاقتصادية الجديدة، بماكنة الدولة، اي اداة تنفيذ خطته الاجتماعية. اي ان الدولة اداة تمضي بسبيلها وبجهة معاكسة لماينشده البلاشفة الجالسين خلف مقودها. يسعى لينين على امتداد التقرير الى ان يبين ماينبغي عمله حتى تتحرك هذه الماكنة حيث ينشد البلاشفة، اي الشيوعيين والعمال الواعين.

نعرف جميعاً اليوم ان هذه الماكنة لم تمضي، في المطاف الاخير، الى حيث ينشد البلاشفة، ونعلم ماذا حلَّ بالحركة الشيوعية والعمالية العالمية.

اعتقد اننا اليوم في اوضاع مشابهة، (لا من الناحية الكمية، بل على الاقل من الناحية النوعية). اي علينا ان نحدد ان الماكنة التي بايدنا، من اجل تنفيذ خططنا، تمضي حيث ننشد ام لا، وان لم تكن تمضي، ما ينبغي علينا القيام به لتسير حيث ننشد. ان هذه الماكنة هي تنظيماتنا. اذا لم ننجح في هذا المسعى، فان مصير الحزب البلشفي يرسم كذلك، بنحو ما، مصيرنا امام انظارنا. يتحدث لينين عن ان هناك هوة ما بين كلام البلاشفة وبرنامجهم وخططهم وما بين عملهم.

في اوضاع اليوم، ثمة هوة جدية ما بين كلامنا وخطتنا وبرنامجنا وبين عملنا. يقول لينين لا اعلم اي قبضة راسمال خاص مقامر يدفع ماكنة الدولة نحو الجهة التي تمضي نحوها. ينبغي ان نحدد اليوم اي القوى والنتيقات الواقعية التي تدفع تنظيماتنا الحزبية بصورة معاكسة لميلنا ورغبتنا.

ان هذا الامر هو مسالتنا الجدية الراهنة. جعل الاجتماع الموسع للجنة المركزية للحزب هذه القضية محور مناقشاته وحزم امره على ردم هذه الهوة. تستلزم هذه القضية الانتباه الجدي لجميع رفاقنا لانه ردم الهوة ما بين قولنا وعملنا هو نفسه هدف وخطة لاينبغي ان يبقيا على الورق.

## ما هو فصل القول عن العمل؟

قد لايرى ببعض الرفاق في بداية الامر هذا الفصل على انه شيئا مهما. ألسنا اناس ثوريين ومناضلين وطأت اقدامنا هذا الدرب بايمان؟ لماذا؟ ولكن حين يتحدث لينين عن هذا الفصل في الحزب البلشفي، لاينكر ثورية البلاشفة وصدقهم. يقول حين ننظر، نرى البلاشفة شيوعيين ذوي اهداف وامال وثوريين. يعتبرهم لينين جميعا مثابرين وصادقين، ولكن في الوقت ذاته يتحدث عن اعتقاده بـ:(ماعداد اللجنة التنفيذية للمجالس العامة للعمال والتي تتمتع بحصانة سياسية) ينبغي ايداع اعضاء الحزب وموظفي الدولة السجن 6 ساعات. ان جرمهم هم عجزهم عن تنفيذ اهدافهم، افكارهم، برامجهم وخطط عملهم وحقوقها.

ولكن كيف، وباي شيء، يظهر الفصل ما بين القول والعمل نفسه. مرت سنتان (من المؤتمر الثالث لمنظمة كومه) على اعلاننا رسمياً لراية الماركسية الثورية على تنظيماتنا. ومرت الان 4 اشهر على تاسيسنا للحزب الشيوعي والذي يطلق على نفسه في النظام الداخلي اسم حزب سياسي للطبقة العاملة في عموم ايران (ناهيك عن نضالات ووجود الماركسية الثورية من قبل الثورة وحتى المؤتمر الثالث (لكومه له، ايار 1982-م)). انه مكسب كبير. ولكن الطبقة العاملة لا تقلدنا وساماً لذلك. وذلك لانها لا تقارننا بامثال منظمات بيكار ورزمنديان ومجاهدي خلق، لان ليس لهؤلاء مكان اساساً في تاريخ نضالات طبقتنا. انها تحكم علينا ارتباطاً باهدافنا وبرنامجنا وبمناقول. يقيموننا ارتباطاً بالعالم الذي ننشد ارسائه على الارض. وعليه، من البديهي ان يتطلعون

الينا على اننا مقتدرين ومبدئين ومتينين بصورة تتناسب مع مستلزمات تنفيذ وتحقيق برنامجنا، وان اي نقص وانحراف عن هذه الدرجة من المبدئية والاقتدار يحسبونه تقصيراً منا. علينا ان نحكم ايضاً وفق هذه الشاكلة. ولهذا فان اول مكان يتبدى فيه هذا الفصل بين قولنا وعملنا هو بقاء برنامجنا السياسي والطبقي على الورق. نقول اننا حزب العمال والكادحين، ولكن نتطور في الواقع صلتنا بالعمال والكادحين بصعوبة وعسر. اننا نتطور، ولكن تكمن المسألة في سرعة هذا التطور. اذا نتحرك بسرعة كيلومتر في الساعة، فاننا نتقدم دون شك، ولكننا لن نلحق اطلاقاً بقطار يسير بسرعة 100 كيلومتر في الساعة. واذا كان هدفنا يكمن باللاحق في ذلك القطار، عندها لن نبلغ هدفنا. ولهذا، فان ارقام مثل 10% و30% و50% ليست كافية لتقدمنا. اذ اننا نقيسها بهدفنا الذي هو قلب العالم. لقد تحدثنا في برنامجنا عن اننا ننشد قلب العالم. نتحدث عن ارساء نظام جديد تطلق فيه قوى الانتاج التي كُبلت في المجتمع الرأسمالي. حسناً، هل تعلمون ماذا تعني قوى الانتاج هذه؟ يعني مجمل الصناعات والمؤسسات الانتاجية العملاقة في العالم المعاصر، اي مجمل الشبكة العالمية الهائلة للنقل والحمل العالمية، اي ملايين الناس، يعني مجمل الفروع العلمية والصناعات التي صانها العالم المعاصر. نقول اننا نريد ان نحررها كلها وننظمها في نظام جديد. حسناً، ولكن اذا مابلغنا امرء ما وسمعنا، ألايقول: "لطفاً، أولاً، نظموا اصدار جريدتكم جيداً، نظموا صلاتكم، لارى كيف تستلمون العالم المعاصر الذي يتم فيه كل يوم نقل وانتقال ملايين الاطنان من المنتجات". ان امرء ينشد قلب العالم، عليه، ومن اليوم هذا، ان يبين عن ملامح هذه القدرة على جبينه. ابن الفيل، ومنذ صغره، شبيهه بالفيل. لا يغدوا فيلاً تدريجياً. ان تلك السياسة الثورية التي نتحدث عن ان بوسعنا قلب العالم، ينبغي ان نبين عنها اليوم في انفسنا. ان هذه العلائم والمؤشرات قليلة فينا للاسف. اذ تفرق ساعة ويوم امرء تعهد بهذه الاهداف السامية عن الاخرين.

انها حقيقة ان ارائنا واهدافنا المعلنة هي نفسها علامة مهمة على مستقبلنا الظافر. ان هذا صحيح تماماً، وينبغي ان لا تغيب عن بالنا. ولكنها ليست كافية. اذا بقت هذه الآراء والمبادئ على الورق ولا تتحول الى عمل، عندها لن يكون لدينا دليل وبرهان حي كي نريه للجماهير بان الدرب الذي نأخذهم اليه هو سبيل واقعي وعملي، ليس خيالياً وحلماً ثورياً. لاحظ، لم ننظم انفسنا اليوم ولا في اي قسم افضل من البرجوازية، واستقدنا من امكانياتنا بصورة افضل بحيث نستطيع القول:

"صحيح ان البرجوازية صنعت لاسلكي ومذياع ومؤسسة طباعة، ولكننا نستفاد منها بصورة لا يتصورها عقل البرجوازي. صحيح ان البرجوازية تجمع الناس وتنظمهم لادارة امور مجتمعهم، ولكننا اقل الناس علماً واكثر الناس حرماناً واكثر من لم يرى التعليم، نخلق اناس مجريين وننظمهم بشكل يكونوا فيه اكثر مهرة من المختصين والمدراء والبروفسوريين البرجوازيين". كلا، لانستطيع اليوم ان نقوم بمثل هذا الادعاء. فالحقيقة والواقع يبينان عكس ذلك. ينظم ال صفوفنا اكثر الناس ثقابة فكر وادراك ووعي واكثرهم تضحية. انهم اكثر اناس المجتمع تمكناً وشرفاً. لانهم، وبوعي، اختاروا سبيل النضال ضد الاستغلال والظلم. ولكن المتخصصون والاساتذة والاطباء والمهندسون المتعلمون في صفوفنا ليسوا قلة، ولكننا لانستفاد من قدرة افراد بهذا المستوى بقدر استفادة ادارة البرجوازية، لانستطيع ان ننظمهم كما ينبغي بحيث تفجر قدراتهم في خدمة الثورة.

الكثير من كلامنا يبقى على الورق. يتناثر في الهواء ولا نرگده على الارض. نتحدث عن انفسنا بوصفنا اكثر الجماهير اخلاصاً، ولكنه الامر غريب ان يتوجب علينا ان نصدر قراراً للتوجه للجماهير وحتى الحيلولة دون العنف ضدهم! نتحدث عن ان التوعية هي امرنا. ولكننا لم ننظم اي ماكنة توعي العمال بصورة دائمية ويومية ومتواصلة. نتحدث عن ان الشيوعيين هم منظمين، تتمثل شيوعيتهم اساساً في فئهم التنظيمي. ولكن اي كادر ربيناه بحيث تنظم بقدر محافظ مدينة صغيرة، اي بقدر شخص يدير مدينة من 200 الف نسمة في مجتمع برجوازي لخدمة مصالح طبقته.

ثمة فصل مابين قولنا وعملنا. انها هي الحالة التي صورها لينين بالضبط. علينا ان نقوم بما من شأنه ان تسير



## الفصل ما بين القول والعمل

الماكنة صوب الجهة التي ننشد، صوب جهة تقتضيها مبادئنا، اهدافنا وخطط عملنا. دعني اتحدث بصراحة، ان لم تمضي نحو هذه الجهة، لن ياتي النصر اثرها، نتقدم دون ان نتنصر. وعليه، تبقى قضية الطبقة العاملة على الارض. ليس ثمة انتصاراً نسبياً للطبقة العاملة. ينبغي ان يكون انتصار الطبقة العاملة مطلقاً لانهم يناضلون من اجل نيل الطبقة العاملة للسلطة، نقوم نحن الشيوعيون بتقديم المساعدة الف مرة، تطراً تحولات نسبية في المجتمع، تتبدل حكومات برجوازية، ياتي مصدق ويمضي، لايجلب رغم ذلك خيراً للطبقة العاملة. تبلغ الطبقة العاملة هدفها ليس عبر التغيير النسبي للاوضاع (والذي-اي التغيير النسبي- هو دوماً غير راسخ وثابت)، بل عبر الانتصار المطلق. ولكن علينا نحن الذين نناضل من اجل كل هذا النصر ان نبني مؤسستنا التي تدفع بمجمل مهامنا. ان اقتربنا ذرة من الهدف لاينفعنا، يشكل منا "اناس مناضلين لم يبلغوا هدفهم على اية حال". ان تجربة سلطة التحريفية، بعد انتزاع البلاشفة للسلطة، تثبت انه ينبغي "انجاز العمل". لهذا، ينبغي بناء مؤسسة لانجاز العمل واكماله.

ان الفصل ما بين القول والعمل يعرفه الكثير من رفاقنا، يروه في اعمالهم واعمال الاخرين، ويشكون منه ويذكروه يومياً. انه ليس شيئاً انشد اثباته هنا او ان اطرحه بوجه منجزاتنا. ولكني اؤكد على ان هذه المكاسب والمنجزات ليست كافية لوحدها. علينا ان نفكر بهذه المسألة جدياً من اجل النصر، من اجل ان لايتكرر الاخفاقات السابقة لحركة الطبقة العاملة.

## الفصل ما بين القول والعمل هو عمل الطبقات الاخرى

باي شيء تُملى هونتنا ما بين القول والعمل؟ او بعبارة اخرى، حين لا يُطَبَّق قولنا، أئمة عمل اخر يطبق؟ هل ان شكواي هو ان اعمالنا لا تنفذ؟ ليس الامر كذلك. في الحقيقة ان الهوة ما بين قولنا وفعلنا يميلها عمل الطبقات الاخرى. لم يقل لينين "ان هذه الماكنة لاتعمل جيداً، ليست ذات كفاءة وجودة عالية، تتحرك ببطيء، و تتوقف". انه يقول ان هذه الماكنة تسير صوب جهة الطبقات الاخرى، صوب قبضة الراسمال. رفاق، اننا نعيش في مجتمع طبقي. كل شيء مختوم بطابع طبقي. اذا لم ينفذ قولنا، هذا يعني ان قول اخر يمارس، قول طبقة اخرى. دعني اورد امثلة:

تنفق البرجوازية اموالاً طائلة، وتربي مئات والاف العملاء كي تعرض اماننا وتنظيماتنا واستمرارية عملنا للخطر. يرسلون العشرات كي يتعقبوا اعضاء منظمنا، ينفقون الاموال على التسليحات النظامية ويقتل منها كي يقمعوننا، يسعون للحصول على المعلومات من داخل منظمنا. ان هذا هدف البرجوازية وسياستها. ان هذا غرض البرجوازية. بيد ان ماكنتنا التنظيمية تمضي بعض الاحيان صوب تلك الجهة. نتحدث عن وجوب صيانة امان واسرار التنظيم بشكل قاطع. بيد ان ذلك التنظيم الذي لا يستفيد من استخدام الرموز التمويهية بصورة صحيحة، وذلك الرفيق الذي لا يحبط مساعي مراقبته وتعقبه في الشارع، وتلك اللجنة التي لاتعطي التعليمات والتربية الامنية في وقته، وذلك العضو الذي يهمل في صيانة الاسرار والادبيات الداخلية والذي يفشي المعلومات التنظيمية والاسم الحقيقي للرفاق السريين بسهولة في حديث محلي، يسهلوا عملياً وبصورة غير واعية عمل البرجوازية لها. لاتجعل البرجوازية تبلغ هدفها بصورة مجانية على الاقل. ان التنظيم والرفيق المهمل يعملان بشكل تتحرك فيه الماكنة عملياً صوب هدف البرجوازية وسياستها ومقصدها. بدل الحفاظ على الاسرار التنظيمية، والتي هي سياسة البروليتاريا، يحل محلها افشاء الاسرار التي هي سياسة البرجوازية.

تسعى البرجوازية من الصباح للمساء وبالف تكلفة وتكلفة ان لاتصل الادبيات الى ايدي الكادحين. تسلب منا امكانية الطبع العلني كي تصل ادبياتنا بنوعية رديئة وبصورة متاخرة الى ايدي العمال. انها تنشد تقليص نطاق ووتيرة توزيع ادبياتنا الى حد كبير. انها سياسة البرجوازية. بيد ان ذلك التنظيم وذلك الرفيق الذي يترك ادبياتنا في زاوية من المقر، ويهمل في طبعها، وتوزيعها، في توضيح مقالاتها للعمال، وفي توسيع نطاق توزيعها وغير ذلك، يسهل بصورة مجانية وبشكل لاواعي (واللاوعي هو خادم دائم للبرجوازية) عمل البرجوازية. ان عدم توزيع الجرائد، والاهمال وعدم الدقة في صيانة الوضع الامني والاسرار والمعلومات

التنظيمية وغيرها هي امثلة فنية تبين بوضوح قصدي ورؤيتي. بيد ان لحالات سياسية اهمية ابرز كثيراً:

تعتقنا البرجوازية وتعدنا كي توجه ضربة لعملائنا المنظم، تحرفنا من النشاط المنظم ومن النضال جنب الى جنب مع رفاق خندقنا. حسناً، ان التنظيم الذي لايمحص ويقيم بدقة قدرة الافراد ويحرمهم من التنظيم، وان تنظيم ينهز الافراد فيه ويحيلوا امر اليوم لغد، تنظيم لايدلل نقاط ضعف رفاقه التنظيمي كي يتمتعوا بتنظيم اكثر تأثيراً، فانه يقوم بالعمل ذاته بالضبط، (تقديم خدمة مجانية للبرجوازية-م). ان الهدف والنية مختلفتين، ولكن النتيجة العملية هي تنفيذ سياسة البرجوازية. اذ للبرجوازية شرطة ودين وعشرات المؤسسات الاخرى لبت الفرقة بين العمال. تنفق الاموال على ذلك، تنفق من ارباح راسمالها. ولكننا نهمل تنظيم جماهير طبقتنا، ليس هذا وحسب، بل نهمل "بضمير وبال مرتاح" تنظيم ناشطين رهنوا يومهم كله لهذا العمل، نحيله لذاك الشهر والشهر الذي بعده! تحرف البرجوازية ضوابط العمل الشيوعي، وتحول باشكال مختلفة دون ترسيخ اسلوب الدعاية الشيوعية، التحريض والتنظيم الشيوعي، ممارسة السلطة الشيوعية، العلاقات التنظيمية الشيوعية، القيادة الشيوعية وتحرير الطبقة العاملة وتحريكها. ان اي امر يقفز على اتخاذ هذه الاساليب، على التعهد بمبدأ اعلن عن صحته، يسهل عملياً عمل البرجوازية لها.

ان الامثلة التي ذكرتها ليست شاملة قط. ولكنها تكفي لفهم ان هذه المسألة ليست مزحة. ينبغي ان يجتث الفصل مابين القول والعمل، ينبغي تنفيذ قولنا الطبقي في كل ميدان. يجب النضال والتصدي لكل عائق من شاته ان يحل عمل الطبقات الاخرى محل عملنا. ان هذا النضال هو مهم وحياتي بقدر النضال ضد العدو المباشر وفي خط المواجهة معنا. يستلزم هذا النضال حزماً وتضحية اكبر حتى. لاننا في هذا الميدان، ناضل من اجل كسر قيود غير مرئية اسرتنا وفرضت علينا التراجع والمراوحة في المكان.

### اية عوامل فرضت علينا الممارسة المتخلفة وغير الشيوعية؟

ان العامل الاول هو قوة العادة. لم نتحرر من اسر قوة العادة. نتحدث عن ارساء عالم جديد، ولكننا ورثنا، في العمل التنظيمي، تلك الاساليب التي "تتناغم مع العقل" براينا، اساليب "تنسجم مع" العمل اليومي اساليب ورثناها على شكل عادات ودون نقد عن المجتمع البرجوازي. اننا في التنظيم وفي الاساليب العملية لنشاطنا، من صياغة القرارات الى هيكلة القوى التنظيمية وفي الاخلاقيات الفردية والتنظيمية، نفتقي اثر العادات والاخلاقيات القائمة في المجتمع. في العمل، نستند الى تقاليد لا تتبدى فيها علامة مجتمع جديد ومقبل وعنصر بروتيتاري واعى. تقاليد تنتمي الى تقاليد طبقات زائلة وبينت وكشفت منذ امد بعيد عن عدم حقانيتها. اننا "نقوم" باعمالنا استناداً الى هذه التقاليد. ان قوة العادات المتخلفة التي تبين عن نفسها مرات يومياً في نشاطنا جميعنا تحجج من افق رؤيتنا وقدرتنا. تصبح عاملاً مانعاً امام تطبيق برنامجنا وسياساتنا. اننا نشبه، في ميدان العمل التنظيمي، في الكثير من الواجه، منظمات برجوازية صغيرة متخلفة مثل المجاهدين وغيرهم. اذ نادراً ما نجد في البحث عن طرق واساليب جديدة، الاستفادة والتوظيف النشط والخلق للامكانات، فهم الاشكال التنظيمية الثورية في الميادين المتنوعة من العمل الفني الى عمل الاتصالات والارتباط والسياسي وغيره. ان نفس الامور التي تبدو لبرجوازي امراً مستحيلاً، تبدوا وتظهر لنا امراً مستحيلاً كذلك. قليل مانبين عن انفسنا شجاعة القيام بخطوات اساسية، جذرية و"كبيرة". نفتقي اثر التقاليد الشائعة. في الوقت الذي ينبغي تنفيذ برنامجنا الثوري باساليب ثورية وطلاعية. ان الاساليب التي تتناغم مع منطقنا ورؤيتنا الثورية والطلاعية هي اكثر الاساليب العملية لتحقيق اهدافنا.

العامل الثاني هو عامل سياسي. ينبغي معرفته بصورة جيدة. ان هذا العامل هو وجود نزعة ثورية غير بروتيتارية في المجتمع ونفوذها الدائم في صفوفنا. لاتجد الحركة الشيوعية في اي مكان من العالم حركة عمالية صافية ونقية وخالصة وبروليتارية من قمة راسها الى اخمص قدميها. اذ تتشكل الحركة الطبقيّة دوماً في قلب مجتمع، وان اي حركة بروتيتارية في

## الفصل ما بين القول والعمل

المجتمع تجر معها طبقات اخرى كذلك للميدان. طبقات اخرى تجلب معها "ثوريت"ها، عاداتها، تياراتها وميولها وتقوم بالدعاية لها وتقديسها. هذه الثورية غير البروليتارية، بجوار وبموازاة الثورية البروليتارية، وتصب بصورة مستمرة مقولاتها ومفاهيمها وقيمها داخل صفوف الطبقة العاملة. تخط القيم البروليتارية مع القيم البرجوازية الصغيرة ويتم التلاعب بها والتأثير عليها. يتم تميع الحدود الفاصلة ما بين فداء النفس في سبيل الثورة البروليتارية بالنزعة البرجوازية الصغيرة الداعية للاستشهاد. توضع الديمقراطية الحازمة والراسخة للطبقة العاملة والالفاظ الديمقراطية للطبقات المدافعة عن الملكية الخاصة والاستغلال البرجوازي بموازاة بعض، والاشتباه ما بينهما في بعض الاحيان. وفي الحقيقة، يتسع في صفوفنا ستار الافكار والتقاليد الناجمة عن "ثورية" الاقسام غير البروليتارية التي لها مصلحة في صيانة اساس الملكية الخاصة. ان الحملة الشاملة والبنوية على هذه التقاليد والمفاهيم والقيم غير البروليتارية هو امر ليس سهل دوماً لأنها تتمتع باحترام جماهير عريضة على اية حال. في اوضاع مثل هذه، تتمثل مهمة الحزب البروليتاري برسم الخطوط الفاصلة بوضوح مع هذه الثورية غير البروليتارية، مع هذه الافكار والمفاهيم والقيم الثورية ظاهرياً. ان الحزب الشيوعي في حركة ديمقراطية لهو عرضة دوماً لخطر التلوث بمثل هذه الافكار. اذا كانت الثورة مقتصرة فقط على صف العمال الاشتراكيين، اذا تصدح كل الجماهير الكادحة في الشوارع والازقة بـ"الموت للملكية الخاصة"، عندها لن يكون صيانة الاستقلالية الطبقة فناً. بيد ان مثل هذه الاوضاع في مجتمع حقيقي وواقعي هي محض خيال. تجر الثورة الجماهير الواسعة للميدان، وتفتح الباب امام اهواء البرجوازية الصغيرة. ان مجمل اهمية تعاليم لينين، مجمل الجوهر الثوري-الطبقي للحزب اللينيني هو التزامه بصيانة الاستقلالية السياسية والطبقة للبروليتاريا. على الحزب ان يدفع في بحار من الاوهام والنوازع غير البروليتارية اهدافه المستقلة بصورة مستقلة، وفي هذا السياق، يصل بالحركات الديمقراطية والعامه لشاطيء النصر كذلك. على الحزب ان يدفع بهذه الحركات للامام دون ان تختلط عليه اهداف هذه الحركة على انها اهدافه النهائية، دون ان يمحي نفسه وان يتكبل في الاطار المحدود لهذه الحركات. ان تجربة مرحلة اليسار في ايران في الاعوام الاولى للثورة تبين عن ادارة الظهر لهذا الدرس الاساسي لماركس ولينين. هب الجميع من اجل اسقاط الشاه. ردد "الشيوعيين" كذلك الشعارات العامة نفسها دون ان ياتوا بكلمة حول الغاء الملكية الخاصة. كانت المنظمات الشعبية تفتقد لفهم واضح للاهداف النهائية للحركة الطبقة للعمال. بدلاً من ذلك، سعت، في كل مرحلة من الحركة العملية العامة، ان تكون اكثر عناصر المرحلة ذاتها دأباً، واشتبهوا دوماً بالاهداف الطبقة للبروليتاريا وهذه الاهداف المرحلية واثرت الاخيرة على الاولى.

ولكن ما ربط هذا الموضوع ببحث اليوم؟ ولكن واقع الحال هو اننا احلنا على الرف، الى حدود كبيرة، الاهداف الاشتراكية، الخلاقة، الجميلة والثورية. وعند العمل، حيث نشرع بالتنظيم اليومي للعمل الثوري، نبقى في نطاق الثورة والحركة القائمة ونتمثل لها. نقول نحن شيوعيين، ننشد النضال بصورة شيوعية ونموت شيوعيين، ولكن حين ننظر جيداً للامر، نرى اننا على امتداد 5 اعوام، ننفق 90% من طاقاتنا على امور الحركة العامة والديمقراطية ومعضلاتها. نختم مؤتمراتنا واجتماعاتنا الرسمية التنظيمية بالنشيد الاممي والقسم باغلظ الايمان بالشيوعية، ولكن ما ان تطأ اقدامنا ميدان العمل، يغدو مجمل انهماكنا توازن القوى في الحركة الديمقراطية، هذا الامر المحدود والموضعي او ذاك، اسلوب تعامل هذه المنظمة او تلك معنا، المسائل التحضيرية الفلانية وغيرها. عملياً، لسنا من ندفع الحركة، بل انها الحركة من تأخذنا معها وتجرتنا اليها. يخطط شيوعي لهذه الحركة، فيما تهديه حيث اهدافها هي. ننشد ان تنتفض الطبقة العاملة، ان تنتفض في عصرنا وحياتنا. ولهذا، ينبغي ان يكون عملنا الدائم، عملنا الهادف والمبرمج حيث هذه الجهة، ولكن ما يتلعب كل طاقة رفاقنا عملياً هو ترقيع الامور الجارية لحركة معينة. لا يهم ان كانت هذه الحركة هي الحركة القومية الديمقراطية للجماهير الكرد ام الحركة الديمقراطية لعمامة ايران ضد الديكتاتورية والامبريالية. ينبغي في عملنا ان لانخفف من وتيرة اهدافنا الثورية، وننظم طاقتنا ونبدلها بشكل في قيادة الحركة الديمقراطية والثورية ذاتها، ونتعقب كذلك اهدافنا الثورية والطبقة. اذا اخذتم بنظر الاعتبار الزمن، الطاقة والامكانيات التنظيمية التي بذلناها لحد الان، ستعرفوا بسهولة ان ترقيع الامور القائمة ومجابهة المعضلات اليومية للحركة العامة القائمة قد شكلت 90% من انهماكنا. في الوقت الذي يستند الماركسيون بالضبط الى عملهم

## منصور حكمت

المستقل داخل طبقتهم للدفع بالحركات ذاتها، لان هذا العمل هو ضمانة كل تقدم على البرجوازية. لهذا بقي كلامنا الاشتراكي على الورق الى حد كبير جراء ان ممارستنا مقتصرة على الاغلب ومحدودة بالميادين المختلفة للحركة في مرحلتها الراهنة. من الواضح، حين نُختزل في العمل الى "ديمقراطيين مثابرين"، يبقى هدفنا الشيوعي والبُلشفي على الورق ايضاً.

العامل الثالث، الروحية الثورية التي هي ليست على عجل. انها روحية تتمتع باسس مادية محددة.

### ملاحظة المترجم:

النص الفارسي تم طبعه استناداً الى كتابة بخط منصور حكمت في الارشيف الشخصي له. قدم منصور حكمت، في اواخر خريف او اوائل شتاء 1984، في مقر الحزب الشيوعي الايراني في منطقة "شين كاوة" في كردستان العراق، بحثاً باسم "الفصل ما بين القول والعمل" في ندوة لاعضاء وناشطي الحزب، اثار الموضوع نقاشات جديّة وحامية ومؤثرة. اشار منصور حكمت في ندوته "بحث الشيوعية العمالية" في جمعية ماركس عام 2000 الى تلك الندوة والبحث. العنوان لم يكن موجود في النص المدون. بل اضيف اليه في الطبع استناداً الى ما اشار اليه منصور حكمت في ندوته عام 2000.



سمير عادل

سكرتير اللجنة المركزية

## الحركات الاحتجاجية بين الدولة المدنية والدولة العلمانية غير القومية

لقد ساد مفهوم الدولة المدنية او شعار الدولة المدنية وطغى بشكل كبير على الاحتجاجات المستمرة في مدن العراق وخاصة في ساحة التحرير، وامسى شعار الدولة المدنية هو الشعار السائد والمطلب الرئيسي لطيف واسع من اليسار والذين يعرفون أنفسهم بالليبراليين والديمقراطيين. وامتزج الجميع تحت الشعار الانف الذكر والذي حظى بتأييد التيار الصدري دون اعتراض. وبالقدر الذي ادى عدم تحفظ التيار الصدري على ذلك الطيف الذي يعرف نفسه بالتيار المدني بالغبطة والفرح، بنفس القدر اصبح شعار الدولة المدنية أكثر الشعارات التي وضعت عليها علامة استفهام كبيرة، وواقعت الكثير من الطيف اليساري وحتى من الذين يعتبرون انفسهم ماركسيين وشيوعيين في شرك التيارات البرجوازية والتي استبدلت الدولة العلمانية بالدولة المدنية، كما استبدلت مقولة الحرية بالديمقراطية.

### "الدولة" في مهب الصراع بين التيارات السياسية البرجوازية:

ان مفهوم الدولة المدنية لا يساوي الدولة العلمانية، انما الدولة العلمانية تساوي بالضرورة الدولة المدنية. والدولة المدنية بالمعنى المطلق لا تعني أكثر من انها دولة غير دينية لا يحكمها رجال الدين ولا القوانين الدينية. والدولة من وجهة نظر الماركسية هي جهاز قمعي لتنظيم المجتمع وفق الاسس الاقتصادية والسياسية والاجتماعية للطبقة المهيمنة على ثروات المجتمع. وكما يقول ماركس (ان جميع الانقلابات قد اتقنت هذه الالة بدلا من ان تحطمها... فالأحزاب التي خلفت بعضها بعضا في النضالات من اجل السيادة كانت ترى في الاستيلاء على صرح الدولة الهائل القيمة الرئيسية في حال انتصارها"- الثامن عشر من برومير-ماركس".

ان الاحتلال كما أوضحنا في مناسبات عديدة دمر الدولة، وأفقدنا هويتها، وسماتها الجامعة "الوطنية- الجغرافية"، وحل محل المليشيات المختلفة والهويات القومية والدينية والطائفية المختلفة الفراغ الذي تركه تحطيم الدولة في العراق. وقد ارتطمت كل المساعي الحثيثة لإدارة الاحتلال بجدار الفشل منذ تشكيل مجلس الحكم الانتقالي وحتى الانتهاء الرسمي للاحتلال في نهاية عام ٢٠١١ في بناء الدولة في العراق، وبالرغم من تقديم كل أشكال الدعم لحكومة المالكي في ولايتين متتاليتين وعلى مدى ثمان سنوات. واعلن فشل مشروع بناء الدولة بشكل رسمي في اعلان دولة الخلافة الاسلامية في ١٠ حزيران من عام ٢٠١٤ المعروف بداعش في ثلث مساحة العراق، بعد هزيمة جيش التحالف الشيعي الجرار بقيادة المالكي في الموصل.

ان الاحتلال فشل في خلق الانسجام في صفوف البرجوازية المحلية في العراق المعبرة عنها بتيارات قومية وطائفية ودينية. كما فشلت نفس البرجوازية المحلية في ايجاد اي نوع من الانسجام السياسي في صفوفها. وكانت كل محاولات حزب الدعوة بقيادة المالكي في تصفية المخالفين والمعارضين السياسيين املا بخلق الانسجام السياسي قد فشلت هي الاخرى في خلق ذلك النوع من الانسجام السياسي.

ان احدى المشاكل التي تعانيتها البرجوازية العراقية بجميع اطيافها وتياراتها السياسية هي تشرذمها السياسي. فهي منسجمة في البرامج الاقتصادية، وهي متفقة جميعها مع سياسات صندوق النقد الدولي والبنك الدولي واقتصاد السوق والليبرالية الجديدة وسياسات الخصخصة، وهي متفقة ايضا على رزمة من القوانين التي تضبط اداء السياسات الاقتصادية مثل قانون الحريات النقابية وحرية التعبير وقانون العمل وسياسة التقشف والخصخصة، التي تضمن استثمار العامل وتسيطر على احتجاجاته، بل ان الصراع الجوهرى يكمن حول النهج السياسي في بناء الدولة وهويتها السياسية وشكل ادارتها لربط العراق بسوق الانتاج الرأسمالية العالمي. وعلى مدى اكثر من عقد ونصف من الزمن تقريبا، لم يترك الصراع السياسي في صفوف التيارات البرجوازية فرصة لطمأنة الرأسمال المحلي للحيلولة دون الهروب، والرأسمال العالمي من المجيء الى السوق العراقية والقيام بالاستثمارات لتعلن ان العراق سوق امنة وجزء لا يتجزأ من السوق الاقتصادي الرأسمالي العالمي.

ويعتبر ضياع الهوية القطرية او الهوية "الوطنية" للدولة بعد تدميرها من قبل الاحتلال والتي تمكنت البرجوازية من خلالها تنظيم نفسها تحت راية تلك الهوية في فرض تنظيم السوق الموحدة وخلق مجتمع مستقر، وبغض النظر عن الالية التي نظمت ذلك الاستقرار وهو الاستبداد السياسي خلال ما يقارب من ثلاثة عقود ونصف من حكم البعث، معضلة اخرى في اتمام بناء الدولة. ان تاريخ الدولة البرجوازية الحديثة في العراق منذ عام ١٩٢١ وحتى قدوم البعث وانفراده في السلطة بعد عام ١٩٧٩ هو تاريخ الاضطرابات وعدم الاستقرار السياسي. وشهدت الفترة الاولى بين ١٩٢١-١٩٥٨ سقوط ما يقارب ٥٦ وزارة وشهدت الفترة الثانية ١٩٥٨-١٩٦٨ ثلاثة انقلابات عسكرية. واستطاع البعث وبضم الحزب الشيوعي العراقي الى صفه بقيادة البرجوازية العراقية في المرحلة الاولى عبر ما سمي بالجبهة الوطنية التقدمية والانفراد بالسلطة في المرحلة الثانية عبر الاستبداد بالقضاء على التشرذم السياسي في صفوف البرجوازية، وبتنظيم سوق محلية وربط السوق العراقية بالسوق الانتاج الرأسمالية العالمية.

وبعد عام ٢٠٠٣ اي بعد احتلال العراق، لم يستطع كما وضحنا اي جناح من اجنحة البرجوازية العراقية بطرح افق سياسي يضم بقية الاجنحة في صفوفها. وكان للبعد الاقليمي له تأثير على جميع الاجنحة. فالمرحلة التي شهدتها العراق هي جزء من مرحلة سياسية انتقالية على صعيد المنطقة والعالم. وهذه المرحلة هي اعادة تقاسم النفوذ بين الاقطاب الاقليمية والدولية المتنافسة فيما بينها. وما زالت هذه المرحلة غير محسومة الى الان، حيث الفت وتلقي بضلالتها على كامل الوضع السياسي في العراق. ولذلك فان اتمام عملية بناء الدولة وتعريف هويتها السياسية هو جزء من هذا الصراع. فجنح الاسلام السياسي الشيعي الموالي لإيران "حزب الدعوة -جناح المالكي، حزب الفضيلة، بدر، العصائب.." يسعى تأسيس نموذج الجمهورية الاسلامية،

## الحركات الاحتجاجية بين الدولة المدنية والدولة العلمانية ..

والجناح الاخر الاسلامي وهو التيار الصدري يشترك مع الحزب الشيوعي العراقي ولفيف من الديمقراطيين والليبراليين وبتأييد - بشكل غير مباشر - من جناح حزب الدعوة "العبادي"؛ في بناء دولة قطرية او دولة وطنية موحدة على الجغرافية القديمة قبل عام ٢٠٠٣، في حين يمثل المجلس الاسلامي الاعلى مهمة التيار الانتهازي بامتياز فهو يميل مع ميلان كفة الميزان. اما الجناح القومي العربي فبعد فشله في اعادت عقارب التاريخ الى الوراء وتعريف العراق على اساس الهوية العروبية، يحاول اليوم ان يستمد قوته لا من أفاقه السياسي المهدوم وبوصلته السياسية المفقودة، بل من اجندة القوى الاقليمية المنافسة للجمهورية الاسلامية في ايران مثل السعودية -قطر-تركيا، حيث بات اقصى طموح له هو تأسيس اقليم سني ضمن عراق متعدد الولايات او الاقاليم. الا ان الجامع بين كل هذه الاجنحة السياسية للبرجوازية هو ادراكها جميعا بأن الدولة الوطنية قد ولت الى غير رجعة.

### سر الشراكة بين التيار المدني والتيار الصدري:

ان العماد الاساسي والمنظر الرئيسي للتيار المدني هو الحزب الشيوعي العراقي، وهو مهندس التحالف مع التيار الصدري. صحيح انه لا توجد هناك ورقة رسمية توثق هذه الشراكة، ولكن قادة الحزب الشيوعي العراقي يقفون في الصفوف الامامية لهذه الشراكة ويقفون منتصبين القامة خلف زعيم التيار الصدري.

ان الطابع الطبقي لهذا التحالف هو مزيج من تطلعات جناح من البرجوازية الذي لا زال يعرف نفسه بـ "الوطنية"، مع شرائح كبيرة لها تطلعات واماني البرجوازية الصغيرة. اي بمعنى اخرى هو تحالف بين البرجوازية الصغيرة - التي تهمش موقعها الاقتصادي بفعل فتح ابواب الاسواق العراقية على مصراعيها امام استيراد السلع الرخيصة والتي اوقفت عجلة الالف من المصانع والمعامل الصغيرة، وتهمش معها الموقع الاجتماعي لتلك الطبقة، وبانت ترعبها تدحرجها الى موقع الطبقة العاملة - وبين تلك البرجوازية التي تحلم من جديد بإعادة المجد الى الصناعة الوطنية. فاذا كان الحزب الشيوعي العراقي عبر تاريخه الطويل مثل التيار "الوطني" في صفوف البرجوازية، فأن التيار الصدري هو الاخر يمثل نفس الخط ولكن بشكله الاجتماعي والثقافي المتخلف، اما جماهير التيارين وقاعدتهما الاجتماعية فهي تتكون من الشرائح البرجوازية الصغيرة والمهمشين والمهدومين وجيش العاطلين عن العمل. وفي نهاية المطاف ان هذين التيارين بالذات يمثلان افاق التوجه البرجوازي الوطني والبرجوازي الصغير، ما زالوا لم يستقيفا على خبر عفى عليه الزمن بان البرجوازية كفت ان تكون وطنية منذ امد بعيد في عصر الامبريالية الجديدة التي اخترع اسم حركي لها وهو العولمة الرأسمالية. انهما ما زالوا يعتقدان ان الرئيس الذي يحكم العراق هو احمد حسن البكر.

لقد حاولت جميع تلك الاجنحة في المرحلة الاولى للاحتلال التي تحدثنا عنها ان تعزف على وتر الوطن والوطنية، وجميع تلك الاجنحة بالرغم من سخرية الحدث، اجتمعت تحت مظلة نشيد "موطني" في الوقت الذي كان يشهد فيه التنافس بينها على احراز مراكز لها في مجلس الحكم الطائفي والقومي الذي شكّله وقاده رئيس الادارة المدنية للاحتلال بول بريمر، ولكنها سرعان ما تفرقت بعد ادارتها فشل الايديولوجية القومية عبر تدمير الدولة الوطنية. وليس هذا فحسب بل ان الجماهير العمالية والكادحة والمحرومة التي تشكل الاغلبية المطلقة من المجتمع العراقي اصبحت على دراية ووعي وأدراك بأن الوطن للأغنياء بينما الوطنية هي مجرد ايدولوجية خادعة لتحويلهم الى وقود في حروب تلك الاجنحة الطائفية والقومية، بينما انتفخت وتنفخ جيوب قادتها وشخصياتها وميليشياتها بالأموال المسروقة والمنهوبة بشكل اكبر من انتفاخ كروشهم. وحتى العلم العراقي المنتهية صلاحيته منذ عام ٢٠١٠ لم يعدو اكثر من رمز لتعريف العراق بالمحافل الدولية، في حين على الصعيد المحلي، فالرايات الطائفية والقومية اصبحت اكثر علواً وقدسية من العلم المذكور. وكشفت الحرب مع داعش عن تلك الحقيقة المرة بالنسبة للذين ما زالوا يستمتتون بالدفاع من اجل الصناعات الوطنية بالرغم من عدم قدرتها بالتنافس مع السلع المستوردة.

ان استعارة مفهوم "الدولة المدنية" وتحويله الى شعار مركزي للاحتجاجات، وتأسيس تجمعات مختلفة باسم

المدنية بدءاً من التحالف المدني اسم القائمة الانتخابية عام ٢٠١٤ وانتهاء بالتيار المدني ثم تسويقه اعلامياً ودعائياً سياسياً هو تعبير عن فشل شعار الدولة الوطنية التي باتت لا تستهوي احد. ان كل من الحزب الشيوعي العراقي وحزب الامة الذي يتزعمه مثال الالوسي والتحالف المدني والتيار الديمقراطي وطيف من الليبراليين يعرفون انفسهم بأنهم جزء من التيار المدني ويلتفون بشكل و اخر حول شعار الدولة المدنية بالرغم من الخلافات الشخصية والسياسية فيما بينهم.

ان الدولة المدنية هي بديل سياسي لأحدى الاجنحة السياسية التي كانت جزءاً اصيلاً من العملية السياسية منذ تأسيسها بعد الاحتلال (الحزب الشيوعي العراقي) مثلاً. ووفق مفهوم هذا الجناح فإنه يعتقد ان الدولة المدنية هي الخلاص السياسي من الاوضاع السياسية في العراق، وهو البديل الذي يمكن ان يخلق الاستقرار السياسي وبالتالي يخلق الامان لجذب الاستثمارات، وبناء السوق المحلية العراقية ويعمل على توفير فرص العمل ويقضي على البطالة ويوفر الخدمات ويدفع بالعراق الى مصاف المحافل الدولية، في الوقت الذي فشلت فيه جميع الاجنحة الاخرى من التيارات السياسية المتمثلة بالإسلام السياسي، والتي عرفت باللصوصية والفساد والتطهير الطائفي والخطف والقتل. ان بديل الدولة المدنية - من وجهة نظر دعائه - يعتبر بديلاً في مواجهة البدائل المطروحة لتيارات الاسلام السياسي وهي الدولة الطائفية سواء كانت في الحكم او في المعارضة.

### الدولة المدنية والهوية السياسية:

ان الجناح المشار اليه اعلاه لا يشغل باله مفهوم "الهوية" للدولة العراقية، اي ان تكون لها هوية محددة مثل هوية الدولة المصرية على سبيل المثال. فهو غير مهتم ان يكون الاسلام جزء مهم في التشريع، او ان تكون هوية الدولة عروبية مثلما كان قبل الاحتلال، او تكون ذات هوية هلامية. فالمهم ان لا تدخل الهوية العلمانية للدولة اجنحة ذلك الجناح، كما انه لا يعمل من اجل تحقيقها لأنها ستؤلب القوى السياسية الاخرى التي من الممكن ان تجتمع تحت راية او عنوان الدولة المدنية وليس الدولة العلمانية. وهذا يفسر قبول التيار الصدري بالتحالف مع التيار المدني، لأنه أدرك هو الآخر نفاذ مفعول الدولة الوطنية من جهة ومن جهة اخرى يطرح نفسه بديل مغاير يستهوي الشارع العراقي الذي رفع شعار "باسم الدين باكونا الحرامية" في مواجهة اخوته الاعداء في تحالف الاسلام السياسي الشيعي.

ان الدولة المدنية هي شكل اخر للدولة البرجوازية، بيد ان المشكلة تكمن في الاوهام حول محتوى الدولة المدنية في صفوف طيف عريض وواسع من الجماهير الغاضبة من الممارسات السياسية والاجتماعية للإسلام السياسي الحاكم وطريقته لإدارة المؤسسات الحكومية التي اغرقت بالفساد والمحسوبية، التي تعتقد ان الدولة المدنية، هي اذا كانت نقيضة للدولة الدينية، فتعني بالضرورة، اتساع قائمة الحريات الشخصية والمدنية، وستضع نهاية للفساد وبالتالي سيعرف البشر في العراق على اساس الهوية الانسانية. صحيح ان الدولة المدنية هي افضل من الدولة الدينية بالنسبة للحريات الفردية، ولكن النماذج السيئة للدولة المدنية لا تعد ولا تحصى، سواء التي عاصرناها او التي نشاهدها اليوم، مثل دولة البعث القومية الاستبدادية التي مارست الشوفينية القومية بامتياز ضد الناطقين باللغة الكردية، او التي انقلبت الى دولة تمزج المدنية بالدين، كانت دولة مدنية، والدولة السورية، ودولة مصر عبد الناصر التي ازدهر فيها الدين بشكل واسع واصبحت التربية الدينية اجبارية في المدارس بعد ان كانت اختيارية وبني عشرة الاف مسجد خلال فترة حكم عبد الناصر - انظر مقال "العلمانية بين الطبقات وتياراتها السياسية-الحوار المثمن-٢٣ ايلول ٢٠١٥- سميير عادل- ودولة السيسي التي هي امتداد لدولة ناصر ومبارك كما كان من قبل وما زالت هي دولة تعامل الاقباط مواطنين من الدرجة الثانية، ودولة تركيا الفاشية هي دولة مدنية، ودول مدنية اخرى وجدت في امريكا اللاتينية واسيا كانت دول مدنية لكنها استبدادية مثل تشيلي والارجنتين والبرازيل وكولمبيا ومكسيك واندونيسيا .. الخ.

ونحن نرى أن الدولة المدنية في العراق هي طرح وبديل لجناح من البرجوازية، اذ يعتقد هذا الجناح ان تأسيس الدولة المدنية وبغض النظر عن هويتها، سوف ينقل العراق الى بر الامان ويلحقه بالركب العالمي



## الحركات الاحتجاجية بين الدولة المدنية والدولة العلمانية ..

على الصعيد الاقتصادي والسياسي والثقافي. وهذا الجناح يمثله بشكل رسمي الحزب الشيوعي العراقي والتيار الصدري. ان المسألة بالنسبة للتيار الصدري هي مسألة افقه السياسي "الوطني" الذي يلتقي مع افق الحزب الشيوعي العراقي، ولا تتعلق بتاتا بتغيير مواقف مقتدى الصدر ولا باعتداله ولا بتكفيره عن جرائم جيش المهدي الذي حله واحل مكانه مليشيا سرايا السلام، كما يحلو للتبريرين في تفسير التقارب المذكور او التحالف. اما بالنسبة للحزب الشيوعي العراقي، فافقه السياسي هو الاخر وطني، فليس مسألة التحالف مع التيار الصدري شيء جديد في اجندته وبرنامجه، فهو يلتقي دائما مع التيارات البرجوازية "الوطنية" فتحالفه مع حزب البعث في السبعينات ثم تحالفه مع قائمة اباد علاوي العروبية في القائمة العراقية في انتخابات ٢٠٠٨ والان تحالفه مع التيار الصدري.

### الدولة المدنية والطبقة العاملة:

بالنسبة للطبقة العاملة، ان الدولة وبغض النظر عن هويتها سواء كانت دينية او مدنية، هي جهاز قمعي، هي اداة لتنظيم العلاقة بينها وبين الطبقة التي تستغلها وهي البرجوازية. ان الدولة التي تصورها البرجوازية ابدأ هي محايدة وفوق المجتمع، او كما يحاول تصويرها التيار المدني في حال الدولة المدنية بأنها المنقذ والمخلص للمجتمع والجمهير، هي في الحقيقة دولة لجناح من الطبقة البرجوازية لإدارة الصراع الطبقي الدائر في المجتمع مرة بشكل مستتر واخرى بشكل عنف كما يعلمنا ماركس، بحيث يضمن تأمين مصالح الرأسمال.

صحيح في حال مريدي الدولة المدنية في العراق، هناك طيف واسع من طيبي النية ومخلصين من التواقين الى الدفاع عن الحرية والانسان والمساواة، ولكن النيات والاخلاص في السياسية لا تعني شيئا ولا تنقل بيدق الشطرنج الى اي مكان. فالأفق السياسي هو الفيصل في تغيير المعادلات السياسية. ان افق احتجاجات (الدولة المدنية) هو افق لتحالف مشوش بين الجناح "الوطني-القمي" في صفوف البرجوازية وبين البرجوازية الصغيرة، كما شرحناه قبل قليل، وهو يحاول عبثا طرح بديل مقابل بدائل التيارات البرجوازية الاخرى التي تتصارع بأيديها وبأسنانها من اجل حسم السلطة السياسية وبناء الدولة وتثبيت هويتها.

ان افق الدولة المدنية لا يؤدي الى شيء او بعبارة اخرى يؤدي الى لا شيء، ومن الممكن اصطفا حتى القوى الاسلامية مثل دولة القانون والمجلس الاسلامي الاعلى وراء مطلب الدولة المدنية، اذا رأت ضغطا واسعا من الشارع، واذا وجدت ان بناء الدولة المدنية افضل بديل في خلق الاستقرار السياسي وبالتالي تضمين مصالح الرأسمال واستثمار العامل في العراق. وسيكون نموذج الدولة المدنية التي يطالب بها التيار المدني ويصطف خلفه التيار الصدري ليس أفضل حال من دولة البعث او دولة عبد الناصر او دولة القذافي على سبيل المثال لا الحصر. والدولة المدنية كما في حال الدول الانفة الذكر ستحتفظ بذخيرة الدين، وستستخدمها في حربها كلما اقتضت الضرورة في صراعها السياسي ضد الحركات المساوات الشبابة والنسوية والعمالية والمطلبية في المجتمع. ومن جانب اخر فان (الدولة المدنية) لن تجرد الاحزاب الدينية من الايديولوجية الدينية، وستبقى وزارة الاوقاف والشؤون الدينية فعالة وقائمة دون المساس بمصالحها وامكانياتها، وستعفى بناء المساجد والجوامع من الضرائب، وسيبقى الدين جزء من الدولة ومن التربية والتعليم، وسيعامل اصحاب المعتقدات المخالفة للإسلام بمواطنين من الدرجة الثانية، وستبقى قوانين الاحوال الشخصية هي قوانين ذكورية وتعامل المرأة بشكل دوني، وستضع الحريات الشخصية والانسانية في قالب الدين، وتحت عنوان ان لا تمس الحريات الشخصية التقاليد الدينية وبما يخالف تقاليد المجتمع الاسلامية.

### الدولة العلمانية غير القومية مطلب آني:

ان المعضلة الاصلية في المجتمع العراقي هي الاسلام السياسي. ان كل مآسي المجتمع العراقي خلال اثني عشر الى ثلاثة عشر عام من فقر وفساد وانعدام الخدمات والخطف والقتل والتطهير الطائفي بكل انواعه

وانعدام الامن والامان وبث الكراهية في المجتمع هو اساسه ومبعثه الاسلام السياسي الحاكم والمعارض دون استثناء. ان اي تحسن طفيف لا يشهده المجتمع العراقي دون فرض التراجع على قوى الاسلام السياسي.

نحن على دراية ان الدولة العلمانية هي ليست دولة اشتراكية، ولن تكن دولة غير برجوازية، او تكف عن ان تكون جهاز قمعي ضد الطبقة العاملة او ان تكن محايدة في الصراع الطبقي بين العامل الذي يناضل من اجل تحسين ظروف عمله وعالم أفضل وبين البرجوازي الذي يشدد ظروف العمل لانتزاع مزيد من فائض القيمة لزيادة ارباحه. لان العلمانية بالنهاية هي الهوية السياسية للدولة. بيد اننا نطرح العلمانية كبديل في مقابل الهويات الطائفية والدينية في المجتمع.

ان التيارات السياسية البرجوازية ليس لديها بدائل في بناء الدولة وهويتها غير البدائل الطائفية او في احسن احوالها الدولة المدنية التي تحدثنا عنها بالتفصيل والتي يكون محتواها وهويتها في علم الغيب.

ولكننا نرى ان الطبقة العاملة لديها مصلحة مباشرة في ان تكون هوية الدولة علمانية خلال مرحلتها النضالية الاينية. لقد اصبحت الطائفية والدين بشكل عام ليس عامل تفتيت وتشتيت وبث الكراهية في صفوف العمال وعموم المجتمع في العراق فحسب، بل عامل قتل وتطهير طائفي وديني. ان تسميم ادمغة الاحياء في العراق بالترهات الطائفية والدينية هي سياسة ممنهجة ومخطط لها من قبل قوى الاسلام السياسي في حربها القذرة والدينية من اجل الاستحواذ على اكثر ما يمكن من السلطة والامتيازات والاموال. انها سياسة لتكبير ذهنية العامل بالدرجة الاولى بمنظومة من الاكاذيب والاوهام اللاإنسانية لحرف نضاله ضد العدو الطبقي الواحد، فعلى سبيل المثال ان شركة بي بي البريطانية او شيل الهولندية او اكسيون موبائل الامريكية او بتروجانية الصينية او لوك اويل الروسية ليسوا انصار الطائفة الشيعية او الطائفة السنية، او الناطقين العربية او الكردية، ولا هم اصدقاء اصحاب الكتاب المقدس، الا انهم وعن طريق شركة نفط الجنوب ونفط الشمال، يمارسون ايشع انواع الاستغلال والسرقة والنهب.

ان العلمانية تعني تجريد اصحاب الاستثمارات الطائفية من اغراق العراق بالعطل الدينية لتصل ما يقار ١٥٢ يوم كما هو مطروح في مسودة مشروع قانون العطل الى البرلمان، والهدف هو تحويل المناسبات الدينية لنشر الترياق الطائفي ودق اسفين في صفوف الطبقة العاملة وجموع محرومي المجتمع، لتخليد نظام الحكم الاسلامي الطائفي وترسيخ جذوره. ان العلمانية تعني تربية الاطفال وتنشئتهم في المدارس الابتدائية واعدادهم في الثانويات والجامعات تنشئة انسانية وترسيخ قيم السلام والتعايش والتسامح والحب وان يكون العلم والمعرفة نبراس لهم. وان العلمانية تعني تجريد احزاب الاسلام السياسي من سلاحها القاتل وهو الدين الذي يستغل في تحميق المجتمع وتدمير بنيته الاجتماعية وتمزيق نسيجه الاجتماعي. ان العلمانية تعني انفاق الاموال على بناء المدارس والجامعات والمستشفيات والملاعب والمساح عبر حل وزارة الاوقاف والشؤون الدينية وفرض الضرائب على الاغنياء الذين يتهربون من الضرائب عبر بناء الجوامع والمساجد. ان العلمانية تعني شن حربا اعلامية ودعائية ضروس ضد الاعلام الطائفي والفكر الطائفي والديني والفضائيات التي تبث ليل نهار سمومها الطائفية والدينية عبر تمويل الدولة للإعلام. ان العلمانية تعني انهاء كل اشكال التمييز الديني والقانوني والاجتماعي والسياسي ضد المرأة في الدستور وقوانين الاحوال الشخصية ومراكز العمل والممارسة اليومية في البيت وحضانة الاطفال والعنف المنزلي. الخ. ان العلمانية تعني مساواة البشر في العراق وانهاء صفة الدين او كتابته في هوية الاحوال المدنية او اي وثيقة رسمية تصدرها الدولة. ان العلمانية تعني اطلاق الحريات الفردية، وحرية المعتقد، وحرية الدين والاحاد.

بيد ان الهوية العلمانية للدولة تكف ان تكون هوية تعامل البشر في العراق على اسس متساوية اذا لم تقترن بعلمانية غير "قومية". وقد مثلت "القومية" مطب اخر وقع فيه دعاة الدولة المدنية. وبمعنى اخر ان هوية الدولة وكي تضمن المساواة القانونية والاجتماعية بين البشر في العراق يجب ان تكون هوية الدولة علمانية

## الحركات الاحتجاجية بين الدولة المدنية والدولة العلمانية ..

وغير قومية. وبهذه الهوية تجرد القوميون من سلاحهم في الصاق صفة القومية بهوية الدولة وتعريف الانسان على اساس هويته القومية او اللغة التي ينطق بها. ويعني عدم السماح للشوفينية القومية ان تطل براسها من جديد وابعاد شبح كل اشكال خطر الصراع والحرب القومية والتطهير القومي في العراق.

ان المصالح العامة للطبقة العاملة في العراق تقتضي بالضرورة، ان تناضل في مجتمع طبيعي بحيث يكون الصراع الطبقي واضح ومكشوف. ان احدى المهام الانية للطبقة العاملة في العراق والشبوعيين هي فصل افاقها وصفوفها عن افاق التيارات البرجوازية وبدائلها السياسية عبر طرح بديلها وهو تأسيس دولة علمانية وغير قومية. ان الطريق نحو بر الامان، نحو الحرية والاستقرار، يبدأ في بناء دولة ذات هوية علمانية وغير قومية.

ايار ٢٠١٧



توما حميد

كادر الحزب

## هل فشلت الاشتراكية حقاً؟

هناك قمع سافر ضد الشيوعيين والتحريريين وقادة وفعالي الطبقة العاملة في الكثير من البلدان، وخاصة في منطقة الشرق الأوسط، بما يتماشى مع متطلبات النظام الاقتصادي في تلك البلدان، وبشكل خاص ابقاء الايدي العاملة رخيصة. وهناك قمع فكري على مستوى العالم، الذي يصل الى حد اعتبار الاشتراكية والشيوعية، لحد الان، في امريكا مثلاً مرادفة للنازية والفاشية والشمولية، واعتبار الشيوعيين والاشتراكيين وفعالي الطبقة العاملة، اناس معتوهين او عملاء او مخربي الاقتصاد الخ. يعتبر معظم النقد الموجه ضد الماركسية والشيوعية جزء من حملة برجوازية شرسة وواعية. ولكن هناك انتقادات نتيجة عدم الالمام بالماركسية، باعتبارها منظومة فكرية، تدعو الى تغير الوضع الحالي.

### أسباب تعدد التفسيرات للماركسية.

منذ وفاة ماركس في عام 1883، أي في اقل من قرن ونصف القرن، التي هي فترة وجيزة من الناحية التاريخية، أصبحت أفكاره منظومة فكرية وانتشرت الى كل ارجاء الكرة الأرضية. ويعتبر ماركس اليوم، أعظم نقاد الرأسمالية، وتعتبر الماركسية أكثر نقد جذري ومتكامل ضد النظام الرأسمالي. كما يقال، الماركسية هي ظل الرأسمالية، فأينما أصبحت الرأسمالية النظام الاقتصادي السائد، تبرز الماركسية كنفذ جدي، وتبرز على أساسها تيارات وأحزاب ومنظمات سياسية ونقابات ومنظمات عمالية ومنظمات اجتماعية وثقافية وفكرية وبيئية وحتى منظمات مهنية وجرائد وكتب الخ. من الطبيعي، عندما تصل الماركسية الى مجتمعات مختلفة، من ناحية التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والثقافي، فإنها سوف تعني أمور مختلفة، وتأخذ الأفكار الماركسية تفسيرات مختلفة، ويتم

## هل فشلت الاشتراكية حقاً؟

استخدامها من قبل تيارات وحركات مختلفة لتحقيق أهداف مختلفة. يتم، في الكثير من الأحيان، تشويهه، أو سوء فهم الأفكار والمفاهيم الماركسية الأساسية، وخاصة في الدول التي تحكمها أنظمة قمعية، لأسباب منها قلة الاطلاع على الماركسية في الميدان الاقتصادي، تعتبر الماركسية وتستخدم كأداة لتحقيق طيف واسع من الأمور، تتراوح من تطيف بعض عواقب النيو ليبرالية المتوحشة، والحد من الازمات الاقتصادية، التي لا يمكن تحملها، الى تحقيق تدخل محدود للدولة في الاقتصاد، الى إقامة الاشتراكية الديمقراطية، الى اقتصاد رأسمالية الدولة، على غرار القطب الشرقي، وأخيراً اقتصاد مستند على ملكية العمال لوسائل الإنتاج وادارتهم لموقع العمل والتحكم بفائض القيمة الذي ينتجونه.

وقد برزت الجدلات مجدداً حول الماركسية بقوة، وخاصة منذ ازمة النظام الرأسمالي في 2008. ان أكثر الجدالات جدية حالياً حول الماركسية، على المستوى العالمي، هو الجدل الدائر حول البديل للنظام الرأسمالي، والمعنى الحقيقي للاشتراكية، بمعنى هل الاقتصاد الاشتراكي هو النموذج الذي يستند على ملكية الدولة لوسائل الإنتاج وعلى التخطيط المركزي وتحكم الدولة بالتوزيع، وهو النموذج الذي مثله القطب الشرقي، او هو نموذج اقتصادي يستند على تئوير موقع العمل بحيث تعود ملكية وسائل الإنتاج الى العمال، وان يتحكموا بكل تفاصيل الإنتاج والتوزيع بشكل ديمقراطي، اي عامل واحد صوت واحد، وبدون التسلسل والمراتب الهرمية التي تسود مواقع العمل البرجوازية الخاصة والمملوكة من قبل الدولة. إضافة الى الجدل حول أفضل السبل للانتقال الى الاشتراكية. فهل يكون من خلال إقامة التعاونيات العمالية في قلب النظام الاقتصادي الرأسمالي، بحيث تكون من القوة، يصبح الفوز بالسلطة عملية تحصيل حاصل، او من خلال الاستيلاء على السلطة، عن طريق الثورة، واستخدامها من اجل تئوير الاقتصاد وبناء الاقتصاد الاشتراكي، او ببساطة من خلال النضال في كلا هذين الميدانين. سوف ابين رأيي في هذا المجال بشكل مختصر لاحقاً.

## الانتقادات العمومية للماركسية!

كجزء من الحملة المذكورة، التي بدأت تتقهقر بسبب ازمة النظام الرأسمالي، نجد بانه ما ان ينطق شخص باي كلام عن حقوق الطبقة العاملة والنضال الطبقي وعن الاشتراكية والحزب الشيوعي الثوري، يحاول ألف شخص مصادرة حقه في الكلام والتعبير عن آرائه. في ظل سطوة الفكر اليميني، لا يجد خصوم ونقاد الشيوعيين وفعالي الحركة العمالية حاجة الى الدخول في نقاش علمي او منطقي ورد الأفكار بالحجة، بل يكثف بقذف مجموعة من الأفكار الكليشية والحاضرة مثل: كيف لكم ان تتحدثوا عن الاشتراكية، والاشتراكية انهارت في المعسكر الشرقي؟ الا تعني الاشتراكية، ما قام به سنالين وبول بوت ونظام كوريا الشمالية؟ كيف لكم ان تتحدثون عن الماركسية في وضع العراق، في وقت ليس لنا في العراق اقتصاد رأسمالي؟ الخ.

ان النقد الموجه ضد الماركسية والأحزاب الاشتراكية والشيوعية، يختلف من بلد الى بلد اخر، رغم وجود انتقادات عمومية على المستوى العالمي. واحد اهم الانتقادات العمومية والجاهزة هو ان الاشتراكية فشلت لان الاتحاد السوفيتي والقطب الشرقي قد انهار.

في الحقيقة، بصور فشل تجربة الاتحاد السوفيتي، ليس كدليل على فشل الاشتراكية فقط، بل كدليل على طوباوية الفكر الماركسي وعبثية النضال الشيوعي والعمالي، ويستخدم بشكل فعال في قمع الشيوعيين، ومصادرة حقهم في النقد، وحتى في ابداء الرأي حول المشاكل التي تواجه المجتمع. رغم ان هذا الانتقاد يعتبر في نظر الكثيرين بديهية وحقيقة غير قابلة للدحض، الا انه انتقاد تافه وسخيف الى ابعد الحدود.

إذا فشلت تجربة الاتحاد السوفيتي، وتجارب الدول التي دارت في فلكه، تحت ثقل تناقضات هذا النظام الداخلية، فان عدد لا يحصى من التجارب والمحاولات البرجوازية، لإقامة النظام الرأسمالي فشلت او قمعت، قبل ان يثبت النظام الرأسمالي اقدمه في بريطانيا، ومن ثم ينتشر الى كل زاوية من زوايا العالم في اخر

200-300. فنضال البرجوازية ضد النظام الاقطاعي استمر لعدة قرون، قبل ان تتمكن البرجوازية من تثبيت النظام الرأسمالي. يجب ان اشير ان نقدي للاتحاد السوفيتي ولقصوره والجوانب السلبية وحتى الفظيعة التي رافقت هذه التجربة، هو ليس نفي لإنجازات هذه التجربة وجوانبها الايجابية والدروس التي علمت البشرية، وهي ليست مشاركة في حملة البرجوازية العالمية على هذا النظام. رغم انه ليس لي أي تقارب مع هذه التجربة، الا انني، لانتق مع الانتقادات، التي يوجهها مناصرو النظام الرأسمالي، لتجربة الاتحاد السوفيتي. حتى، فيما يتعلق بجرائم ستالين ضد خصومه، التي يحمل كل شيوعي مسؤوليتها بعد عقود، يجب ان نشير، ان أمريكا بالنياية عن النظام الرأسمالي تقتل من البشر، سواء من خلال الحروب، او دعم أنظمة وحركات في منتهى الرجعية، او من خلال شيوع ظواهر مثل الانتحار او المخدرات او العنف الذي تقف ورائه مصالح صناعة السلاح، او الامراض التي تسبب فيها مصالح شركات صناعة المأكولات والمشروبات، وغياب الرعاية الصحية الخ في عدة سنوات عدد اكبر من الذين قتلوا على يد النظام في الاتحاد السوفيتي في 70 عاما. ان ما قام بها ستالين من جرائم، كان من متطلبات الإبقاء على نظام اقتصادي معين مثلما هي الاف الجرائم التي تقوم بها البرجوازية على المستوى العالمي من متطلبات الإبقاء على النظام الرأسمالي الحاكم. يجب ان يكون واضحا ان كل الجرائم التي تحدث اليوم في أي بقعة من العالم، بما فيها التي تقوم بها أنظمة رجعية مثل النظام السعودي والإيراني وغيرها هي جرائم النظام الرأسمالي.

من جهة أخرى، ان البرجوازية، على طوال عمر النظام الرأسمالي، لم تحسم أي نموذج اقتصادي هو نموذجه الأنسب والأفضل، حيث نجد التأرجح بين الرأسمالية المتوحشة المتمثلة بالنو ليبرالية حيث يعطى للدولة اقل دور ممكن، وبين الكنزمية التي تستند على إعطاء الدولة دور مهم في ادارة وتنظيم الاقتصاد، بين المنافسة الحرة وبين الاحتكار، بين الوطنية والحمايية من جهة وبين العولمة من جهة أخرى، الخ بعد تحقيق الصين لنمو اقتصادي كبير لمدة تفوق العقدين من الزمن في وقت يعاني الغرب من نمو ضعيف جدا، هناك حتى حديث عن فشل " الديمقراطية البرلمانية" من الناحية الاقتصادية، وضرورة الاهتداء بالنموذج الصيني في إدارة الاقتصاد.

ان اهم حجة تساق لتبرير الأوضاع المزرية التي يعيش فيها أكثر من اربعين مليون امريكي مثلا او لتبرير ازمة 2008 ومئات الكوارث التي تجلبها الرأسمالية، هو ان النظام الرأسمالي الحالي هو ليس النظام الرأسمالي الحقيقي الذي يفترض انه يستند على المنافسة والسوق الحر. فهناك منظرون برجوازيون وحتى ممن يعتبرون انفسهم ماركسيون او من اليسار أمثال بول كروكمان (Paul Krugman) و غاي ستانديغ (Guy Standing) يناضلون بجدية من اجل بناء الرأسمالية " الكلاسيكية" حيث تسود فيها المنافسة وتستند على السوق الحر، وهي اكثر فكرة طوباوية نسمعها في الوقت الحاضر. لا وجود لرأسمالية مثالية، وما نجده امامنا من احتكار وغياب المنافسة، عدم استقرار اقتصادي، أزمات دورية، فقر مدقع، عدم مساواة لا يعقلها العقل، تدمير كارثي للبيئة، حروب مستمرة، امراض، مجاعات، حصارات اقتصادية، فساد فلكي، التميز على أساس العرق والدين ولون البشرة والجنس والتعصب القومي والديني والمذهبي وغيرها هي الرأسمالية الحقيقية.

اذا، كان يحق للبرجوازية، بان يأخذ نظامها الاقتصادي كل هذه الاشكال، وان يتنكر مناصرو الرأسمالية لعدد لا يحصى من الأنظمة الرأسمالية الفاشلة او الاجرامية، لماذا لا يحق للشيوعي بان يامن بان الاتحاد السوفيتي، لم يكن النموذج الاشتراكي الذي يناضل من اجله، ونموذجه للاشتراكية هو ليس إحلال ملكية الدولة لوسائل الإنتاج بدل الملكية الفردية لتلك الوسائل والتخطيط المركزي محل ميكانيزم السوق، بل هو نموذج يستند بالإضافة الى درجة من التخطيط المركزي ودور معين لسلطة مركزية على تغيير على مستوى موقع العمل أي المايكرواقتصادي، بمعنى إحلال ملكية العمال لوسائل الإنتاج، محل ملكية حفنة قليلة لوسائل الإنتاج، واحلال الديمقراطية في موقع العمل، محل الدكتاتورية التي يمارسها الرأسماليون او مسؤولو الدولة

## هل فشلت الاشتراكية حقاً؟

البرجوازية، في المشروع الاقتصادي الرأسمالي؟.

رغم ان أساس التحليل الماركسي للأنظمة الاقتصادية، بما فيها النظام الاقتصادي الرأسمالي، هو ما يحدث في موقع العمل، اي كيف يتم تنظيم عملية انتاج البضائع والخدمات، والعلاقة بين الناس المشاركين في عملية الإنتاج، وماذا يحصل للفائض المنتج، الا انه لحد الان تم التركيز على من يمتلك وسائل الإنتاج، الدولة ام القطاع الخاص وكيف يتم توزيع البضائع والخدمات من خلال السوق او عن طريق التخطيط المركزي من خلال الدولة، وعلى دور الدولة بشكل عام في إدارة الاقتصاد وتنظيم عملية الإنتاج والتوزيع.

ان التصوير الذي ساد لحد الان، عن النظام الرأسمالي، هو ان ما يميزه هو الملكية الخاصة والأسواق كألية لتوزيع السلع، لذلك فان الاشتراكية يجب ان تعني نقيض تلك الميزتين، اي الملكية العامة من خلال الدولة لوسائل الإنتاج وتوزيع البضائع والخدمات من خلال التخطيط المركزي. أي كما قلنا لم يتم التركيز على كيفية تنظيم عملية الإنتاج نفسها، وماذا يحدث بين الناس عندما تنتج البضائع والخدمات، والى أي حد يتحكم المنتج-العامل بما يتم انتاجه وبظروف العمل وبفائض الإنتاج.

في الحقيقة، ان وجود الأسواق او غيابها، ووجود قطاع اقتصادي تديره الدولة من عدمه، ومقدار تدخل الدولة في الاقتصاد، لا يقول لنا كيف يتم الإنتاج.

الأسواق ظهرت منذ ان برز التخصص في الإنتاج قبل الالف السنين. فعندما لم يعد بإمكان الفرد انتاج كل ما يحتاجه من اجل العيش، ظهرت الأسواق لمبادلة الإنتاج بشكل مباشر او من خلال واسطة مثل النقود، أي ان الأسواق تواجدت مع الأنظمة الاقتصادية التي سبقت النظام الرأسمالي، بما فيها النظام العبودي والنظام الاقطاعي، رغم ان الأسواق تختلف في حجمها ونوعيتها من نظام اقتصادي الى نظام اقتصادي اخر.

ان نمط الإنتاج الرأسمالي، مثل أنماط الإنتاج الأخرى، يمكن ان يتواجد مع الأسواق كألية للتوزيع. في الحقيقة تحت النظام الرأسمالي كل مدخلات الإنتاج بما فيها قوة العمل (القدرة على العمل) ومخرجات الإنتاج عادة ما توزع من خلال الأسواق.

ولكن النظام الرأسمالي للإنتاج، الذي يستند على علاقة صاحب عمل/ عامل، يمكن ان يتعايش مع مختلف أنظمة توزيع البضائع والخدمات، من السوق " الحر " حيث تكون القوانين شبه غائبة الى السوق المنظم من خلال قوانين قد تكون محدودة او صارمة جداً، وحتى توزيع بدون أسواق. ففي ظروف معينة يتم الغاء تام للأسواق وتبديلها بنظام مختلف للتبادل بشكل دائمى او مؤقت، ونفس الشيء ينطبق على نظام الإنتاج العبودي والاقطاعي. إن الغاء الأسواق وتبديلها بنظام توزيع اخر، مثل التوزيع المركزي المبرمج من خلال مؤسسات الدولة لا يغير من طبيعة نظام الإنتاج الرأسمالي مادام بقي نمط الإنتاج على حاله.

من جهة أخرى، في ظل النظام الرأسمالي ان ما يتم داخل العائلة وهو جزء كبير من اقتصاد المجتمع، اوبين الأصدقاء، والكثير من الاعمال التطوعية والفعاليات الاقتصادية التي تقوم بها الدولة، لا تتم حسب قوانين السوق.

كما ان وجود قطاع اقتصادي تسيطر عليه الدولة، لم يقتصر على النظام الرأسمالي، وفي نفس الوقت لا ينفي الرأسمالية. في النظام العبودي كان هناك قطاع خاص وقطاع عام، أي عبيد مملوكين من قبل الافراد، وعبيد مملوكين من قبل الدولة، وفي النظام الاقطاعي كان هناك قطاع خاص وقطاع عام أي قن يعملون لصالح اقطاعيين كأفراد، او لصالح الدولة.

اليوم في النظام الرأسمالي بعض أكبر المشاريع الاقتصادية الرأسمالية ليس في الصين فقط، بل في قلب الغرب، مملوكة للدولة، ولا تزال الدولة هي المسؤولة بشكل أساسي عن البنية التحتية، وتوفير الظروف التي تستند عليها عملية تراكم الرأسمال، والحياة اليومية للسكان مثل الموانئ والمطارات والطرق والشوارع وجزء من السكن. كما انها مسؤولة عن العملة، والجيش والدفاع المدني وأحيانا الصحة والتعليم الخ التي هي كلها ميادين اقتصادية.

تدخل الدولة في إدارة الاقتصاد وفي تنظيم الاسواق من عدمه، هو ايضا ليس امر مقتصر على الرأسمالية. وعلى مر عمر الرأسمالية سعى الإصلاحيون للتخفيف من جوانب وعواقب النظام الرأسمالي غير المقبولة، والتي لا يمكن تحملها، التي ينتجها منطق الربح، الذي هو أساس النظام الرأسمالي، عن طريق تدخل الدولة في الاقتصاد والاسواق تحت ضغط نضال الطبقة العاملة باليات مثل وضع حد ادنى للأجور والضرائب التصاعدية وغيرها والتي تؤدي بالنهاية الى إعادة توزيع الثروة والتي هي بالضد من جوهر النظام الرأسمالي.

تتدخل الدولة أيضا، في محاولة لمنع او التخفيف من الازمات الاقتصادية الدورية، من خلال السياسات النقدية، المتمثلة بتغيير نسبة الفائدة وكمية النقود في الأسواق، او من خلال السياسات المالية، المتمثلة بقيام الدولة بزيادة الانفاق والاستثمار وبالتالي تحفيز الاقتصاد.

فيما يتعلق بتدخل الدولة البرجوازية في الاقتصاد في دول رأسمالية تعتبر ايقونة اقتصاد سوق الحر، فلا اعتقد هناك حاجة للإسهاب في هذا الامر، يكفي ان نقول ان لولا تدخل الحكومات في 2008، لانهار الاقتصاد الرأسمالي بشكل كامل.

باختصار، إذا نظمت وحدات الإنتاج على أساس علاقة رأسمالي/ عامل فأنها تبقى رأسمالية بوجود او عدم وجود الأسواق بوجود او عدم وجود قطاع عام ومع تدخل مكثف او محدود للدولة في إدارة الاقتصاد، وهذه ليست المسائل التي تميز النظام الرأسمالي عن الأنظمة الأخرى.

لقد ميز ماركس نقده لنمط الإنتاج الرأسمالي، عن الانتقادات التي وجهت للأسواق. حسب ماركس ان المشاكل الاجتماعية للنظام الرأسمالي مثل عدم المساواة وعدم الاستقرار وغيرها هي ليست نتيجة التبادل من خلال الأسواق فحسب، بل نتيجة طبيعة نظام الإنتاج الرأسمالي الذي يستند على استلاء قلة صغيرة على فائض القيمة. لذا فان الغاء الأسواق بدون تغيير جذري لمسألة تحكم العمال بفائض القيمة المنتجة، لا يغير من طبيعة النظام ولن تحقق المساواة والعدالة والحرية.

كما قلنا ان ما يميز النظام الرأسمالي من وجهة نظر الماركسية، هو كيف يتم تنظيم موقع العمل اي عملية انتاج البضائع والخدمات، وما هي العلاقة بين المشاركين في عملية الإنتاج، حيث ان المشاريع الإنتاجية الرأسمالية اما يمتلكها ويديرها قلة صغيرة جدا، فتجعل هذه القلة تلك المشاريع تعمل لصالحها لذا فهم اغنياء ويمتلكون السلطة والقوة ويمكنهم التأثير على السلطة السياسية، او يديرها قلة صغيرة من موظفين ومسؤولين، عندما تكون مملوكة للدولة، فتظهر التناقضات التي وجدناها عندما تقع كل مصادر القوة في يد الدولة. في كلتا الحالتين، ليس العامل لا يستحوذ على الفائض الذي ينتجه فحسب، بل ليس له أي صوت في عملية الإنتاج. لذا فان الاشتراكية يجب ان تذهب ابعد من الملكية العامة من خلال الدولة، كبديل للملكية الخاصة، والتوزيع المخطط كبديل للسوق، بل يجب ان تقوم بتوفير موقع العمل. يجب ان يصبح تغيير موقع الانتاج الصفة المميزة للنظام الاشتراكي، يجب ان يستند موقع العمل على مبدأ عامل واحد صوت واحد حيث يقرر العمال بشكل جماعي وديمقراطي ماذا ينتج وكيف وتحت أي ظروف عمل يتم الانتاج وماذا يحدث للإنتاج وللأفانض.



## هل فشلت الاشتراكية حقاً؟

يجب ان تستند وتتوافق عملية التوزيع والتخطيط، وكل وظائف السلطة المركزية الضرورية لإدارة المجتمع، وكيف يتم تنظيم الحياة داخل العائلة، وفي مواقع السكن مع موقع الإنتاج المميز للنظام الاشتراكي. سوف نعود الى هذا الموضوع في مكان اخر.

وهناك وسيلة أخرى تستخدم بنجاح في القمع الفكري، وهي انكار راهنيه الماركسية والادعاء بعدم انطباقها على المجتمع الحالي لسبب او لآخر. ويعتبر مسألة انكار وجود الطبقات في المجتمع الرأسمالي المعاصر والادعاء بان التقسيمات الأساسية هي التقسيمات التي تستند على أساس الوطن والجنس والثقافة والتطور الاقتصادي والاجتماعي ولون البشرة والعرق والعشيرة جزء أساسي من هذه الوسيلة.

في الدول الغربية تم انكار وجود الطبقات لفترة طويلة باعتبار ان الرأسمالية الغربية تمكنت من خلق طبقة وسطى ضخمة، تشمل الغالبية العظمى من سكان هذه المجتمعات، بما فيها الطبقة العاملة التقليدية.

انهار هذا الادعاء منذ ازمة 2008، ولكن بدأنا نسمع في الدول الغربية بمصطلح جديد من " الماركسيين" وهو البريكريت ( precariat)، لوصف شريحة واسعة جدا من الطبقة العاملة. فمثلا، كاي ستانديغ ( Guy Standing ) يخصص جزء كبير من كتابه البريكريت ، الطبقة الجديدة الخطيرة ( The Precariat: The New Dangerous Class) لوصف هذه الشريحة. ليس لدينا أي مشكلة مع وصفه لظروف هذه الشريحة وفي الحقيقة ان هذا الوصف والتفاصيل التي جاء بها تثير الاعجاب، ولكن اعتبار هذه الشريحة طبقة جديدة هي تحريف واضح للماركسية لسبب بسيط جدا، إذا ناضلت هذه الشريحة في أي بلد من اجل مطالب يومية وحقق مكاسب جيدة، سوف تتحول حسب هذا الوصف الى طبقة جديدة وهي البروليتارية. هل تزول طبقة وتتحوّل الى طبقة جديدة من خلال نضال اقتصادي مطلبى وبدون ثورة وتحوّل جذري في المجتمع؟

انكار وجود الطبقات هو جزء أساسي من الايدولوجية البرجوازية كمنظومة فكرية، التي هي سلاح مهم في ايدي البرجوازية لتصوير الامتيازات التي تتمتع بها والموقع الدوني والخاضع للغالبية العظمى من السكان، بانه امر طبيعي. في الحقيقة البرجوازية تعمل ليلا ونهارا من اجل احياء كل التقسيمات التي تستند على الهويات البدائية للإنسان مثل العرق والدين والمذهب والقومية والجنس الخ. يجب فهم الكثير من الكوارث في العقود الأخيرة من حرب البلقان وراوندا والعراق وسوريا وبروز الإرهاب الإسلامي في هذا السياق. الا ان مسعى البرجوازية هذا يمكن فضحه من خلال الكشف عن عواقبه والاهداف الحقيقية التي تقف خلفه. لا يمكن قمع الشيوعيين ومصادرة حقهم في التدخل في قضايا المجتمع وابداء الرأي من خلال هذا المسعى.

ولكن يمكن القيام بذلك بتسفيه الفكر الماركسي من خلال تصويره كفكر طوباوي او جعل الماركسية رديفة النازية والفاشية او انكار راهنيه الماركسية للمجتمع المعاصر. ان الكثير ممن يشاركون في هذا المسعى، هم ممن يعتبرون أنفسهم من الماركسيين او من اليسار. بعض هؤلاء الذين خلف هذه الحملة الشعواء على الشيوعية والماركسية، التي استعرت منذ سقوط الاتحاد السوفيتي، هم اشخاص مغفلين وسذج ولكن اغلبهم يعملون بشكل واعى، لخدمة الطبقة الحاكمة.

وهناك انتقادات أخرى تسوقها البرجوازية على مستوى العالم ضد الفكر الماركسي والاشتراكية كنظام اقتصادي منها ان الاشتراكية بعكس الرأسمالية تتعارض مع طبيعة الانسان او انها تقتل الابداع التي هي انتقادات تافهة ولكن ليست موضوع هذا المقال. سوف اتطرق الى هذه الانتقادات في مكان اخر. اكتفي هنا، بالقول بان الدعاية البرجوازية ضد الماركسية والفكر الاشتراكي والشيوعي، لا تختلف ابدا عن الدعاية التي قام بها مناصرو النظام الاقطاعي ضد الفكر البرجوازي او دعاية النظام العبودي ضد النضال من اجل إقامة النظام الاقطاعي. فالطبقة السائدة في كل نظام، تصور نظامها بانه نظام أبدى ويمثل نهاية التاريخ. لقد وصف الاقطاعيون والكنيسة الفكر البرجوازي بالطوباوي والملحد والمعادي لإرادة الله وطبيعة الانسان ولتقاليد وقيم

المجتمع وغيرها من الاوصاف، التي تساق اليوم ضد الفكر الشيوعي.

## الانتقادات التي توجه للماركسيين والشيوعيين في العراق.

نسمع كثيرا عن عدم وجود طبقة عاملة او طبقة برجوازية في العراق، بل لدينا مليشيات وعشائر من جهة وجماهير عاطلة او غير منتجة، لدينا مزارعين صغار وحرفيين وبعض العمال المبعثرين من جهة أخرى. يقال ليس هناك صراع طبقي بل هناك صراع شعبي -سني وصراع قومي وعشائري. يقال بانه ليس هناك قطاع صناعي واسع. ليس هناك وجود لإنتاج رأسمالي، يستند على انتاج البضائع وفائض قيمة، بل اقتصاد مستند على انتاج بضاعة واحدة هي النفط.

من جهة أخرى، يقال ان اقتصاد العراق والطبقة البرجوازية والطبقة العاملة في العراق هي مختلفة عن الاقتصاد الرأسمالي والطبقة العاملة والطبقة البرجوازية في اوروبا التي تحدث عنها ماركس وانجلز لذا فان الماركسية لا تنطبق على وضع العراق. ولهذا فان الشيوعي الذي يتحدث عن نضال الطبقة العاملة ووحدة الطبقة العاملة والثورة الاشتراكية، لا يفهم شيئا عن الماركسية.

قبل ان ادخل في تفاصيل ردي على هذه الافكار يجب او اوضح ان من يدعي عدم وجود اقتصاد رأسمالي وطبقة برجوازية وطبقة عاملة في العراق بالذات، ليس بنك النقد الدولي او قادة البرجوازية العالمية او المحلية. هؤلاء ليسوا بصدد انكار وجود الاقتصاد الرأسمالي والطبقات بل هم بصدد القيام بالإجراءات الاقتصادية التي تخدم الربح، ومنها منع الطبقة العاملة بألف وسيلة ووسيلة من التنظيم والاتحاد والوعي بمصالحها. ان من يوجه مثل هذه الادعاءات هم في الكثير من الأحيان ممن يعتبرون أنفسهم "ماركسيين" او على الأقل من " اليسار " الذين أصبحوا بوعي او بدون وعي ابواق الطبقة الحاكمة.

من الجدير بالذكر بان "الماركسيين" في كل بلد يصرخون بان النظام الاقتصادي في بلدهم هو ليس نظام رأسمالي، " فالماركسي" الصيني يقول ان القيمة المضافة الى البضاعة المنتجة في بلدي قليلة وان اغلب فائض القيمة لا يتم تحقيقها في بلدي بل في البلدان التي تستهلك فيها البضاعة، فمثلا أسواق وللمارت الأمريكية تحقق ربح اكبر من تسويق البضائع الصينية من المستثمرين الصينيين الذين ينتجون البضائع. و " الماركسي " الأمريكي يقول النظام الاقتصادي الأمريكي، هو ليس اقتصاد رأسمالي، لان قطاع التصنيع فيه ضعيف، وليس هناك منافسة وأسواق حرة. و " الماركسي " العراقي يقول ليس لدينا اقتصاد رأسمالي للأسباب التي ذكرت. و" الماركسي " في بلد اخر يقول ليس هناك اقتصاد رأسمالي لان هناك دولة الرفاه وتدخل واسع من الدولة في الاقتصاد الخ.

ان من يدعي عدم وجود اقتصاد رأسمالي، طبقة عاملة وطبقة رأسمالية، ونضال طبقي، لا يتحمل عناء اثبات ذلك الادعاء والكشف عن نوع النظام السائد في العراق بل تصبح مسؤولية الشيوعي والماركسي اثبات وجود النظام الرأسمالي. لا يقولون لنا اي علاقات اقتصادية تحكم الاقتصاد في العراق ان لم تكن علاقات رأسمال-العامل. هل هي علاقة سيد/ عبد، او اقطاعي/ فلاح؟. يعترف حتى أعتى مفكرو النظام الرأسمالي، بان المجتمع البشري الطبقي انتقل من النظام العبودي الى النظام الاقطاعي ومن ثم الى النظام الرأسمالي الذي يحكم اليوم العالم كله. ليس هناك نظام طبقي اخر غير هذه الأنظمة. نظام يسود فيه الفساد والتخلف والعلاقات الرجعية والشرائح الطفيلية وبطالة واسعة الخ هو ليس خارج إطار النظام الطبقي. كما ان هذه الأمور وسيادة قطاع اقتصادي معين، غياب الصناعات الثقيلة، تأخر التكنولوجيا، معدل عالي من البطالة، فساد الطبقة الحاكمة لتغيير من طبيعة النظام الاقتصادي الرأسمالي. من يقول غير هذا في هذا العصر انما يحرف الماركسية ويحاول تنفيذ التحليل الماركسي للنظام الاقتصادي الرأسمالي على أساس الماركسية نفسها.

يجب ان نشير ان الادعاء بان غالبية الطبقة العاملة في أوروبا في عهد ماركس كانت تعمل في قطاع التصنيع

## هل فشلت الاشتراكية حقاً؟

هو ادعاء غير صحيح. كما يقول تيري ايغلتن ( Terry Eagleton ) ان الغالبية العظمى من الطبقة العاملة لم تكن عمال من ذوي الياقات الخضراء بل كانت من الخدم ومن النساء اللواتي كن يقمن بالأعمال المنزلية.

هؤلاء الذين يطالبون الشيوعيين بالانتظار الى ان نبني اقتصاد شبيه بالاقتصاد الرأسمالي الذي ساد في أوروبا في عهد ماركس وانجلز، قبل عن نتحدث عن النضال الطبقي والثورة والتغير الاجتماعي في المجتمع، هم نفس هؤلاء الذين يتشدقون بأنهم ليسوا من مناصري الدوغمائية والجمود الفكري بل يأمنون بتطور الماركسية الخ.

ولكنهم ينسون ان رأسمالية أمريكا وأوروبا أي مراكز القديمة للرأسمالية اليوم مثلاً هي مختلفة جداً عن رأسمالية التي تحدث عنها ماركس. اليوم 8% فقط من الطبقة العاملة الأمريكية تعمل في القطاع التصنيعي. نسبة الطبقة العاملة الصناعية في سوريا ما قبل الحرب مثلاً كانت أكبر من نسبة الطبقة العاملة الصناعية في أمريكا. اقتصاديات بعض الدول التي هي ضمن اغنى عشرين دولة في العالم، هي اقتصاديات تستند على القطاع الخدمي مثل استراليا. فالاقتصاد الاسترالي هو اقتصاد خدمي، اذ ان قطاع التصنيع ضعيف ويستند في مجال التصدير على المواد الخامة والمنتجات الزراعية ويعتمد على الخدمات مثل قطاع السياحة وقطاع التعليم (العوائد التي تجنى من الطلاب الاجانب الدارسين في استراليا). ولكن ما من أحد يدعي بان الاقتصاد الاسترالي هو اقتصاد غير رأسمالي وهو اقتصاد لا تنطبق عليه التحليلات والأفكار الماركسية. في الولايات المتحدة هناك تقلص كبير في الصناعات الثقيلة مثل صناعة السفن وفي قطاع التصنيع الذي يشغل عمال مهرة في المقابل هناك زيادة في الصناعات الخدمية مثل القطاع المالي والسفر والاستجمام والفندقة الخ. في الحقيقة كل الدول المتقدمة تشهد هجرة كبيرة ومستمرة لوظائف في مجال التصنيع ويستند الاقتصاد بشكل متزايد على الخدمات. في حين ان الصين اصبحت مصنعا ضخماً لإنتاج كل انواع البضائع للعالم. فهل يمكننا القول ان الاقتصاد الأمريكي او الاوربي هو اقتصاد غير رأسمالي؟ هل هذا يجعل الاقتصاد الصيني أكثر رأسمالية من بقية البلدان؟

من المضحك بانه هناك الكثير ممن يتحدث لحد الان عن المركز والأطراف اذ يقول أحد هؤلاء " الماركسيين " " خلق النظام الرأسمالي بخلفة مميزة بمركز وأطراف يتخلص المركز من فائض الإنتاج لديه بتصريفه في المستعمرات، فهل هناك في العراق فائض إنتاج غير العجوة وأيها تلك المستعمرات التي يصرف فيها العراق فائض العجوة لديها! "

فهل هناك جمود فكري أسوأ من هذا ! لا اعرف عن أي مستعمرات يتحدث هذا " الماركسي المعاصر ". حسب هذا الوصف، فان الصين مثلاً هي من دول الأطراف التي من المفترض ان تكون سوق لإنتاج دول المركز، في حين ان المنتجات الصينية قد كسحت كل العالم، بما فيه مراكز الرأسمالية القديمة، بحيث أصبح المواطن فيها يعتمد على البضائع الصينية بدأ من الملابس الى الأدوات المنزلية الى الالكترونيات والى العباب الأطفال ليشمل بشكل متزايد الآلات الثقيلة والسيارات الخ. إذا نظر هذا " الماركسي " الى العلامة على لباسه الداخلي حاله حالنا جميعاً سوف يجد عبارة " صنع في الصين " عليه. ان كل الصراع الدائر حالياً بين جناحي البرجوازية المؤيد للعولمة والمؤيد لما يسمى بـ " القومية الاقتصادية " في أمريكا والمراكز الرأسمالية القديمة هي بسبب فقدان هذه الدول لموقعها المتميز.

أليست الرأسمالية على المستوى العالمي والرأسمالية في أمريكا او بريطانيا او أوروبا مختلفة أيضاً عن الرأسمالية التي تحدث عنها ماركس؟؟ بالتأكيد هناك من يدعي بان النظام الاقتصادي الأمريكي أيضاً ليس اقتصاد رأسمالي لان القطاع الصناعي فيه ضعيف. ربما اذا اقتربنا من مقبرة هايغيت ( Highgate Cemetery ) سوف نسمع قهقهات ماركس في قبره على مثل هذا الرأي.

أصحاب هذا الرأي لا يعرفون بان 50-60% من البضائع المصنعة التي تدخل أمريكا من الصين هي بضاعة تنتج من قبل الرساميل الأمريكية التي انتقلت الى الصين من اجل الاستفادة من الايدي العاملة الرخيصة. أي ان الرأسمال الأمريكي، ليس لا ينتج البضائع، بل ينتجها في اماكن تكون فيها تكاليف الإنتاج منخفضة مثل الصين والهند واندونيسيا وسيريلانكا والبرازيل الخ. انهم ينسون بان النظام الرأسمالي ليس ساكنا، تطراً عليه تغيرات كبيرة مثل انهيار قطب رأسمالية الدولة، درجة كبيرة من العولمة، تطور هائل في القوة الإنتاجية وبان الرأسمالية تولد نمو متفاوت بين البلدان وداخل البلدان وحتى المناطق والمدن وأنها تؤدي الى تقسيم عالمي للعمل. الرأسمالية تتغير ومعها يتغير تركيب الرأسمال وتركيب الطبقة العاملة باستمرار. لا يمكن اخذ آراء أصحاب الرأي الذي يقول بان الاقتصاد الأمريكي او الاقتصاد العالمي هو ليس اقتصاد رأسمالي محمل الجد لأنهم هم، هو من يروج لفكرة ان مجرى تاريخ البشرية تغير وانهار الاتحاد السوفيتي نتيجة خيانة خروشتشوف للثورة الاشتراكية وقيادته لانقلاب على "الاشتراكية السوفياتية" في خمسينيات القرن الماضي وإذا لم يمتم ستالين او يقتل بالسم لانتصرت الاشتراكية ولكانت البشرية اليوم بخير. ان من يفسر حركة التاريخ من خلال الصفات الشخصية لفرد، مهما كانت مكانته، ومن خلال الخيانة لم يفهم شيئاً عن الماركسية. اعتقد ماركس بان الصراع الطبقي هو من يحدد مسيرة التاريخ. لم نسمع من ماركس بان خروشتشوف او الخيانة او الانقلابات هي محرك التاريخ!! اذ يقول ماركس في مستهل البيان الشيوعي "إن تاريخ أي مجتمع حتى الآن، ليس سوى صراعات طبقية".

ولم يقل ماركس هذه الجملة اعتباطاً. كما لم يخصص بها مجتمع محدد مثل مجتمع اوربا مثلاً، ولا يستثنى من هذه الحقيقة الدول الفقيرة او المتخلفة. لم يقولوا لنا هؤلاء، اين كان الصراع الطبقي والطبقة العاملة في الاتحاد السوفيتي عندما كان خروشتشوف يقوم بمؤامراته الخبيثة وتدبير الدسائس ضد الثورة وتواطى مع "البرجوازية الوضيعة"؟ بل حتى لا يقول لنا اين كان الحزب البلشفي، ولا قصد هنا المكتب السياسي بل الحزب كجهاز تنظيمي؟

كما قلنا ان أصحاب هذا الرأي لا يقولون لنا ما هو النظام الاقتصادي الأمريكي او العالمي إذا لم يكن اقتصاد رأسمالي. "الهروب من الاستحقاق الاشتراكي" ليس بنظام وليس له ربط بالتحليل الماركسي. هذه هلوسات "ماركسية" لا غير. بالطبع الاقتصاد الأمريكي ليس اقتصاد مشاعي ولا بد ان يكون اقتصاد طبقي، فاذا لم يكن الاقتصاد الرأسمالي الطبقي هو السائد فأى اقتصاد طبقي هو السائد؟

في ظل النظام الرأسمالي وخاصة في عصر العولمة هناك تقسيم عمل على المستوى العالمي وهذا التحليل ليس هروب من الحقيقة، بل هو الحقيقة بعينها. ففي الوقت الذي نشهد تقلص التصنيع في دول نجد بان 400-600 مليون صيني انتقل من الريف الى المدن الصناعية. من جهة أخرى، ان حجم الطبقة العاملة الصناعية سوف يتقلص نتيجة تطور القوى الإنتاجية ومكننة الاقتصاد ودخول الروبوت الى الإنتاج بشكل مكثف. في الحقيقة هذا هو أحد التناقضات القاتلة للنظام الرأسمالي. بالدرجة التي يدخل الرأسماليون في سباق محموم لتبديل العامل بالروبوت من اجل تقليص التكاليف، بنفس الدرجة يقضون على القوة الشرائية في المجتمع، وتزداد احتمالات الركود الاقتصادي.

من يحلم في بناء اقتصاد وطني رأسمالي يتم فيه انتاج كل السلع والخدمات التي تحتاج اليها سكان البلد المعين، انما يعيش في خيال. تقسيم العمل على المستوى العالمي تزداد وتيرته بمرور الوقت، حيث يقوم الرأسمالي بإنتاج السلعة في المكان التي تكون التكلفة في اوطأ مستوى وذلك قد يكون نتيجة رخص الطبقة العاملة، او بسبب تركيز التكنولوجيا، وتطور القوة الإنتاجية او القرب من الأسواق، او حتى نتيجة سياسات حكومية او ضغط سياسي. والنتيجة هي اننا نجد بان الدول تختص في صناعات معينة، ففيها من يتخصص في الصناعات الثقيلة، واخرى في الصناعات الخفيفة، واخرى في الصناعة الزراعية، واخرى في انتاج المواد الخامة مثل النفط واخرى في صناعة السلاح، وصناعة الجنس، و التعليم والسياحة الخ.

## هل فشلت الاشتراكية حقاً؟

هل سيبقى النظام الرأسمالي بالشكل الذي نراه اليوم؟ بالطبع لا، الصين قد لا تبقى مصنع العالم، بعض الرساميل بدأت بترك الصين نتيجة زيادة تكاليف الإنتاج بسبب ارتفاع الأجور. الأجور في الصين ارتفعت بمقدار 400-600% في قرن في حين ان الأجور في الدول الغربية بقت راکدة في اخر 3-4 عقود. لا أحد يمكنه التنبؤ بالمستقبل ولكن هناك علامات قوية تشير الى احتمال انهيار الإمبراطورية الامريكية، وهناك بوادر تقسيم جديد للعالم وبروز نظام عالمي جديد. الإجراءات الحمائية التي نشهدها أخيراً، قد تهدأ أو تتحول الى حرب تجارية حقيقية والى حرب "باردة" وحتى الى حرب "غير باردة" تؤدي الى تدمير هائل، ولكن هذا لا يعني ان النظام الاقتصادي ليس او لن يكون نظام رأسمالي الا اذا حدثت ثورة طبقية. النظام الرأسمالي سوف يتغير ولن يبقى بالشكل الذي ساد في عصر ماركس ولكن كل القوانين الأساسية لحركة النظام بما فيها الازمات الدورية وتناقضاته الداخلية تبقى هي نفسها كما وصفها ماركس.

في هذا العصر، وفي الظروف الحالية للنظام الرأسمالي المتعفن، والذي يترنح من ازمة عميقة الى ازمة أعمق، بحيث أصبح مصير كل البشرية في خطر جسيم سوءاً بسبب التغير المناخي او احتمال نشوب حروب كارثية، يطلب من الماركسي والعمال في العراق النضال من اجل بناء "نظام رأسمالي كلاسيكي" يسود فيه التصنيع والمنافسة الحرة ويكون خالي من السراق والفاستدين!! هل يوجد تفكير وحلم أكثر طوباوي من هذا النوع من التفكير؟ هل ان النضال الطبقي وقلب النظام الحالي والثورة الاشتراكية هي أكثر طوباوية من هذا الهدف؟

الاعتقاد بان النظام الاقتصادي في بلد مثل العراق هو نظام اقتصادي غير رأسمالي ولا تنطبق عليه قوانين النظام الرأسمالي، والانتقادات التي توجه الى الماركسيين والشيوعيين على أساس هذا الاعتقاد، تبين سطحية أصحابه ويعددهم عن الماركسية. الواقع هو دائماً فوضوي ومختلف عن الواقع المثالي المنشود. النظام في العراق بما فيه من حروب وصراعات طائفية وقتل وفساد بمديات فلكية وانهيار أسس المجتمع المدني هو جزء من النظام الرأسمالي. يجب ان نعلم جيداً بان العنف والحرب والفساد بكل اشكاله بما فيه سوء استخدام السلطة السياسية من اجل مصالح اقتصادية، السرقة والتهرب والقتل وحروب وحشية هي خواص متأصلة في النظام الرأسمالي. انها ليس خواص طارئة بل مثلها مثل الازمات الدورية وعدم الاستقرار الاقتصادي وعدم المساواة هي جزء من تركيبة هذا النظام. وهذا موضوع بحاجة الى بحث جدي.

هناك فساد هائل في أمريكا أيضاً، اذ ان الموقع الرأسمالي المسيطر في الميدان الاقتصادي يمكنه من شراء النظام السياسي والسيطرة على القرار السياسي بشكل غير مباشر. لذا فان اغلب المسائل التي تؤيدها الجماهير في أمريكا، لا يمررها الكونجرس كقوانين، في حين ان احتمال الموافقة على وامرار القوانين التي تخص القضايا التي يدعمها الرأسماليون هو عالي جداً، حتى عندما يكون الدعم الشعبي لها منخفض جداً. ان مدى انتشار الفساد والصراع بما فيه الصراع على الهويات التي تفرضها البرجوازية في خدمة مصالحها يعتمد على توازن القوى بين الطبقة العاملة والطبقة البرجوازية. في مجتمع مثل العراق الذي مر بحروب مدمرة ودمرت فيه أسس المجتمع المدني والبنية الاجتماعية ومؤسسات الدولة وسلمت السلطة الى عصابات طائفية وقومية من خلال احتلال بربري نتوقع كل هذا الفساد والسرقات والجرائم وهي تمثل النظام الرأسمالي الحقيقي الحالي في هذه البقعة الجغرافية.

البعض يدعي بان الاقتصاد العراقي يعتمد على المزارعين والحرفيين الصغار والذي هو رأياً غريباً بحق. عدد المزارعين الصغار والحرفيين في الدول المتقدمة مثل كندا وأمريكا وأستراليا وأوروبا هو اضعاف ما موجود في العراق ولكن هذا لا يقلل من الطبيعة الرأسمالية لاقتصاديات تلك البلدان.

كما قلنا من قبل، كون صاحب العمل فرد رأسمالي او دولة لا يغير من طبيعة النظام الإنتاجي الرأسمالي التي تستند على علاقة صاحب عمل/عامل ومن رأسمالية السلع المنتجة. اغلب الناس في المجتمع العراقي، يجب

ان يعملوا لصالح طرف اخر من اجل المعيشة، سواء كان ذلك لصالح فرد او الدولة وسواء كان في مشروع اقتصادي كبير، مثل حقول نفط الجنوب، او في مشروع صغير مثل صالون حلاقة او مطعم ويجب ان يعملوا حسب نفس شروط موقع العمل الرأسمالي.

عدم وجود صناعات ثقيلة ومصانع ضخمة، ليس ذنب العامل او الماركسي والشيوعي وبناء هكذا اقتصاد ليست وظيفتهم. البرجوازية نفسها هي التي تجعل الظروف غير مواتية لتطور الاقتصاد الرأسمالي وللاستثمار سواء كان من خلال تحول منطقة الشرق الأوسط الى ساحة حروب بالوكالة وتصفية الحسابات بين البرجوازية العالمية او صراعات اجنحة البرجوازية المحلية او الفساد الخ. النضال من اجل إقامة هكذا اقتصاد هو خيال وعمل غير مثمر في المقام الأول. ليست وظيفة الماركسيين تطوير الرأسمالية بل الإجابة على سؤال وهو هل بإمكاننا ان نأتي بما هو افضل من الرأسمالية وكيف يمكننا القيام بذلك.

ان تحليل ماركس للنظام الرأسمالي الذي عرضه في كتاب الرأسمال يركز على العلاقة الأساسية للرأسمالية المعاصرة، العلاقة بين صاحب العمل والعامل في عملية انتاج السلع للبيع في الأسواق. تحليل ماركس لا يقتصر على البضائع بل الخدمات أيضا، عندما تأخذ صيغة السلعة والنتيجة عن علاقة صاحب عمل / عامل في عملية الإنتاج. ولهذا إذا كانت اقتصاديات معينة تخصص في انتاج الخدمات أكثر من البضائع لا تقلل من الطبيعة الرأسمالية لتلك المجتمعات وراهنيه نقد ماركس للرأسمالية فيها مادام كانت علاقة صاحب عمل/ عامل هي التي تحكم عملية انتاج تلك الخدمات. ونفس المنطق ينطبق على الطبيعة المحددة للسلع، سواء كانت السلعة المنتجة النفط او أي مادة خامة أخرى. إذا كانت تلك السلع تستخرج من باطن الأرض، تنقل، وجزء منها يكرر بواسطة مشاريع اقتصادية تحكمها علاقة صاحب عمل/عامل فأنها سلع رأسمالية والعمال المنخرطين في انتاجها هم طبقة عاملة حسب ماركس بنفس قدر العمال المنخرطين في انتاج سلع رأسمالية بصيغة بضائع مصنعة او خدمات الخ. للعراق ميزانية بمليارات الدولارات، وبغض النظر عما اذا كانت كافية او لا ، تنفق بشكل صحيح او لا، هذه المبالغ تأتي من الإنتاج. اذا كان 95% من اقتصاد العراق مصدره النفط هذا يدل على أهمية هذه الشريحة من الطبقة العاملة.

كما نعلم، في النظام الرأسمالي، الفائض الذي ينتجه العمال يأخذه الرأسمالي حالا ويستخدمه في خلق المزيد من تراكم الرأسمال، وأيضا من اجل تعزيز النظام الذي فيه يكون مسيطر اقتصاديا وسياسيا وثقافيا. أذ ليس كل فائض القيمة المنتجة تدخل في جيب الرأسمالي على شكل ارباح. في المشروع الانتاجي الرأسمالي هناك العمال الذين يقومون بالإنتاج وهناك المجموعة الأخرى التي تعمل على تنفيذ المهام الكتابية والإشرافية والأمنية والإدارية الضرورية التي تدعم المجموعة الأولى، لإنتاج تلك المنتجات النهائية. وقسم من فائض القيمة تدفع لهذه الشريحة التي تهيا الأرضية للإنتاج وقسم تدفع للضرائب والدعاية وحتى التبرع للممثل السياسي ولوسائل التحميق مثل الاعلام ودور نشر الدين الخ.

في العراق كدولة خاضعة للسيطرة الامبريالية، مر بما مر به، وتحكمه سلطة طائفية وقومية غير مستقرة، يعتبر تشكيل الميليشيات واجهزة قمعية مليونيه بما فيها الجيش والشرطة وشراء الذمم هي من مستلزمات الإنتاج الرأسمالي. هذا لا يقلل من حقيقة كون العمال مصدر الإنتاج والربح وليس دليل ان علاقات الإنتاج هي علاقات غير رأسمالية او من الواجب النضال من اجل بناء دولة رأسمالية كلاسيكية.

هل تجعل مسألة ضعف القطاع الصناعي ووجود العمال ذوي الياقات الزرقاء عملية الحشد والتغيير الاجتماعي أصعب؟ في الحقيقة لا اعرف. على الأقل ان وقائع السنوات الأخيرة، بدا من حركة اوكيوباي وللاستريت الى ثورات العالم العربي، الى الحركة الحالية في فرنسا تبرهن بان الحشد ضد النظام هي ليست أصعب ولكن الذي يغيب هو الشيوعية العمالية التي ترى ان الحل هو في قلب النظام وليس في إصلاحه، وهذا يجعل الجماهير المستأنة فريسة لليمين الذي يقدم تحليل بسيط وهو القاء اللوم على المهاجرين وكل ما هو

## هل فشلت الاشتراكية حقاً؟

اجنبي لتبرير المشاكل التي تواجه النظام. في الوقت الذي لا يتطور القطاع الصناعي في بلد مثل العراق او يختفي القطاع الصناعي والمعامل الكبيرة في العالم الغربي في نفس الوقت أصبح التواصل بين البشر أسهل وأصبحت مسألة تحقيق الجماهير أصعب وأصبح النظام الرأسمالي هشاً للغاية.

كما يقول البروفسور ديفد هارفي وأنا هنا اعيد صياغة ما اقتبس منه، "إذا ارت شل الاقتصاد الأمريكي فنظم اضرابا لعمال المطارات، فعمال القطاع الصناعي معدومي القوة. فقوة الطبقة العاملة ودورها المركزي للإنتاج الرأسمالي هي في ميادين اقتصادية أخرى".

في الصين قد يكون القطاع الأساسي هو القطاع الصناعي وفي أمريكا قد يكون عمال المطارات وفي العراق هم عمال النفط.

وإذا كانت وظيفة الماركسيين والشيوعيين أصعب وكانت مسألة القيام بتغيير اجتماعي أصعب هذا لا يعني اننا يجب ان نقبل بالرأسمالية ونتخلى عن النضال ضد هذا النظام الذي يرسم مستقبلاً هالكا للبشرية. كما هذا لا يعني بان للبشرية بديل اخر غير البديل الاشتراكي وغير ماركس وتحليله حول دور الطبقة العاملة المركزي في قلب هذا النظام المتهالك.

## أسس تحليل ماركس للنظام الرأسمالي.

لقد طرح ماركس الاف الأفكار ولكن ما يميز تحليل ماركس لحركة المجتمع الرأسمالي، ونفذه للاقتصاد الرأسمالي، هي مجموعة مفاهيم وتحليلات اساسية لا بد الرجوع اليها من اجل اثبات ان النظام الاقتصادي في العراق، وفي كل انحاء العالم هو اقتصاد رأسمالي. ربما يأتي احد " الماركسيون" باقتباس من رسالة يدعي بان ماركس وجهها الى الطبقة العاملة العراقية في " العراق الجديد" يحذرهم من الثورة، لكون العراق ليس بلدا متطورا، ولكن تبقى هكذا اقتباسات والاف من أفكار ماركس هي ليست الأفكار الأساسية لفهم طبيعة النظام الرأسمالي.

ان احد اسس تحليل ماركس ونفذه للرأسمالية ونقولها للمرة الالف هي العلاقة الاساسية في النظام الرأسمالي وهي العلاقة التي تنظم عملية الإنتاج، اي العلاقة بين صاحب العمل والعامل في انتاج السلع للبيع في الاسواق. عندما قال ماركس بان الرأسمالية ليس أداة تحقيق شعار الثورة الفرنسية- الحرية العدالة والاخوة، وخصص عمره من اجل اثبات ادعائه هذا، كان على اساس كون تنظيم عملية الانتاج على اساس صاحب عمل/عامل وليس اي صفة اخرى من صفات النظام الرأسمالي، مثل التطور التكنولوجي وتطور القطاع الصناعي، تنوع السلع المنتجة او مقدار التصدير، مقدار العولمة والحماية الخ.

بمعنى اخر لم تكن مسألة حجم الطبقة العاملة، حجم القطاع الصناعي وتطوره، تطور القوة الإنتاجية، نوع السلعة المنتجة- بضاعة او خدمات، تنوع السلع المنتجة، التطور التكنولوجي، او مقدار التصدير الخ مسائل اساسية في نقد ماركس للرأسمالية. كما قلنا ان حقيقة كون بعض الاقتصاديات الحديثة تنتج خدمات أكثر من بضائع، او تعتمد على الصناعات الخامة والصناعات التجميعية او السياحة او الخدمات الصحية، الجنس الخ لا يقلل من الطبيعة الرأسمالية للمجتمع ومن نقد ماركس للنظام الرأسمالي في تلك البلدان ما دمت العلاقة صاحب العمل/العامل هي التي تحكم عملية انتاج البضائع والخدمات.

ولذلك من اجل حل مسألة عدم المساواة، الازمات الدورية والاعتراب وغياب العدالة والحروب والفساد وكل المشاكل الجوهرية للنظام الرأسمالي وعدم الدخول الى الطريق المسدود الذي دخل فيه الاتحاد السوفيتي، يجب تغيير نمط الإنتاج الرأسمالي المستند على صاحب عمل/عامل.

ومن أفكار ماركس الأساسية والمرتبطة بالعلاقة التي تنظم الإنتاج، هي كيف نعرف الطبقة والدور الحيوي للطبقة العاملة في التغيير الاجتماعي.

تعريف ماركس للطبقة يختلف بشكل جذري عن المفهومين السائدين عن الطبقة، حيث يستند المفهوم الأول على مقدار الثروة المملوكة أو الدخل أو كلاهما، أي بشكل تبسيطي يقسم المجتمع الى اغنياء وفقراء. ويستند المفهوم الآخر للطبقة على السلطة التي تمارس على الآخرين حيث يقسم المجتمع الى هؤلاء الذين يعطون الاوامر وهؤلاء الذي يأخذون الأوامر من الآخرين، اي الطبقة الحاكمة والمحكومة. تعريف ماركس للطبقة يستند على عملية انتاج وتوزيع الفائض. فالطبقة حسب ماركس لا تحددها مقدار الثروة والسلطة بل التحكم بالفائض في حين ان الثروة والسلطة هي عواقب التحكم بالفائض. الانسان يقوم بنشاط يعرف باسم الإنتاج. في الإنتاج، يستخدم العمال - الرجال والنساء عقولهم وعضلاتهم - لتحويل الأشياء التي تحدث بشكل طبيعي إلى منتجات مفيدة للإنسان. في كل المجتمعات هناك دائماً شرائح من السكان التي تقوم بانتاج السلع والخدمات من خلال العمل وهناك عادة جزء من السكان ينتجون اكثر مما يستهلكونه أي "فائض الانتاج". وجميع المجتمعات البشرية تنتج مثل هذه الفوائض. ولكن تختلف المجتمعات في كيفية تنظيم إنتاج وتوزيع هذا الفائض. أي من يقوم بالإنتاج ومن يستولي على الإنتاج ومن يستلم حصة من الفائض. يقوم كل مجتمع بتحديد أشخاص آخرين للقيام بأعمال لا تنتج بحد ذاتها فائضاً، بل توفر ظروفاً لعمل العمال الذين ينتجون الفائض. هؤلاء الذين يوفرّون الأرضية لإنتاج الفائض من قبل الآخرين، يحتاجون إلى جزء من الفائض الذي ينتجوه الآخرون من أجل استهلاكهم الخاص، ومن أجل الأدوات التي يحتاجون إليها لإدامة عملهم، أي توفير الأرضية للإنتاج. مثلاً الشخص الذي يحتفظ بالسجلات اللازمة، لما يقوم به العمال الذين ينتجون الفائض، والذي يتأكد من أن منتجي الفائض يواصلون مهمتهم، والذي يحمي موقع العمل والملكية ومن يقوم بالتخطيط لعملية الإنتاج هم ممن يوفرّون الأرضية للإنتاج أي هم عوامل التمكين. هناك حاجة إلى كل من العمال المنتجين وغير المنتجين لأي هيكل طبقي قائم ومستمر، لكن علاقتهم بفائض الإنتاج تختلف بشكل حاسم من نظام الى نظام اخر.

وهناك شرائح أخرى في المجتمع التي تعيش على الفائض مثل الكاهن والفنان والسياسي الخ. كما قلنا يحدد كل مجتمع أي من الأفراد يحصلون على حصص من الفائض، ويستهلكونها، وبالتالي يعيشون دون أن يقوموا بأي عمل لإنتاج الفائض. التركيب الطبقي لمجتمع تحدد من خلال الطريقة المميزة التي يتم من خلالها تنظيم وتوزيع الفائض.

في المجتمعات البدائية يقوم كل من له الامكانية بالمشاركة في الإنتاج " الصيد وجمع الثمار الموجودة في الطبيعة" ومن ثم يقوم نفس الافراد او رئيس العائلة او كبار السن في القبيلة او الكاهن بتوزيعها على الجميع بما فيهم من لا يمكنه المشاركة في الإنتاج مثل الأطفال والشيوخ والمرضى والنساء الحوامل الى اخره. في المجتمعات الطبقيّة تقوم شريحة هي غير الشريحة التي تقوم بالإنتاج بالاستيلاء على الإنتاج ويقومون بتوزيع جزء منها للمنتجين لكي يبقوا على قيد الحياة ويكونوا قادرين على القيام بالمزيد من الإنتاج في اليوم التالي وجزء على من لا يمكنه الإنتاج مثل الأطفال والشيوخ الى اخره وجزء على شريحة تهيئ الأرضية لإدامة عملية الانتاج ولكن جزء كبير من الفائض يحتفظون به لأنفسهم.

لذا، فلدى ماركس، الطبقة و التركيب الطبقي للمجتمع هو تنظيمها المتميز لإنتاج وتوزيع الفائض. مفهوم ماركس للطبقة باعتبارها الفائض هو مفهوم جديد ومختلف تماماً عن مفهوم الملكية والسلطة للطبقة وهو أساس كل التحليل الماركسي للنظام الطبقي بما فيها النظام الرأسمالي. في الواقع، مسألة تعريف الطبقة هي أحد مساهمات ماركس في تحليل المجتمعات الطبقيّة. التحليل الذي لا يستند على هذا المفهوم الجديد ليس بتحليل ماركسي. لماذا هذا مهم؟



## هل فشلت الاشتراكية حقاً؟

لأنه كما يقول البروفسور ريجارد وولف عبر تاريخ البشرية، الثورات الاجتماعية التي سعت الى احداث تحول في المجتمع عن طريق تغيير البنية الطبقيّة للمجتمع استنادا الى المفهومين السائدين للطبقة اما سعت الى تنظيم كيف يتم توزيع الثروة والدخل او إعادة توزيعها أي كان هدفها تحقيق توزيع أكثر عدالة للثروة والدخل او سعت الى تنظيم كيف وزعت السلطة او إعادة توزيعها أي كان هدفها توزيع اكثر ديمقراطي للسلطة. واعتقد في الكثير من الأحيان، بان التوزيع الاجتماعي للثروة والدخل من شأنه بالضرورة أن يغيّر التوزيع الاجتماعي للسلطة وبالمقابل تغيير في توزيع السلطة سيغير بالضرورة التوزيع الاجتماعي للملكية. وهذا أدى الى اعتقاد اخر وهو ان تجريد جزء من المجتمع من الثروة سوف يؤدي الى تجريدهم من السلطة وبالعكس.

ولكن كل الثورات لحد الان حتى تلك التي تمكنت من هزيمة القوى التي قاومت التغيير الثوري عانت من القصور والفشل. فحتى عندما حققت تلك الثورات تغييرات كبيرة وتقدمية اجتماعياً في توزيع الملكية والسلطة، الا انها لم تصل إلى مستويات المساواة والديمقراطية التي كانت تأمل وتعمل من أجلها وفي الكثير من الأحيان لم تستمر التغييرات التقدمية التي حققتها الا لفترة قصيرة. بالنسبة لماركس، كانت الثورة الفرنسية احدى تلك الثورات، لقد أطاحت بالإقطاعية لكن أهدافها في الحرية والمساواة والاخوة لم تتحقق. لقد تمكن ماركس من كشف سبب هذه الإخفاقات والقصور، وهو ان الثوار لم يفهموا عملية أساسية في كل المجتمعات ولم يقوموا بالمساس بها، فادت بالتالي الى تفويض وفشل مشاريعهم الثورية. هذه العملية الأساسية تمثلت في مفهوم الطبقة نفسه - عملية انتاج وتوزيع الفائض. العملية الأساسية هي الطبقة بوصفها الفائض التي هي أساس الثروة والسلطة. لذا فالطبقة السائدة احتفظت بمصادر القوة من خلال السيطرة على الفائض المنتج في المجتمع لتفويض هذا التقدم وحتى الغائه. الثورات أحيانا غيرت من هي الشريحة التي تحصل على الفائض من اسياذ في النظام العبودي الى الاقطاعيين في النظام الاقطاعي والى الرأسماليين في النظام الرأسمالي ولكن هذه الثورات لم تغير حقيقة ان شريحة معينة هي غير تلك التي تنتج الفائض، تسيطر على الفائض وتقوم بالتحكم به. الثورات التي تحدث في عصرنا بما فيها ثورات ما يسمى بالربيع العربي، قد فشلت لانها لم تهدف الى تغيير التركيب الطبقي للمجتمع، أي تغيير عملية انتاج وتوزيع الفائض. لذا فان نضال الماركسيين يجب ان يهدف الى تغيير التركيب الطبقي للمجتمع على هذا الأساس وليس التخلص من " طبقة الفاسدين" او " طبقة الدكتاتوريين" ألخ. في العراق أي نضال لايقوم بتغيير التركيب الطبقي للمجتمع، او على الأقل لا يهدف الى القيام بهذا التغيير، لن يتمكن من تحقيق مكاسب ذات قيمة.

حسب ماركس ما يجعل الطبقة العاملة مهمة في النظام الرأسمالي ويعطيها دور محوري في تغيير المجتمع القائم وبناء مجتمع جديد، هو انها صنف اجتماعي اساسي في الرأسمالية نتيجة علاقتها الأساسية مع كل الفعالية الاقتصادية. الطبقة العاملة قوة كامنة ليس موجودة عند اي شريحة اجتماعية أخرى. هي الطبقة التي بإمكانها المساس بالتركيب الطبقي للمجتمع عن طريق تغيير من يمكنه الاستيلاء على الفائض.

السياسة هي ليست فقط مسألة اتخاذ موقف أخلاقي من القضايا، والافصاح عما هو سيئ في المجتمع، بما فيه الفساد والتخلف والظلم، بل هي أيضا حول تغيير هذا الواقع. مفتاح التغيير في المجتمع الرأسمالي هو تنظيم الطبقة العاملة لإنها هي لاعب أساسي في المجتمع الذي بإمكانه القيام بالتغيير الذي ننشده. العمال هم القوة الوحيدة القادرة على تغيير الوضع الكالنج بطريقتة جذرية لسبب استراتيجي وهو انهم يشكلون قوة أساسية في اقتصاد المجتمع، ولهم موقع في تركيبية المجتمع الذي يمكنهم اركاع مراكز القوة فيه ولهم المصلحة للقيام بذلك. الواقع هو ان الطبقة العاملة هي الغالبية في المجتمع الرأسمالي وهي جزء المجتمع الذي يعاني اكثر من أي جزء اخر، والذي يتضرر اكثر من عدم المساواة الموجودة في المجتمع، والحرمان، وفقدان الاستقلالية والاعتزاز وانعدام الأمن الخ. ان النضال الذي لايشكل الطبقة العاملة مهما كان حجمها، ويا كان تركيبها عموده الفقري والذي لا يهدف الى المساس بالتركيب الطبقي للمجتمع سوف لن يحقق النتائج المرجوة.

## الانتقال الى النظام الاشتراكي.

بخصوص، مسألة، هل الانتقال الى الاشتراكية، سوف يكون من خلال بناء التعاونيات العمالية الى ان تكون من القوة بحيث تصبح مسألة قلب النظام تحصيل حاصل، او من خلال الثورة، هذا الموضوع يحتاج الى بحث تفصيلي. سوف ابحث هذا الموضوع في مكان اخر. ولكن باختصار التاريخ، يقول بان قبل الثورات الطبقيّة، عادة مايكون هناك نوايا لنمط الإنتاج الجديد، في قلب النظام القديم، منتشرة على نطاق واسع، ولكن قلب النظام عادة مايأتي من خلال الثورة.

لقد كانت هناك نماذج للإنتاج الاقطاعي في قلب النظام العبودي قبل الإطاحة بهذا النظام. كما كانت هناك نماذج لنمط الإنتاج الرأسمالي في قلب النظام الاقطاعي، ولكن الثورات البرجوازية هي التي أطاحت بالنظام الاقطاعي. الان هناك حركة عالمية لبناء التعاونيات العمالية من موندراكون Mondragon في اسبانيا الى التعاونيات العمالية في أمريكا مثل جاكسون Jackson في ميسيسيبي او بليوود plywood في شمال غرب أمريكا او منطقة ايمليا -روماكنا Emilia-Romagna في ايطاليا والمئات من المحاولات الأخرى في أمريكا واوربا وكوبا والصين.

كما ان جيرمي كوربن قائد حزب العمال البريطاني قد وعد بان حال فوزه بالسلطة، وهو احتمال قوي سوف يولي اهتمام خاص ببناء قطاع التعاونيات العمالية، حيث سيمرر قانون يجبر الشركات التي تود ان توقف الانتاج نتيجة الفشل، او أي سبب اخر مثل الانتقال الى دولة أخرى، او التي تقرر بيع نفسها الى شركات أخرى، او التطويق في سوق الأسهم، ان تعطي العمال الحق والاولوية لشراء تلك الشركات. وقد تعهد بان تضمن الدولة القروض اللازمة التي تساعد العمال لشراء تلك المشاريع. من جهة أخرى، لقد برهنت هذه التجارب بان التعاونيات العمالية قد تكون بكفاءة ان لم تكن اكثر كفاءة من المشاريع الإنتاجية الخاصة.

رغم هذا، فان بناء التعاونيات لن يؤدي الى قلب النظام الرأسمالي. كما يجب ان يكون واضحا بان تلك التعاونيات تعمل حسب قوانين العامة للنظام الرأسمالي وليس من الدقيق اعتبار هذه التعاونيات نماذج حقيقية لنمط الانتاج الاشتراكي. من جهة أخرى، الان حيث لا تشكل التعاونيات خطر جدي على النظام، لم تجد مقاومة تذكر، ولكن ما ان تصبح خطرا، فلن تجد الطبقة الحاكمة أي مشكلة، في استخدام كل السبل من اجل قمعها وافسائها. كما ان هناك خطورة ان تبرز التعاونيات ليس كشكل نضالي واحد ضم نضال شامل على كل الاصعدة، ضد النظام الرأسمالي بل كبديل لكل اشكال النضال الاخرى وحتى قد تؤدي الى تنمية النزعة الفوضوية. من جهة أخرى فقد برهن لينين عمليا ان استلام السلطة حتى من قبل قوة صغيرة في الوقت المناسب ممكن من خلال الثورة. واثبت التاريخ ايضا، بان ليس هناك اي مجال للانتقال من نظام اقتصادي الى نظام اقتصادي اخر بشكل تدريجي وسلمي-دارويني. فالتبقة الحاكمة سوق تقاوم اي مساس بمصلحتها بكل ما لها من قوة. لذا فان بناء التعاونيات قد يكون شكل ضروري من اشكال النضال ولكن قلب النظام لن يأتي الا من خلال ثورة يقودها حزب ثوري يمثل الشيوعية العمالية.



فريدريك انكلس

## حول السلطة

شن مؤخرا عدد من الاشتراكيين حربا منظمة ضد ما يسمونه مبدأ السلطة. يكفي أن نقول لهم أن هذا أو ذلك الفعل سلطوي ليدينوه. لقد تم باستعجال الإفراط في صيغة هذا الإجراء لدرجة أنه أصبح من الضروري النظر للمسألة عن قرب.

تعني السلطة، بالمعنى المستعمل هنا، فرض مشيئة طرف على مشيئة طرف آخر – حيث لا تقوم السلطة إلا على التبعية. والآن، بما أن هذه الكلمات تبدو سيئة، والعلاقة التي تمثلها بغیضة للطرف الخاضع، فالسؤال هو كيفية التثبت من أن هناك أي طريقة لتجاوزها، ألا يمكننا (بناء على الحالة الراهنة لمجتمعنا) خلق جهاز مجتمع جديد، أين لا تحصل فيه هذه السلطة على مجال آخر وتضطر بالتالي للزوال.

نجد عند فحص الحالات الاقتصادية والصناعية والفلاحية التي تشكل أساس المجتمع البرجوازي الحالي أنها تنتج أكثر فأكثر لاستبدال الأعمال المعزولة بأعمال تتطلب اشتراك الأفراد. فقد تجاوزت الصناعة الحديثة، بمصانعها وطواحينها العظيمة أين يراقب مئات من العمال آلات بخارية معقدة، ورسات المنتجين المنفصلين (المعزولين). كما تم تعويض مجرورات و عربات الطرق المعقدة بقطارات السكك الحديدية، تماما مثلما تم تعويض السفن الشراعية الصغيرة بأخرى بخارية. وحتى الفلاحة تنتج هي الأخرى نحو السقوط بين برائن الآلة البخارية التي تركز ببطء لكن بثبات مكان صغار الملاك كبار الرأسماليين الذين بمساعدة العمال المأجورين يحصدون أراضي بالغة الامتداد.

في كل مكان، تزيح الأعمال المشتركة – (combined action) تعقيدات مراحل معينة تخضع الواحدة منها للأخرى وتتبعها – الأعمال التي ينفذها الأفراد. لكن إذا ما أشار أي شخص إلى الأعمال المشتركة فلا بد أن يتحدث أيضا عن التنظيم. (organisation) فالسؤال الآن هو هل من الممكن أن يوجد تنظيم بدون سلطة. لنفترض أنه تم خلال ثورة اجتماعية ما خلع الرأسماليين. من سيتحكم الآن في السلطة على الإنتاج وحركة الثروة. (circulation of wealth) لنفترض – إذا ما تبيننا نظرة اللاسلطويين (anti-authoritarians)

كاملة – أن الأرض ومعدات العمل أصبحت الملكية المشتركة للعمال الذين يستعملونها، هل ستزول السلطة أم أنها فقط ستغير من شكلها؟ لنرى ذلك.

لنأخذ على سبيل المثال طاحونة غزل القطن. يجب على القطن أن يمر بست مراحل متتالية على الأقل قبل أن يتحول إلى حالة الخيط. وتقع هذه العمليات في أغلبها في غرف مختلفة. إلى جانب ذلك فمراقبة الآلات تتطلب مهندسا يسهر على المحرك البخاري وميكانيكي يقوم بالإصلاحات المطلوبة و عمال آخرون يتمثل عملهم في نقل المنتج من غرفة لأخرى وهكذا دواليك. يجبر كل هؤلاء العمال من رجال ونساء وأطفال على أن يبذروا وأن ينهوا عملهم في ساعات تحددها سلطة البخار التي لا تراعي أي استقلالية للأفراد. فيتوجب بالتالي على العمال أولا الاتفاق حول ساعات العمل و الالتزام بها حال تحديدها من طرف الجميع بلا استثناء. بعد ذلك تطرح أسئلة محدد في كل غرفة وفي كل لحظة بخصوص أسلوب الإنتاج وتوزيع المعدات الخ. وهذا يتوجب حلا من خلال قرار من طرف مندوب يوضع على رأس كل شعبة عمل أو إن كان ذلك بالإمكان عبر انتخاب الأغلبية. وبالتالي فعلى مشيئة الفرد الواحد أن تخضع دائما. هذا يعني أنه تم حل هذه المسائل بطريقة سلطوية. إن آلات المصنع الضخم الأوتوماتيكية أصبحت أكثر تسلطا مما كان عليه الرأسماليين الصغار الذين يشغلون العمال. على الأقل من ناحية ساعات العمل المكتوبة على بوابات هذه المصانع *Lasciate ogni voi che entrate autonomia* (تخلي يا من تدخل هنا عن كل استقلالية!)

إذا ما كان الإنسان قد تمكن بفضل معارفه وعقريته الخلاقة إلى إخضاع قوى الطبيعة فهذه الأخيرة قد تمكنت من الثأر لنفسها منه بإخضاعه في حدود استغلاله لها لاستبداد حقيقي مستقل عن كل تنظيم اجتماعي. إن الرغبة في إلغاء السلطة في الصناعات الثقيلة مساو للرغبة في إلغاء الصناعة نفسها: تدمير المنسج الآلي (power loom) للعودة إلى العجلة الغازلة (spinning wheel)

لنأخذ مثلا آخر: السكة الحديدية. فهذا أيضا من الضروري للغاية تشارك عدد لانهائي من الأفراد. ويجب تنفيذ الأعمال المشتركة هذه خلال ساعات محددة بدقة كي لا تقع أي حوادث. هنا أيضا يكون أول شرط للعمل مشيئة (قوة) مسيطرة والتي تحل كل المشاكل الناتجة في العمل. وسوى مثل هذه المشيئة مندوب واحد أو لجنة مكلفة بتنفيذ مشيئة الأغلبية المعنية بالمسألة فهناك في كلتا الحالتين سلطة صريحة. إلى جانب ذلك ما الذي يمكن أن يقع لأول قطار منطلق إذا ما تم إلغاء سلطة عمال السكة الحديدية على المسافرين؟

لكن ضرورة السلطة والسلطة الأمرة لا يمكن أن تبرز أكثر مثل سفينة في عرض البحر. هناك، عند الخطر، تتوقف حياة الجميع على طاعة الكل الفورية و المطلقة لمشيئة الفرد الواحد.

عندما طرحت مثل هذه الحجج على أكثر اللاسلطويين تزمنا لم يكن بإمكانهم أن يقدموا أكثر من هذا كجواب: نعم، ذلك صحيح لكن هناك هي ليست حالة سلطة نتباحتها مع مؤتمرنا بل هي حالة لجنة مؤتمنة! يعتقد هؤلاء السادة أنهم باستبدالهم أسماء الأشياء قد استبدلوا الأشياء ذاتها. هكذا يسخر هؤلاء المفكرون العباقرة من العالم كله.

إذن لقد استعرضنا من جهة سلطة معينة بغض النظر عن تفويضيتها ومن جهة أخرى خضوع معين. هذان أمران مفروضان علينا بقطع النظر عن كل تنظيم اجتماعي. وهما مفروضان علينا مع جملة الأوضاع المادية التي تنتج و نحرك عملية الإنتاج داخلها.

و لقد رأينا إلى جانب ذلك أن الحالات المادية للإنتاج والدورة الإنتاجية تتطوران بصفة حتمية مع تطور الصناعات الثقيلة والزراعات واسعة النطاق وتنزعان تدريجيا إلى توسيع مجال هذه السلطة. من هنا فمن السخيف التحدث عن مبدأ السلطة على أنه شر مطلق وعلى مبدأ الاستقلالية الفردية على أنه خير مطلق.

## حول السلطة

السلطة والإستقلالية شيان نسيان حيث يختلف مجالهما باختلاف مراحل تطور المجتمع. إذا ما اكتفى الاستقالييون (autonomists) بالقول أن التنظيم الاجتماعي في المستقبل سيحد السلطة فقط عند الحدود التي تكون فيها ظروف الإنتاج حتمية فهنا يمكننا أن نتفق لكنهم تعاملوا عن الحقائق التي تجعل الأشياء ضرورية وحاربوا العالم بكل حماس.

لماذا لا يكتفي اللاسلطويون بالتنديد بالسلطة السياسية: الدولة؟ يتفق كل الاشتراكيون على أن الدولة السياسية ومعها السلطة السياسية ستختفيان نتيجة الثورة الاجتماعية القادمة. هذا يعني أن تفقد الوظائف العامة طابعها السياسي وتتحول إلى الوظائف الإدارية البسيطة المتمثلة في مراقبة المصالح الحقيقية للمجتمع. لكن اللاسلطويين يطالبون بإلغاء الدولة السياسية في ضربة خاطفة قبل حتى أن يتم تدمير الأوضاع الاجتماعية التي أوجدتها.

إنهم يطالبون بأن يكون إلغاء السلطة أول عمل للثورة الاجتماعية. هل يا ترى شهد هؤلاء السادة أي ثورة؟ الثورة هي بالتأكيد أكثر الأمور سلطوية؛ إنها الفعل الذي يفرض من خلاله قسم من الشعب مشيئته على القسم الآخر بواسطة البنادق والعصي والمدافع أي بوسائل سلطوية. وإذا أراد الطرف المنتصر أن لا يذهب قتاله سدى فعليه أن يحافظ على حكمه بأساليب ترهيبية بأسلحته تردع الرجعيين. أكانت كمونة باريس لتبقى ليوم واحد لو لم يستعمل الشعب المسلح هذه السلطة ضد البرجوازية؟ ألا يجب علينا على العكس أن نلومهم على عدم استعمالها بأكثر حرية؟

إذن فهناك أمران لا ثالث لهما: إما أن اللاسلطويين يتحدثون عن أشياء يجهلون بها. في هذه الحالة فهم لا يضيفون شيئاً إلا البلبلة. أو أنهم يعرفون. وفي هذه الحالة فهم يخونون حركة البروليتاريا. في كلتا الحالتين فهم يستحقون ردة الفعل المضادة.



فارس محمود

عضو المكتب السياسي للحزب

## تنظيم

## بصد

## العمال!

(حول تنظيم حركة الاجتماع العام والمجالسية العمالية)

### قمع حق العمال في التنظيم ضرورة انية ملحة للبرجوازية اليوم!

ان اكثر المسائل والقضايا المطروحة على صعيد الطبقة العاملة اليوم والتي تستوجب وقفة جدية من كل مهتم وفعال عمالي واشتراكي لهذه الطبقة (ناهيك عن حزب شيوعي عمالي) هو ثمة هجمة شرسة تشن على الطبقة العاملة على جميع اصعدة حياتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية. فالبرجوازية المحلية والعالمية على السواء، بكل تياراتها واحزابها وحكوماتها البرجوازية، تسعى وبشكل حثيث من اجل بناء الاقتصاد العراقي من جديد بما يؤمن اعادة سلب المكتسبات التي حققتها الطبقة العاملة طيلة مايقارب القرن من النضالات البطولية وفرض التراجع على حقوقها. ان من بين هذه هو الهجمة على حق الطبقة العاملة بتنظيم نفسها وتوحيدها وتشكيل منظماتها.

ولايمكن فصل الهجمة على حقوق واطواع العمال المعيشية عن الهجمة على حق الطبقة العاملة في التنظيم. تقوم البرجوازية بذلك، اليوم، مستفيدة من اوضاع انهيار النظام البعثي، وبالتالي انهيار الدولة بكاملها ومعها كل المنظومة السياسية والادارية للمجتمع، الانهيار الاقتصادي والاجتماعي، وبالتالي، توقف الحركة الاقتصادية للمجتمع، هذه الحركة التي تلقت ضربة جدية وموجعة بحصار اقتصادي امتد لاثني عشر عام، لتعقبه، بعدها، حرب امريكا على العراق وتوقف كل العملية الانتاجية والاقتصادية للمجتمع تقريباً ومنها معامل ومصانعه وسائر مؤسساته الانتاجية والخدمية. يعاد اليوم بناء المجتمع على ايدي الطبقة الراسمالية ذات النموذج "التاتشري-الريغاني"، المنفلت في الهجمة على الطبقة العاملة والمجتمع، على اسس "جديدة"

## بصد تنظيم العمال!

وفي اوضاع هذا الانهيار، عبر مايسى بـ"اعادة هيكلة الاقتصاد، فرض سياسة الخصخصة بشكل سريع ومذهل واحالة اغلب القطاعات الانتاجية الى القطاع الخاص. ان "اعادة هيكلة الاقتصاد لاتعني سوى بناء العملية الاقتصادية والانتاجية بما يخدم تامين افضل اشكال الربحية واوسع مصالح الراسمال والراسمالين، وان هذا لايتي الا عبر اغلاق المصانع والمراكز الانتاجية التي لاترربحية واحالة الالاف والالاف من العمال بين ليلة وضحاها الى سوق البطالة دون اي ضمانات، بالاضافة الى سير الدولة وفق سياسة رفع اليد عن كل اشكال الدعم واخلاء كاهلها من اي مسؤولية اجتماعية تجاه الفرد وتركه لدهاليز متطلبات اقتصاد السوق الحر.

ان هذه الهجمة، ومثلما تبين الاوضاع في كل مكان من العالم ومنه العراق، تجلب معها معادلتها وقربنتها، اي السخط والرفض والمقاومة. ولكي يقاوم العمال هذه الاوضاع والظروف التي تزداد صعوبة وقساوة، لاندحة لهم من تنظيم انفسهم باي اشكال ممكنة ومناسبة. ولهذا، بهدف تمرير البرجوازية لمشاريعها وخططها الاقتصادية المناهضة للعمال، لابد لها كذلك من وأد اي مسعى لتنظيم العمال، تنظيم يهدف الى توحيد العمال وتضامنهم. اذ ان التنظيم العمالي (وبالاخص القاعدي والمستقل عن تحركات البرجوازية) لايعني سوى خندق مقاومة مهم وضروري، خندق دفاعي (في حالتنا هذه) للعمال بهدف صيانة حقوقهم من التطاولات اليومية للراسماليين. بدون هذا الخندق، يسهل تمرير البرجوازية لخططها واهدافها من اجل تعاضم جني الارباح عبر الاستفراد بالعامل. وعليه، ان تنظيم العمال في اشكال تنظيم جماهيرية ومنظمات مستقلة عن البرجوازية ومؤثرة هو ضرورة حياتية لاغنى عنها للطبقة العاملة في العراق اليوم. انه ماء وهواء هذه الطبقة اليوم. ولكن ثمة اسئلة كثيرة مطروحة امام القادة والفعالين العماليين والاشتراكيين تستلزم جواب واضح وجدي من قبلهم للرد على هذه الاوضاع. بدون تسلحهم بهذه الردود وهذا الافق وهذه الرؤية، يعد امر فرض التراجع على البرجوازية واجبارها على سحب يدها من مسعاها اليوم اقرب الى الخيال منه الى الحقيقة. ان من بين هذه الاسئلة: هل اطر التنظيم العمالي الموجودة اليوم في العراق، على اختلافها وتنوعها وعلى اختلاف افق ورؤية فعاليتها ونشاطاتها، هي اطر مناسبة لصد هجمة برجوازية عالمية ومحلية متكاملة على انتزاع كل ماحققته الطبقة العاملة من مكاسب اقتصادية وسياسية وتنظيمية؟! هل الاطر القائمة هي اطر مناسبة لجمع العمال وحشدهم وتوحيدهم؟! هل هي اطر مناسبة لتعبير العمال بشكل مباشر عن ارادتهم وتدخلهم اليومي في مفردات النضال والصراع مع طبقة في توازن سياسي وطبقي سياسي عالمي ومحلي ليس بصالح العامل؟! هل تمتلك تلك المنظمات الافق والاليات المناسبة لادارة هذا الصراع بما يؤمن تحقيق اهداف العامل في الرفاه والحرية؟! لماذا ان علاقة العمال بهذه المنظمات في اغلب الحالات لاتتعدى يوم الاحتجاج العمالي على هجمة مباشرة: طرد من العمل، تنصل عن مخصصات العمال... وغيرها، فيما تدخل بسببات بعده لايهمها نقل قادتهم الى المدن البعيدة او الطرد من العمل او الاجازة الاجبارية وغيرها من حالات كثيرة شهدناها؟! واذا كان الجواب هو لا او السلب والنفي تجاه هذه الاسئلة، اين تكمن المشكلة، وكيف يمكن الرد عليها؟! وما هو دور الفعالين العمال والاشتراكيين والقادة الطليعيين والراديكاليين لهذه الطبقة؟! وماهي مهماتهم بهذا الخصوص؟! وغيرها من اسئلة كثيرة.

## حال التنظيم الجماهيري للعمال لحد اليوم!

فيما يخص تنظيم العمال، مع سقوط نظام البعث، راينا حركة واسعة لتنظيم العمال في كل مدن العراق تقريباً، وبالاخص في المدن ذات المراكز الصناعية المهمة مثل النفط، الطاقة والكهرباء، الموانيء والسكك وغيرها. اي شهدنا مسعى وحركة واسعتين على صعيد قاعدي، اي في صفوف العمال بمبادرة فعالين وقادة هذه الطبقة. لا اتحدث هنا عن مسعى اخر قامت به الاحزاب السياسية البرجوازية من ناحيتها، من احزاب دينية وقومية، من الصدريين والمجلس الاعلى والفضيلة والدعوة... وغيرها لتنظيم العمال لاهداف سياسية معينة للاقلاقة لها بتنظيم العمال من اجل المصالح الطبقيية المستقلة للعمال، وانما اهداف تتمثل بجعل العمال، هذه الطبقة المليونية التي تمسك بعصب المجتمع واقتصاده وذات الطاقات الجياشة الساكنة الان، ملحق لسياساتهم واهدافهم ومشاريعهم.

ان الشكل التنظيم الذي اتخذته هذه الحركات هو، وبشكل فوري، نقابات او اتحادات عمالية، اما "المجالس العمالية" فلم يتعدى شكل لفظي ولاوجود عملي له رغم بعض المساعي الفردية غير الواضحة الافق هنا وهناك. ليس هذا بامر وليد الصدفة. انه امر اجتماعي. اذ ان النقابية والاتحادية هو طرح تيار سياسي-اجتماعي معين موجود في المجتمع اساساً، وبالتالي، داخل الطبقة العاملة بوصفها طبقة موجودة في المجتمع، انه طرح تيار قومي-اصلاحي. تيار له تصور لنوع المجتمع الذي ينشده ولاداعي ولملامحه، تصور للبنية السياسية الحاكمة والالية السياسية للحياة السياسية، تصور معين لعلاقة الطبقة العاملة بالسياسة والمجتمع، تصور لكيفية رؤية الطبقة العاملة لنفسها كطبقة... والخ. ان التقليد النقابي وتقليد الاتحادات العمالية هو تقليد اساسي وطاغي نوعاً ما على الصعيد الحركة العمالية في العراق. ان سبب ذلك معلوم، اولاً، هو سيادة التيارات والاحزاب والميول اليمينية والاصلاحية داخل المجتمع والطبقة العاملة نفسها والذي يمثل هذا التقليد طرحه للحركة العمالية وتنظيمها. اشيع لحد اصبح معه ذكر الطبقة العاملة مرادف او مقترن او يعني النقابة حصراً. ان اهداف هذا التصوير معلومة، وهي يمينية، تهدف الى لجم العمال في اطار معين نال قبول ورضا اقسام معينة من البرجوازية. وبالتالي اركان كل اشكال التنظيم الاخرى جانباً من الحلقات العمالية، الاجتماع العام، اللجان المعملية والمجالس العمالية وغير ذلك. هذا من جهة، وثانياً ضعف التيار الراديكالي والاشتراكي لعقود داخل الطبقة العاملة ونشرذمه وعدم وضوح افقه السياسي والعملي. بالاضافة الى ذلك، ان النقابات لها امتداد عالمي، وهي على الصعيد والبعد العالمي امر قبلته اقسام من البرجوازية كاطار يمكن تحمله، التدخل فيه، وفي حالات كثيرة لامتناسخ سخط العمال وتهدينتهم. بيد ان الاجتماع (او التجمع) العام الذي كان شكل اغلب النضالات العمالية في الثمانينات والتسعينات كان الى درجة من المحدودية والقلة بحيث لم يثبت نفسه كاطار ملموس لتدخل العمال المباشر وتوحيدهم وتنظيمهم.

ان سمات بارزة للتنظيم العمالي الراهن، وهو الامر الذي لايمكن فصله عن شكل التنظيم العمالي، هي البيروقراطية، وجود نخب عمالية تتحدث باسم العامل وبالنقابة عن العامل وفي احيان ليست قليلة من وراء ظهر العامل، عدم وضوح وهلامية العلاقة ما بين قيادة النقابات والاتحادات وقاعدتها، عدم وضوح مراجع القرارات وغياب الجماهير العمالية في صنع القرار، عدم وضوح وانتقائية الية اختيار القيادة، ولايعرف في اي مجمع رسمي واضح وشفاف وغير انتقائي تم انتخابها او اتخذت قراراتها، وكيف يمكن عزلها ان عجزت عن تمثيل مصالح العمال، متى يعقد الاجتماع القادم بين العمال وقادة النقابة ان كان ثمة اجتماع، بالاضافة الى عدم الاستناد الى ارادة وتدخل العمال في اغلب الامور. بل وحتى سيادة نوع من النخبوية والهجوم والتطلعات النخبوية في احيان ليست قليلة واليات تتناسب مع هذا التوجه وهذا الدور وجعلت الحركة العمالية ومنظماتها ملحق لافقها هذا. ليس هذا وحسب، الفوقية وخلق كيانات بمعزل عن العمال واهدافهم، تجد اتحادات وانفصالات كثيرة هنا وهناك لاربط لها بالعمال ونضاله اليومي تجري يومياً لمصالح فئوية ضيقة وليس لها اي ضرورة اجتماعية او سياسية واقعية وحياتية، بل وحتى غير مفهومة لاي مراقب خارجي. في الوقت الذي ينبغي التاكيد على دعم هذه المنظمات بقوة ودون اي قيد وشرط لانها بالمحصلة الاخيرة اطار لتنظيم العمال وتحسين اوضاعهم، او على الاقل يسعى صوب ذلك، الا انه يجب ان لايعيب عن بالنا ان هذه الاشكال عاجزة عن الرد على متطلبات نضال مؤثر وجدي يتناسب مع متطلبات الصراع الطبقي اليوم في العراق. وتوخياً للدقة نرى ان هذا الاطار قد بين عن عجزه التام منذ عقود مديدة، وبالاخص ابان الازمة الاقتصادية الراهنة، بين عجزه في قلب اوربا وامريكا التي تمثلان موطن النقابية وثمة تاريخ مايقارب قرن ونصف من النقابية والنزعة النقابية هناك. فكيف الحال مع هذه النزعة في العراق التي هي محرومة من اي وجود فعلي وحقيقي لعقود طويلة!!؟

ولكن ان كان هذا طرح تيار معين، تيار قومي-اصلاحي، تيار الاشتراكية الديمقراطية في اوربا وتيار عريض وواسع يمثل الحزب الشيوعي العراقي وسائر الشيوعيين واليساريين القومييين ممثل ونموذج واضح، فان السؤال المطروح امام شيوعي الطبقة العاملة، القسم الاكثر طليعية وحزماً داخل الطبقة العاملة، العمال



## بصد تنظيم العمال!

والنشاط الراديكاليين للطبقة العاملة هو ما هو طرحهم وردهم على هذه المسألة المهمة. ما هو السبيل العملي لتحقيق ذلك؟! ليس بوسع الطبقة العاملة ان تقوم باي شيء دون تنظيم نفسها في منظمة جماهيرية ودون حشد اوسع ما يمكن من العمال فيها. وبوسع البرجوازية ان تفرض الشروط تلو الشروط وتنتزع المكتسبات تلو المكتسبات من الطبقة العاملة دون الرد على هذه المسألة. لن يقتصر التراجع على العامل فقط، بل على المجتمع برمته، على المدنية والعلمانية، على الحريات السياسية والحقوق والفردية والمدنية، على حرية الراي والتعبير، وعلى حقوق الطلبة في التعليم، على ضمان البطالة وسن التقاعد، ستسحب يد الدولة ومسؤوليتها تجاه المجتمع، وهو العمل الجاري على قدم وساق اليوم. اذ انه لقول قديم ان تراجع المجتمع من تراجع الطبقة العاملة، ورفاهه وسعادته وحرياته من رفاها وسعادتها وحرياتها. مصير المجتمع كله يقف على اجنحة هذه المسألة. ولهذا فانها مسألة حياتية بالنسبة لنا شيوعيي الطبقة العاملة والقادة والنشطاء الاشتراكيين للطبقة العاملة، وعلينا الرد على هذه القضية.

## اي تنظيم للعمال؟!

اذا ما وضعنا نصب اعيننا تجربة السنوات المنصرمة ومحدودياتها العسوية على العد والياتها البعيدة كثيرا عن تمثيل حضور مؤثر وجدي للعمال في الصراع والنضال اليومي من اجل ابسط الحقوق الى اكبرها، السؤال المطروح هنا اي تنظيم للعمال ننشده؟! من مسلمات حركتنا هي ان توحيد حتى ولو عاملين اثنين ووضع اياهم بيد بعض يتمتع بضرورة حياتية بالنسبة للطبقة العاملة، فكيف الحال بتوحيد طبقة مليونية؟! ان هذا ماتدركه الطبقة العاملة بغريزتها الطبيعية. ولهذا يعد الدفاع عن تنظيم العمال لانفسهم، بغض النظر عن شكل هذا الاتحاد سواء نقابة ام اتحاد ام لجنة معملية او...، امر واجب على الاشتراكيين والشيعيين العماليين الدفاع عنه. ولكن ما هو طرحنا نحن الشيوعيون للعمال؟! مثلما ذكرت ان المسألة لاتتعلق بانتخاب اطار او شكل ما من بين اطر او اشكال موجودة. ليس الامر انتقاء اسلوب معين. ان النقابية والمجالسية والاجتماع العام تقاليد تيارين اجتماعيين-سياسيين مختلفين لكل منهما تصوره للمجتمع بكل تفاصيله، تيارين احدهما قومي -اصلاحي والاخر اشتراكي، ومنهما تياران موجودان في المجتمع قبل كل شيء ولدى كل منهم تصوره للمجتمع المنشود. ولهذا فان الامر ليس مفاضلة بالنسبة لنا. بل ثمة توجه معين، علينا الدفع به بغض النظر عن كونه ضعيف ام قوي داخل العمال الان.

ان الاجتماع العام وتسيير حركة الاجتماع العام هو طرحنا. ان الاجتماع العام هو تنظيم. ام جميع التنظيمات. مركز ابراز العامل لوجوده وقدرته المباشرة. يمنح الشعور بالثقة والاقترار. يوفر للعامل امكانية التدخل اليومي والمباشر في رسم مصيره. يرسم سبيل تدخل العمال. يحرر العامل المنزوي والمنفرد من انزوائه وفرديته، يقويه، يرد على قضية تشنته وتبعثره. يبلغ صوت العمال اوضح واوضح للبرجوازية، ومن بين صفوفه يخرج ممثلي العمال. وعلى اساس ديمومة واستمرارية الاجتماع العام تتشكل المجالس العمالية. بهذا العمل، يبين العامل عن وجوده واقتراره من جهة، ومن جهة اخرى يبرز ممثليه والناطقين باسم العمال، ممثلين وناطقين ليس بوسع احد ان يقول لهم "من انتم؟" و"من اين انتم؟!" و"من خولكم التحدث باسم العمال؟!" او ينكر احد ما تمثيلهم. انه يضع محدوديات جدية على تطاول البرجوازية عليهم. اذ لا يستطيع ان يعمل اصحاب العمل او الادارة الراسماليين الكثير امام عقد العمال لاجتماع عام لدقائق او لساعة لاتخاذ قرار حول الاحتجاج على هذا الامر او ذلك، او حول كيفية تدخل العمال لزيادة الاجور او تقليص ساعات العمل او اعلان التضامن مع نضالات عمال المعمل الفلاني او كيفية الرد على انتهاك الادارة لحقوق العامل او العاملة الفلانية او الرد على قرار فصل او نقل عامل محتج وغيرها.

بوسع الفعاليين وقادة العمال والاشتراكيين ان يدعوا العمال في يوم معين وساعة معين ومكان معين من ايام ووقت العمل الى الاجتماع العام، لي طرح العمال مطالبهم، ما يريدوه وما لا يريدوه، بشكل جماعي وينتخبوا ممثلهم للقيام بهذا الامر المحدد الذي وضعه العمال على كاهلهم لتنفيذه وليس شيء اخر. ان هذا كل ما في

الامر. لا يستوجب الامر موافقة وزارة او هيئة ما، ولا اتفاق هذا الميل او ذلك من ميول الطبقة العاملة لعقده، لايحتاج تعديل الفقرة الفلانية او سحب الفقرة الفلانية، لايحتاج الى بيروقراطية او جهاز اداري طويل وعريض، لايحتاج الى مكتب وبنية خاصة، لايحتاج الى امكانات مالية ضخمة لتأمين حياة جهاز بيروقراطي كبير، لايصبح لتجسس او وجود ازام وعملاء البرجوازيين قيمة او معنى، لامكان لرشوة ممثلي العمال لانهم عرضة للمسائلة حول مدى تنفيذهم لقرار العمال وان عزلهم هو امر ليس بعجيب او غريب، بل اجراء روتيني عادي يمكن ادراكه وفهمه.

اننا ننشد تسيير الاجتماعات العامة المنظمة والمستمرة. ان المجالس العمالية التي تولد من رحم الاجتماعات العامة المنظمة والمتواصلة هي مصدر اقتدار العامل في كل زاوية من حياته وحياة المجتمع سواء من حيث تحسين ظروف حياته او من حيث ارساء الحكومة العمالية. من اجل تشكيل الاجتماعات العامة للعمال وانتخاب ممثلي العمال لاصدار وتنفيذ القرارات العمالية ينبغي ان لاينتظر احد اتفاق وقناعة كل العمال. اذ ثمة ميول بين العمال وبالتالي تصورات مختلفة، وحتى اوام متعددة ومتنوعة. في الوقت الذي يجب الرد عليها والسعي لاقناع العمال بخطئها، ولكن من الخطأ الفادح تكبير ايادي هذا المسعى بها. اذ على العمال الاشتراكيين والراديكاليين وحلفاتهم ان يمضوا نحو ارساء قرميد هذه الحركة بدون ابطاء. يجب توعية العمال وتنقيفهم بسبيل الحل هذا وبنقطة قوة هذا السبيل. ان هذا امر عملي وواضح ويمكن تحقيقه وانجازه. ان اوضاع الطبقة العاملة اليوم والحرمانات التي تفرض عليها يوميا يجعل من مسالة الاسراع بهذا الامر ضرورة حياتية خاصة.

ولكن من اين نبدء. ان حركة الاجتماع العام والحركة المجالسية لاتاتي عبر ترديد الشعارات وتوجيه النداءات واسداء النصح للعمال، والتي جميعها امور جيدة وضرورية. اذ ينبغي على الفعاليين والقادة العماليين والاشتراكيين والطلبيين ان يقوموا بحملة توعية واسعة بهذا السبيل والسعي لاقناع العمال بصحته وبساطته وتعبيره المباشر عن العمال وسائر ايجابياته وقبل هذا وذاك بعملية. ولكن يجب ان نبدء من مكان ما. اثناء مسار احتجاج العمال ونضالهم اليومي (اللدان كلاهما بطبيعتهما لايتمان بشكل فردي وغير منظم)، نوحدهم وننظمهم. في ايام مثل هذه، ايام الاحتجاج والنضال، وبالاخص القوي والشامل، بوسع القادة والفعاليين ان يقطعوا في ايام اشواط لاتقطعه الحركة في سنوات. في ايام مثل هذه، وفي غمرة النضال، بوسع القادة والفعاليين ان يدقوا اسفين الاجتماع العام بوصفه اطاراً لتنظيم العمال. ان ظروف هذا الامر مهينة اليوم اكثر من اي وقت اخر، حيث نشهد تنامي الحركة الاحتجاجية في قطاعات واسعة من الصناعات، الموانئ، الكهرباء، النفط والطاقة وغيرها حول جملة من القضايا والمطالب. ان ايام الاحتجاجات هي ايام خاصة في حياة الطبقة العاملة، اذ تتعاضد حساسيتها للصراع، ويتبلور ادراكها وفهمها لنقطة قوتها ووحدتها بسرعة قياسية، يضطرد ويتعمق حسها الجماعي والمشارك. ولهذا، فان اخصب تربة للدفع بتنظيم العمال هو تربة الحركات الاحتجاجية وايام الاحتجاج.

ان الفعاليين والقادة الاشتراكيين للعمال يتمتعون اليوم بالاخص بميزة كبيرة للدفع بهذا الطرح، وقصدي ثمة عدم رضا وقناعة كبيرين بالاطر التي تشكلت حتى الان، بل وفي احيان ليست قليلة هناك سخط، وهو الامر الناجم من عدم قدرة هذه المنظمات على تمثيل العمال في مساهم لتحقيق مطالبهم. ان هذا برائي يوفر ارضية مهمة للرد على تعطش العمال هذا للتنظيم. ان هذا هو سبيلنا.

ان لهذا لموضوع جوانب كثيرة ومتعددة، ارى من الضروري تناولها او توضيحها في فرص ومناسبات اخرى قريبة.



عواد احمد

عضو اللجنة المركزية

## موضوعات حول الحزب وقضايا الاممية والقيادة والتنظيم

هذه الموضوعات هي حصيلة نقاش مطول مع احد رفاقنا الشباب المتحمسين قمت بتطويرها واغناءها بتصوراتي وافكاري الشخصية ومن خلال تجاربي الخاصة وقراءة تجارب الماضي تناولت موضوعات راهنة وحساسة مثل الاممية ، التنظيم ، المركزية ، البيروقراطية ، والديكتاتورية وقضايا اخرى هامة وهي ليست قضايا نظرية مجردة وعامة فالكثير منها يتعلق بتجربتنا في الحزب الشيوعي العمالي العراقي اتمنى ان تكون مفيدة وتخدم مسيرة الحزب السياسية والعملية لتحقيق اهدافه الكبيرة والعظيمة.

\*\*\*\*\*

### الاممية ضرورة تاريخية :

نقطة الضعف بالنسبة لكل اليسار الشيوعي والعمالي في العالم بما في ذلك نحن هو عدم وجود مرجعية متجسدة في دولة ، او عدم وجود اممية ثورية تضم الاحزاب الثورية في كل العالم وتسعى لإسقاط النظام الرأسمالي على مستوى الكوكب .

الاممية ضرورة تاريخية بدون اممية لا يمكن لاي حزب بمفرده استلام السلطة في بلد معين ، وحتى اذا استلمها فانه لا يستطيع الاحتفاظ بها او النجاح في خطط الانتقال نحو الاشتراكية سيضع النظام الرأسمالي

العالمي ملايين العوائق الاقتصادية والسياسية والحصارات والضغط وربما التدخل العسكري وسيحوك الف مؤامرة لافشال أي تجربة طليعية منفردة تكون نموذجا رائدا للطبقة العاملة والشعوب المضطهدة. إنكار اهمية الاممية ودورها من قبل البعض من اليساريين والشيوعيين الاصلاحيين ، ينطلق من قصور الرؤية السياسية ، الانكفاء في اطار الحدود ( الوطنية ) وربما عدم ادراك اهمية التنسيق والعمل مع التيارات والاحزاب الاخرى في العالم او اليأس منها ومن ممارساتها السياسية بسبب سيادة النزعة الاصلاحية والبرلمانية والاختلاف السياسي والايديولوجي السائد بين احزاب وتنظيمات كثيرة .

سبق ان طرح الرئيس الفنزويلي الراحل شافيز موضوع الاممية الخامسة لكنه مات قبل تنفيذه واعاد التأكيد على ضرورته المفكر الماركسي العالمي سمير امين قبل رحيله ايضا عام 2018

قضية كبيره مثل الاممية لن تتحقق الا بوجود احزاب ماركسية عمالية قوية ثورية ومقتدرة ومصممة على الوحدة ورسم البرامج والاهداف التاريخية المشتركة لنضال الطبقة العاملة ضد النظام الرأسمالي المسلح سياسيا وعسكريا بشتى وسائل القوة وجيوش الاعلام المزيف وغسل الادمغة .

الاممية الخامسة المقترحة لم تتشكل حتى هذه الساعة وهي ضرورة تاريخية كأداة بيد الجماهير العمالية والشبابية والنسوية للتغيير ويجاد مجتمع جديد اشتراكي وللتخلص من شرور وحروب الرأسمالية وازماتها المزمنة تمليها الضرورة التاريخية لانقاذ البشرية من الكارثة والدمار المحقق بها. فاما الاشتراكية او البربرية .

\*\*\*\*\*

## التعلق بالشخصيات التاريخية الثورية

قضية النضال الثوري ليست فقط التعلق بالشخصيات الثورية في القرن العشرين مثل لينين وتروتسكي وروزا لكسمبورغ وغرامشي وجيفارا .. الخ مع اهمية دورهم ومكانتهم التاريخية التي نكن لهما الاحترام فهناك اهمية للاستفادة القصوى من افكارهم الثورية مع التاكيد الدائم ان القضية تكمن في استخدام المنهجية الماركسية في تحليل وقراءة الواقع المعاصر وحركة الاحداث وبناء احزاب شيوعية ثورية عمالية مناضلة من اجل استئصال الرأسمالية على الصعيدين المحلي والعالمي.

الاشتراكية الديمقراطية والاشتراكية الثورية وغيرها من المسميات القديمة – الجديدة ومن ضمنها بعض الاشكال من التنظيمات اليسارية الجديدة مع اهميتها ربما تمثل تعارضا مع بعض المفاهيم التي اكدتها ثورة اكتوبر وفكر لينين والبلاشفة الاخرين . في الجانبين النظري والعملي وخاصة في الجانب التنظيمي بسبب تبني نموذج تنظيمي يتسم بالليبرالية وتقديس النزعة الفردية احيانا وغياب المركزية والانضباط الثوري . اضافة الى ذلك اعتبار الديمقراطية البرجوازية نموذجا للحرية والاختلاف ويصل الامر عند البعض الى حد تقديسها واعتبارها معطى نهائي .

نسمع ان هناك احزاب يسارية جديدة في اوربا، تتبنى افكار روزا لكسمبورغ وهو امر جيد وإيجابي قياسا الى تفشي النزعة الاصلاحية والشيخوخة السياسية للاحزاب الشيوعية التقليدية ومنظمات الطبقة العاملة النقابية التي تتعاون مع الطبقات الحاكمة وتمثل كابحا لتطلعات الجماهير العمالية . وعليه تكمن العبرة في نشاط وفعالية تلك الأحزاب اليسارية في مواجهة الرأسمالية وبناء تنظيم جماهيري كبير لا يساوم على هدف ضرورة انهاء النظام الرأسمالي وان السياسات الاصلاحية والبرلمانية لن تحقق تغييرا جذريا امام تفشي البطالة والعنصرية وشتى اشكال التمييز .

ومن وجهة نظري الشخصية ماتزال ثورة اكتوبر وافكار لينين السياسية والعملية تجربة غنية بالدروس

## موضوعات حول الحزب وقضايا الاممية والقيادة والتنظيم

والعبر ويمكن دوما العودة اليها واستنطاقها على ضوء قراءة الاوضاع السياسية الراهنة وملابساتها وتحدياتها .

القضية ليست بميلنا الى الشخصيات الثورية وتقديسها مع احترامي لجميع تلك الشخصيات وادوارها الكبيرة ، ولكن بوجود فهم ثوري لنضال تلك الشخصيات وافكارها . بهذا المعنى لا بد من وجود حزب منضبط فيه كوادر ماركسية شجاعة ومتمرسه ومتفرغة للنضال يمتلك تمويلا كافيا وعلى رأسه قيادة متمركزة وشجاعة ومتقفة حتى تستطيع ان تكون رقما حاسما في المعادلات السياسية وفي الصراع من اجل السلطة .

النموذج البلشفي هو افضل نموذج ماركسي ثوري نجح في وقته وهو ما يزال مطروحا على جدول اعمال التاريخ يمكن الاستفادة باستمرار من دروسه التنظيمية وممارساته النظرية والعملية .

### الحزب الثوري وشروطه

الحزب الشيوعي العمالي العراقي بالرغم من نواقصه هو افضل تيار ماركسي في العراق اليوم وليس في العالم وربما يطرح المستقبل اشكال تنظيمية ارقى وافضل .

الاحزاب ليست نظريات فقط مع اهمية النظرية الثورية اذ ( لاحركة ثورية بدون نظرية ثورية) يجب استعادة هذه المقولات التاريخية الهامة ووضعها امام الجماهير العريضة ، الحزب الثوري ممارسة وحضور جماهيري قوي وقوة وبرنامج سياسي واضح .

اذا لم تكن لديك جماهير منظمة وواسعة وقيادة متمركزة واموال فلا مردود واضح من الممارسة السياسية اليومية التي تظل محدودة وقاصرة عن الوصول الى الاهداف .

نحن اليوم في الحزب نعمل بإمكانيات محدودة وخاصة وهو شيء جيد لكنه... لن يحقق الاهداف الكبيرة بالسرعة التي نريدها يجب ان نقول دوما باعتبارنا حزب عمالي طبقي كم لدينا من العمال منظمين وفعالين داخل التنظيم ما هو مدى قربنا وتمثيلنا للطبقة العاملة واكتساب ثقة الطبقة العاملة بسياستنا وتمثيلنا لمصالحها الطبقة والسياسية .

الثالوث الذي يقف عليه الحزب الجدي هو البرنامج والنظام الداخلي القيادة والتنظيم الطبقي الواسع المنظم والمنضبط والمسلح بالنظرية الماركسية الثورية . بدون برنامج ثوري واضح لا يحتوى على اية اشكالات او افكار طوباوية يتوافق مع قراءة ملموسة للواقع لن يتمكن الحزب الثوري من كسب الجماهير الثورية الطامحة للتغيير ويجب ان يكون هناك ايضا نظام داخلي واضح ومحدد يتضمن اساسا واجبات ومسؤوليات وحقوق الاعضاء من القمة الى القاعدة اضافة الى ذلك لا بد من وجود مدرسة فكرية سياسية لتخريج الكوادر الماركسية ليست ظرفية او آنية بل دائمة الانعقاد وعلى مدار السنة .

العلاقة بين الحركة الثورية والموروث الديني في مجتمعنا علاقة اشكالية دائمة لذلك يجب التعامل مع مسألة الدين بدقة بالغة .

نقد الدين والاسلام السياسي ليس الهدف الاول والمباشر للحزب الثوري بل هو نتاج عرضي للصراع الطبقي . ان الهدف الاساسي هو نقد التفاوت الطبقي في المجتمع الذي يرسخ الاوهام والعبودية الدينية في عقول ونفوس الجماهير وبضمنها الاوهام الدينية . فالطبيعة البشرية تجنح دوما نحو اهداف ما ورائية وذلك للتخفيف من اعباء الحياة وخلق نوع من تطمين الذات في تحقيق هدف الخلود بعد الموت وهو ما تعد به العقائد الدينية . لذلك يظل الانسان رغم كل الحقائق والمعطيات التي جاءت بها العلوم التجريبية وعلوم

الفيزياء والفضاء وعلوم الطبيعة يظل متمسكا بتلك الافكار والعقائد التي توفر له التطمين السيكولوجي حتى لو كذبها او تناقض معها العلم. ففضية الدين لا يمكن انتزاعها من بواطن الذات الانسانية المنجرحه والتي تراثها في اللاوعي الجمعي من جيل الى جيل الا بشكل جزئي ومحدود وطبقا للخصائص العقلية والشعورية للبعض من الناس .

**القناعة السياسية ليست وليدة نظرية شاحبة بل هي معرفة منهجية دقيقة باشكالات الواقع .** قضية النضال الثوري وتبني الخط السياسي لا تنجم عن قناعة مسبقة بخط سياسي معين فقط (القناعة تظل مشروعة عندك او عندي حتى تثبت عدم جدواها ) القضية اذن هي في نقد الواقع الموضوعي الذي نعيشه بسلاح النظرية النقدية الماركسية في اصولها وحيثياتها وتحيينها وفقا للظروف الراهنة وحركة المجتمع وتناقضاته الطبقيه وصراعاته . النقد يولد الرؤية السياسية الواضحة والبرنامج والتنظيم . واعتقد ان كتابات رفاقنا المختلفة في صحيفة الحزب " الى الامام " وفي مواقع الانترنت والتواصل الاجتماعي تسعى لترسيخ ذلك النقد الجذري للأوضاع القائمة قدر ما هو متاح وممكن .

## ديكتاتورية القادة والمركزية الديمقراطية

في الحالات التي تتفشى ظاهرة الديكتاتورية والانحراف اليميني في الاحزاب الشيوعية فان سببها الرئيسي هو سلبية الجماهير والقاعدة الحزبية خاصة . (( حاولت بعض الاحزاب الشيوعية ومنها حزبنا تقلص فترة بقاء السكرتير باجراء انتخابه ضمن فترات قصيرة وفي تجربة الحزب الشيوعي العمالي العراقي ينتخب السكرتير في كل اجتماع موسع للجنة المركزية أي كل فترة 8 الى 12 شهرا لاتاحة الفرصة لانتخاب سكرتير جديد في كل مرة لكن التقليد السائد غالبا هو يعاد انتخاب نفس الرفيق وذلك اما بسبب عدم وجود بديل او بسبب عدم رغبة رفيق اخر تحمل مسؤولية القيادة وهذه الممارسة الديمقراطية الهدف منها تجنب احتكار المسؤولية او البقاء فيها لمدة طويلة من قبل رفيق بعينه ولتجنب ما يوصف عادة ب " الديكتاتورية " او سلطة القائد . ))

ان شيوع ظاهرة تمجيد القادة في مجتمعاتنا الشرقية خاصة ظاهرة طبيعية ومألوفة اذا صح التعبير وهي تجد جذورها في ذلك الميل السيكولوجي التاريخي الموروث باللاوعي الذي يدفع الجماهير البسيطة لتمجيد القيادات يصل في بعض الاحيان الى حد ( عبادة الفرد ) . لكن هذه الظاهرة ليست عسوية على المعالجة في الاحزاب الثورية التي تطمح لإرساء ارقى العلاقات الانسانية والديمقراطية في صفوفها من القمة الى القاعدة .

القيادة اي قيادة هي نمط من التفكير والسلوك وفقا لثقافة الشخص الذي يقود وميوله النفسية وقناعاته وهي تختلف من شخص لآخر لذلك فان منصب السكرتير وشخصيته في الاحزاب الشيوعية واليسارية يختلف من شخص لآخر الا اذا كان هناك تقليد سياسي تربي عليه مجموعة من القادة خلال مرحلة تاريخية معينة واصبح هذا التقليد راسخا . ان كثير من الاحزاب تتحول من سياسة الى اخرى تبعا للتغير في قياداتها وعندما يموت الرمز او ( القائد ) غالبا ما تحدث الانشقاقات وينقسم الحزب الاصلي الى عدة احزاب نتيجة للطموحات الفردية للقيادات واختلاف وتباين افكارهم او بتأثير الضغوط السياسية للطبقة البرجوازية او البرجوازية الصغيرة داخل الحزب العمالي الذي تتشكل قياداته في معظم الاحيان من مثقفين برجوازيين وتجارب الحركة الشيوعية العمالية بعد منصور حكمت شاهد على ذلك .

ليست الديكتاتورية قضية حتمية في الاحزاب الشيوعية كما تروج الايديولوجيا البرجوازية المعادية ومثقفوها لكنها تحدث احيانا بدفع مزدوج من ضغط الظروف الموضوعية في مرحلة تاريخية معينة وسلبية الجماهير ، فمثلا الستالينية كانت وليدة ظروف تاريخية هي ظروف روسيا المتخلفة قياسا الى الغرب واحتدام الصراع الداخلي داخل الحزب البلشفي والمجتمع والضغط الخارجي وتدخّل الدول الرأسمالية ومؤامراتها وفي مواجهة تحدي اللحاق والتفوق على الغرب المتطور صناعيا بكل ما رافق عملية التصنيع في عهد ستالين من

## موضوعات حول الحزب وقضايا الاممية والقيادة والتنظيم

اهوال وممارسات اكره وضغط وقمع .  
ان الديمقراطية الداخلية وحرية تداول الاراء المختلفة داخل الحزب الثوري الى حد الاختلاف واحدة من اهم الشروط الضرورية لمنع تفشي ظاهرة البيروقراطية والديكتاتورية اضافة الى وجود قاعدة وكوادر مثقفة نظريا وسياسيا من شأنها ان تشكل سدا مانعا ضد المحافظة والاصلاحية والجمود العقائدي والترهل السياسي .

نحن في مجتمع عشائري ديني متخلف لا بد من المركزية الديمقراطية ، دائما ما نطرح اثناء نقاشاتنا الكثيرة ان العراق بوضعه الاجتماعي والسياسي الحالي المتردي والمترهل يحتاج الى ديكتاتورية البروليتاريا، بمعنى وجود حزب شيوعي يقود سلطة عمالية قوية مع هامش معين للحريات السياسية والمدنية والفردية ، هامش لعدد معين من الاحزاب السياسية التقدمية والعلمانية التي لا تعارض النظام الاشتراكي.  
يجب ان يكون الحزب الثوري صورة المستقبل الاشتراكي وبالتالي يجب ان لا يكون هناك فرق من الناحية الرفاقية والانسانية بين رفيق واخر او بين مجموعة معينة وبقية الرفاق في القيادة . فالكل سواسية من الناحية الانسانية والاخوية لذلك فالانضباط الثوري هو امر ذاتي وطوعي تملبه المسؤولية المشتركة للمكانة الحزبية كلها وخضوع القاعدة للقيادة هو امر طوعي ايضا ناجم عن القناعة المشتركة بخط الحزب واهدافه وبرامجه ونظامه الداخلي .

ان ضعف القاعدة الحزبية من الناحيتين الفكرية والسياسية يسبب احيانا وجود ما يشبه المعلمين والتلاميذ داخل الحزب لذلك كما يقول غرامشي ( الحزب هو مثقف جماعي ) عندما تزول الحدود الى درجة كبيرة بين القيادة والقاعدة نظريا وسياسيا تتحقق المساواة الاشتراكية داخل التنظيم الثوري ..

والى حد ما ووفقا لتباين القدرات والوضع الاجتماعي للفرد لا يمكن ان تتحقق المساواة النظرية والسياسية **بشكل مطلق** داخل أي حزب سياسي بين القيادة والقاعدة وذلك لوجود فروقات فردية ذهنية وعقلية بين شخص واخر في الفهم والادراك والاستيعاب ، لكن بالتنقيب المستمر النظري والسياسي وبالممارسة العملية ستضيق حدود الاختلاف بين المناضلين داخل التنظيم الثوري الى درجة كبيرة .

فيما يتعلق ، بالحزب الشيوعي العمالي لا يوجد في الحقيقة أي طابع مركزي شديد ابدا والدليل انك لو كنت في حزب اخر من الاحزاب اليسارية التقليدية لايمكن ان تجلس الى جانب السكرتير او تقدمه في ندوة او محاضرة . ولو كنت عضوا بالحزب الشيوعي العراقي يمكن لك مثلا ان تاخذ صورة مع السكرتير في افضل الاحوال عند حضورك اجتماعا عاما او مؤتمرا حزبيا .

النواقص الموجودة في حزبنا منها اننا حزب ينقصه الكثير من الكوادر وضرورة توسيع القاعدة العمالية وال جماهيرية . وليست النواقص دوما ناتجة عن قصور في الممارسة السياسية للحزب في مرحلة معينة بل ان ضغط الظروف الموضوعية واتجاه أنظار الجماهير الى الجانب الاخر وتأثير الافكار والمعتقدات السائدة الدينية والقومية وغيرها يلعب دورا كبيرا في اعاقه نمو الحزب الثوري في اوساط العمال والجماهير .

ان احدي ابرز علائم الشفافية والمساواة الاشتراكية تبرز من خلال امكانية أي عضو الوصول الى القيادة في الحزب الشيوعي العمالي فهي ليس امرا صعبا كما في باقي الاحزاب بدون الدخول الى تفاصيل كيفية ذلك الوصول . اقصد من هذا ان الكادر المتحزب والمتقف بطريقة مفتوح للقيادة بلا عوائق او صعوبات بعيدا عن أية علاقات او ممارسات بيروقراطية او استعلائية .

من سلبياتنا ونواقصنا ايضا في الحزب ان قادة ومنظرين مهمين بعيدين عن الحضور الواقعي في الميدان وبعيدين عن مركز القرار .. ولو كانوا في الميدان لحدث نوع من التوازن ووضوح الرؤية السياسية بشكل

افضل وربما تكون ردود الافعال تجاه التطورات السياسية والاحداث بشكل افضل وحتى الخط السياسي سيكون مختلفا .

اقول لكل الرفاق في قواعد الحزب بثقة علينا التمسك بالحزب الشيوعي العمالي وتطويره وتقوية صفوفه ومدّه بعناصر جديدة شبابية فالاحزاب الثورية تقاس بنسبة وجود الشباب في تنظيماتها وقيادتها . اذ لا يوجد بديل رديكالي وثورى يوازيه في العراق اليوم معظم الاحزاب اليسارية الموجودة نمطية ولديها تصورات قومية وبرجوازية غير طبقية والبعض اسير للماضي ولانماط معينة من التفكير ولا يستطيع تجديد خطابه السياسي . وفقا للمتغيرات الحاصلة محليا واقليميا وعالميا .





توما حميد

كادر الحزب

## الإسلاموفوبيا مصطلح مظل وخطير!

لقد أصبح مصطلح الإسلاموفوبيا واحدا من أكثر المصطلحات استعمالا في الغرب في العقدين الاخيرين. ان التعريف الأكثر شيوعا للإسلاموفوبيا هو الخوف والكراهية والتحامل على الإسلام أو المسلمين. وانا شخصيا، أجد ان هذا التعريف هو التعريف الصحيح لهذا المصطلح، لان الذين يستخدمون هذا المصطلح يستخدموه في هذا السياق، اي على أساس كونه عدا وكرهية وتحيز غير مبرر وخوف شديد ومرضي من الإسلام و"المسلمين". بدا مصطلح الإسلاموفوبيا يستخدم في الثمانينيات من القرن الماضي، وازداد استعماله في نهاية التسعينيات، مع اشتداد سعي الغرب المنتصر في الحرب الباردة، للدفع بسياسات ومفاهيم رجعية مستندة على الهوية والتعددية الثقافية وصراع الحضارات، في محاولة لأضعاف الصراع الطبقي والسياسات والمفاهيم التقدمية في المجتمع. وكان لأحداث 11/9 دور كبير في ترسيخ هذا المصطلح، الذي هو مصطلح غربي بامتياز.

يستخدم مصطلح الإسلاموفوبيا، بكثافة من قبل اليسار الراديكالي المعادي للسياسات الخارجية للدول الغربية، ومن قبل قوى الإسلام السياسي في الغرب، وتيارات الوسط التي تمثل المؤسسة الرسمية الحاكمة. ان هذا المصطلح لا يعني الشئ ذاته بالنسبة للجهات الثلاثة المذكورة، ويستخدم لخدمة اهداف مختلفة. اذ يستخدمه اليسار الغربي، المثقل بالشعور بالذنب من الجرائم التي تقترفها الحكومات الغربية، خاصة في منطقة الشرق الأوسط، بشكل غير موفق، كجزء من سعيه للدفاع عن حقوق الانسان وحقوق الأقليات ومحاربة العنصرية ومساندة نضال الشرائح والجاليات المهمشة والوقوف بوجه السياسة الخارجية للدول الغربية. ينشد اليسار الغربي، من خلال هذا التعبير، البرهنة على انه متسامح ويقف الى جانب " الشعوب" المضطهدة ضد الامبريالية. في حين تستخدمه تيارات الوسط لكسب أصوات الجالية "المسلمة"، وتمير سياسة تعدد الثقافات، لحرف الأنظار عن الصراع الطبقي، لصالح صراع الهويات. ويستخدمه الإسلام السياسي كأداة فعالة في صراع رجعي على النفوذ في الغرب، وخاصة داخل الجاليات. تكمن خطورة هذا المصطلح والسياسات التي تغذيه في تحفيز الأحاسيس الرجعية وتقوية اليمين، بما فيهم اليمين الغربي المتطرف والإسلام السياسي، وحرف الأنظار عن الصراع الطبقي والأسباب الأساسية لازمات الرأسمالية والظواهر المختلفة الناجمة عنها، والسياسات الخارجية التي تتبناها الحكومات الغربية.

لا ينكر احدا، وجود أناس متعصبين ضد "المسلمين" ، الذين يكرهونهم لمجرد كونهم مسلمين، ومن يؤمن بان المسلم هو أدنى من الانسان الغربي، لأسباب جينية، وليس له القدرة على التعاطف مع الانسان عامة، وهو غريب الاطوار الخ. ولا ينكر أحدا، بان شرائح واسعة من الجاليات "المسلمة"، مثل بقية المهاجرين، مهمشة في الكثير من المجتمعات الغربية. بيد ان تعبير الاسلاموفوبيا والسياسات المرتبطة به، ليستا بصدد انتهاء التمييز والتهميش. ان الهدف من أي مصطلح، هو تعريف شئ او ظاهرة، وأداء وظيفة واضحة. ولكن مصطلح الاسلاموفوبيا ليس تعريفا دقيقا، ولا يخدم الوظيفة التي يفترض به ان يؤديها، وهي محاربة التمييز ضد "المسلمين".

## ضباية مصطلح الاسلاموفوبيا!

ثم الكثير من التشوش حول معنى الاسلاموفوبيا، الذي اخترع كحاكاة لتعبير الهوموفوبيا. كما انه يستخدم بشكل اعتباطي، وشمولي، بحيث لا يبقى له، في المطاف الأخير، أي معنى من الناحية العملية، عدا كونه أداة قمع وتضليل.

يخلط تعبير الاسلاموفوبيا، بين عدة أشياء بشكل مقصود، اذ يخلط بين العنصرية التي هي كره الآخرين على أساس العرق، وانتقاد ايديولوجية ومنظومة فكرية. حسب هذا المصطلح، ان نقد الإسلام، هو مساوي للعنصرية ضد شريحة من البشر، في حين ان الإسلام ليس عرق، بل هو عقيدة وايديولوجية. ان انتقاد ايديولوجية، لا يرتقي الى عنصرية. لا ينطبق هذا المنطق على أي ايديولوجية أخرى، بما فيها الديانات الأخرى، على الأقل في الغرب. ما من أحد يتهم بالعنصرية لانتقاده للماركسية مثلا، او انتقاده لديانة مثل المسيحية. ثم فرق بين انتقاد دين شخص وعقيدته، و انتقاد عرقه او لون بشرته. وحتى عندما يصل الامر الى الكراهية، ثم فرق بين كره عرق الانسان، الذي ليس بالإمكان اختياره وتغييره وبين كره دينية ومنظومته الفكرية التي يمكن تغييرها. يقول مصطلح الاسلاموفوبيا بان الإسلام، كدين وايديولوجية، لا يمكن انتقاده، ولا يمكن وضعه تحت طائلة السؤال، في حين لا يوجد أي دين او ايديولوجية أخرى تتمتع بهذا المكانة. اذ لا توجد في الغرب، ايديولوجية مستثناة من التفحص والانتقاد وحتى الاستهزاء. يجمع هذا المصطلح، في المطاف الأخير، بين شخص عنصري و شخص واعى ينتقد محتوى الايدولوجية الاسلامية بما يخدم مصلحة البشرية. من جهة أخرى ان انتقاد شخص او مجموعة، استنادا الى افكارها وفعالها، حتى إذا كانت مستندة على الدين، هي ليست نوع من العنصرية. ان انتقاد مسلم من أعضاء داعش على أفكاره واعماله مثلا، لايمثل كرهه بسبب لون بشرته.

كما يخلط مصطلح الاسلاموفوبيا بين عقيدة وايديولوجية، والانسان الذي يحمل تلك الايديولوجية. لذا يصبح النفور من الإسلام، وانتقاده بمثابة النفور من "المسلمين" وانتقادهم كيشر. لأيعني عدم حب فكرة وعدم القبول بها، رفض الانسان الذي يحمل تلك الفكرة والتعصب ضده. ليس انتقاد عقيدة بالضرورة تعبير عن حقد تجاه حاملها. تستحق كل الأفكار والايديولوجيات، بما فيها الأديان، النقد، وبعض الأفكار تستحق الازدراء. ان من حق الانسان، عدم قبول، وحتى ازدراء أفكار معينة، ولكن ليس من حقه ازدراء الانسان الذي يأمن بتلك الأفكار، والحط من كرامته تحت أي حجة. أي بمعنى اخر، من الواجب ان نحترم الانسان، ولكن ليس واجبا ان نحترم كل الثقافات والأفكار. ان الاديان بما فيهم الاسلام مليئة بالأفكار السيئة، ومن حق أي انسان ان يناضل من اجل إزالة نفوذها في المجتمع، ولكن هذا لا يعني، باي شكل من الأشكال، سوء معاملة المؤمنين، وممارسة العنف ضدهم. ان مسالة الخلط، بين احترام الانسان، وبين احترام الأفكار، تخدم الإسلام السياسي بشكل هائل.

ولا يفرق الاسلاموفوبيا، بين الرهاب الذي هو خوف غير مبرر او منطقي او مشروع، وخوف مبرر ومنطقي ومشروع. نقد أي ايديولوجية، بما فيها الإسلام والتعاليم والممارسات والثقافة الإسلامية، ليس رهاب.

## الإسلاموفوبيا مصطلح مزل وخطيرا!

عندما يقوم الارهابي الإسلامي باستخدام السيارات لقتل الأبرياء، لا يجوز اعتبار النقاش حول هذا الخطر، واي اجراء تقوم به حكومة ما، كوضع حواجز كونكريتية في أماكن معينة، تقلل من خطر هذه الظاهرة، اجراء بدافع خوف مرضي. كما ان تفادي الناس لمناطق معينة، لا يمكن وصفه برهاب. ان القلق الذي يساور الانسان، من الأفكار غير العقلانية والخطيرة، التي تؤدي الى القتل والتدمير والى الفرقة بين البشر، مثل الايمان بالشهادة وعبودية المرأة، هو ليس رهاب، بل خوف مشروع.

تخدم هذه الضبابية، كل الأطراف التي تستخدم هذا المصطلح، وخاصة الإسلام السياسي. ليست المسألة بالنسبة للإسلام السياسي، بشكل خاص، مسألة عدم وضوح. ان استخدام الاسلاموفوبيا بشكل اعتيادي، هي مسألة مدروسة. يقوم الإسلام السياسي، بوصف اي نقد للعقيدة الإسلامية، كنقد للإنسان المسلم، او الذي يعتقد بانه مسلم، والتهمج عليه، والتعصب تجاهه. يصر الإسلام السياسي، بان نقد الإسلام يجرح احساس المسلمين" ويجعلهم يشعرون بالإهانة.

## الاسلاموفوبيا مصطلح عنصري!

يوصف الاسلاموفوبيا، والسياسة التي تقف ورائه، مثل التعددية الثقافية، وصراع الحضارات، المجتمعات في الدول التي تسمى بالدول الإسلامية، بانها كتلة متجانسة ووحدة مترابطة، التي يعتبر الإسلام وقمع المرأة والصراع الطائفي وعدم التسامح والتعصب الديني جزء من ارثها، بل حتى جزء من طبيعتها البيولوجية. في حين، يعتبر الليبرالية وحب العلم والتقدم والانفتاح الخ، ارث طبيعي للغرب. وتعتبر أحزاب الإسلام السياسي، نتيجة منطقية لمنطقة الشرق الأوسط، في حين، تعتبر الأحزاب العلمانية والمؤمنة بالديمقراطية البرلمانية، نتيجة طبيعية للغرب.

يصف الاسلاموفوبيا، الملايين من البشر، كجمهور متعصب وبعيد عن الطبيعة الإنسانية، حيث لا تجرح احساسهم، مشاهد المذابح التي يرتكبها الإسلام السياسي والأنظمة الحاكمة، ولكن تجرح احساسهم ويشعرون بالإهانة، نتيجة أدني نقد للإسلام. يجرح، حسب هذه السياسة، أي نقد للإسلام مشاعر مليارات من البشر، في حين ان نقد الإسلام، يؤدي مشاعر ويجرح احساس الإسلام السياسي وقادته، او هكذا يدعون ويتظاهرون في وسط حملتهم من اجل النفوذ. فهناك الملايين من البشر في المجتمعات المبتلية بالإسلام، ليس لا تجرح مشاعرهم من خلال نقد الإسلام فحسب، بل يناضلون ضد كل الخرافات في المجتمع، وجزء اساسي من نضالهم اليومي، هو نضال ضد الإسلام. لذا، فان القمع والعنف والقتل الذي يمارسه الإسلام، هو بشكل أساسي ضد سكان الدول المبتلية بالإسلام.

لا ترى هذه النظرة، الجماهير في الشرق الأوسط، كبشر ترنوا الى، وتتاضل من اجل حقوق اقتصادية وسياسية واجتماعية. لايعترف الاسلاموفوبيا بالصراع والنضال الطبقي والتقدمي داخل المجتمعات "الإسلامية". ان الحديث عن نوع حكم اخر، عن العلمانية، وحقوق المرأة، وحقوق الانسان، والحقوق المدنية، والفردية، والحريات الخ، هو فرض اخلاقيات ومبادئ غريبة على تلك المجتمعات. من جهة أخرى، تنكر هذه الرؤية، بان ما موجود في الغرب تم تحقيقه من خلال نضال مرير، عبر قرون من الزمن. وثم عدم اكرات وقح، من قبل مجموعات غريبة يسارية، تجاه معاناة ضحايا الإسلام السياسي الأبرياء من المسلمين وغير المسلمين، وخاصة النساء والأطفال، مادام كان خطره بعيدا عنهم وعن مجتمعاتهم، بحجة معادته للإمبريالية.

الاسلاموفوبيا، يتسامح مع، بل يدعو الى فكرة، ان حقوق الانسان، لا تشمل الافراد من المجتمعات "الإسلامية". وكمحصلة نهائية، تحكم هذه السياسة على الانسان في هذه البلدان، بانه أدني من الانسان الغربي، ثم تدعو الى التعاطف معه، كما هو الحال في التعاطف مع الحيوان مثلا.

## الخوف من الإسلام مشروع ومبرر!

يوصف مصطلح الاسلاموفوبيا، أي نقد للإسلام والإسلام السياسي، بفوبيا، رهاب، أي خوف مفرط، غير عقلاني، غير منطقي وغير مبرر. فحسب هذا المنطق، نقد الإسلام، هو مرض نفسي. ولكن من الناحية النظرية، الخوف من الإسلام هو خوف منطقي ومشروع، لأن الإسلام ايدولوجية خطيرة. فالأفكار هي حافز ودعوة للأفعال، والكثير من الآيات، تدعو الى العنف والجهاد والشهادة لنصرة الإسلام، والى القتل و التمييز ضد اتباع الديانات الأخرى، وضد الملحدين والمثليين الخ. ان للكثير من الناس، خوف حقيقي وصادق من تعاليم الإسلام، التي تشجع على العنف، و سلب حق الاخرين في الحياة والعيش، وفرض طريقة حياة رجعية ومملة وبليدة، واحتقار كل ما هو تقدمي وحديث، واحتقار العلم والادب والفن بصورة عامة.

لا يريد الإسلام السياسي، ان يبقى الإسلام، مسألة شخصية حتى في الغرب، بل يدعو الى نشر وفرض أفكاره واخلاقه وتقاليدته على الجاليات وحتى المجتمع الأصلي، وطبع المجتمع بطابعه. ان محاولة الإسلام السياسي فرض الحجاب، خلق غيتوات رجعية، وتغير ثقافة المجتمع، وحتى فرض الشريعة الإسلامية، هي مسائل جدية يجب ان تخيف كل من لا يريد ان يعيش حياته حسب تعاليم الإسلام. لقد تمكن الإسلام السياسي، من تغيير مجتمعات في ظرف عقدين الى ثلاثة عقود، وفرض مفاهيم هامشية، وجعلها مسيطرة، ولهذا فان الخوف من حدوث هذا الامر في جاليات ومجتمعات أخرى، هو خوف حقيقي.

من الناحية العملية، لقد اثبتت كل الديانات، بان لها نزعة لارتكاب العنف. فيما يتعلق بالإسلام، لقد وجدنا مجازر واعمال إرهابية، تقوم بها قوى الإسلام السياسي ومجاميع وافراد تفسر افعالها من خلال تعاليم الإسلام. وجدنا بشكل عملي، بان الدعوة الى الشهادة، تؤدي الى العمليات الانتحارية. وجدنا مجاميع وافراد تمارس الجهاد، بالشكل الموصوف في القرآن. بالنسبة للأقليات في الدول المبتلية بالإسلام، مثل الايزيديين والمسيحيين، فان الخوف من داعش، هو ليس فوبيا، بل خوف مشروع وحقيقي. خوف المثليين من الإسلام، هو خوف حقيقي، بدليل ان عقوبة المثلية الجنسية في إيران وفي السعودية هي الإعدام، ويفسر كلا البلدين، هذا الحكم، من خلال تعاليم الإسلام. كما ان خوف الملحد او الشيوعي، في السعودية او إيران او أفغانستان والكثير من الدول الأخرى، هو خوف شرعي. حتى في الغرب نفسه، لقد حدثت لحد الان، عمليات إرهابية كافية، لزرع الخوف في افئدة الكثير من البشر.

## نتائج الاسلاموفوبيا!

رغم ان صعود اليمين سواء، اليمين الغربي، او الإسلام السياسي، له أسباب طبقية عميقة، الا ان الاسلاموفوبيا والسياسيات الرجعية التي تقف ورائه، تقدم تبرير سياسي، لصعود اليمين بما فيها الإسلام السياسي واليمين الغربي المتطرف، واشتداد الصراع الإرهابي بين الجانبين، وكل النتائج المترتبة عليه، من الهجمة على حقوق الجماهير، وتنامي الكره والعنصرية والإرهاب والقتل الجماعي. فالاسلاموفوبيا وسياسة الهوية، هما بخصوص ادامة الكراهية، والكرهية المقابلة.

مع اشتداد ازمة الرأسمالية، يدخل الصراع بين الاجنحة اليمينية، الذي تغذيه سياسة الهوية، التي يعتبر الاسلاموفوبيا جزءا أساسيا منها، طورا دمويا خطيرا. ان مجزرة نيوزيلندا، لن تكون اخر المجازر التي يرتكبها اليمين، على جانبي هذا الصراع. فمع تنامي التيار اليميني في الغرب، وتحوله الى حركات منظمة محلية وعالمية، وصعود سياسيين متطرفين، يساعدون على بلورة ايدولوجية أكثر وضوحا، قائمة على تفوق العرق الأبيض، وعلى تحميل المهاجرين مسؤولية كل المشاكل في المجتمع الغربي، سيصبح العنف وسيلة روتينية لهذا التيار، وخاصة عندما يكون بمواجهة تيار عنيف ومنظم، مثل الإسلام السياسي.

## الإسلاموفوبيا مصطلح مضل وخطير!

لقد أدى الإسلاموفوبيا، ضمن سياسة أوسع، الى قمع النقد، وتقويض حرية التعبير، والى شل البحث العلمي والأكاديمي، في ميادين معينة. ان عدم السماح بنقد الإسلام كفكرة، يعني خلق جو من عدم التسامح، واسكات الآخرين، تحت حجة التسامح وقبول الآخر. وبغض النظر عن نية أنصار مصطلح الإسلاموفوبيا، وسياسة التعددية الثقافية، وصراع الحضارات، ومدى تعاطفهم مع "المسلمين"، قتل النقد، يعني إطلاق يد الإسلام السياسي، كي يفتك بالجاليات "الإسلامية" في الغرب، وتقوية الإسلام السياسي في الدول التي تسمى بالدول الإسلامية، وإطلاق يده لقمع هذه المجتمعات. وقد حدث هذا بالفعل في الكثير من الحالات، فكانت الضحايا الأولى لتقوية الإسلام السياسي، والقبول به كمثل للمجتمعات التي تسمى بالإسلامية، هي سكان تلك المجتمعات، وخاصة الشرائح الضعيفة مثل الأطفال والنساء والأقليات. يقدم الإسلاموفوبيا، الإسلام السياسي، كضحية في الغرب، في وقت ان الإسلام السياسي هو الجراد في الدول التي تسمى بالدول الإسلامية، بل حتى داخل الجاليات من الدول "الإسلامية".

وأدى الإسلاموفوبيا، الى تقديس الهويات البدائية، والمصطنعة، على حساب قدسية الانسان كفرد، والدفاع عن "حقوق الجماعات"، على حساب حقوق الفرد، ويؤدي كل هذا، بالتالي، الى تآكل كل القيم التي ناضلت من أجلها البشرية لقرون مثل المساواة، الحرية، حرية التعبير الخ. كما ساهم في خلق غيتوات في الغرب ومنع اندماجها في المجتمعات الغربية. ولقد أضعف الإسلاموفوبيا، التيارات التقدمية في الجاليات "الإسلامية" والمجتمعات المبتلية بالإسلام، لأنه يضع النقد والمناضلين في صفوف الجاليات "الإسلامية" والمجتمعات الاصلية، الى جانب إرهابي وفاشي اليمين الغربي. وينظر، نتيجة هذه السياسة، الى الانسان التقدمي في المجتمعات والجاليات "الإسلامية" كاتسان غير مبدئي، وغير ملتزم، تخلى عن هويته ومصالح جماعته، من أجل القيم الغربية.

لهذا فان قيادات الجاليات التي يتم الاعتراف بها، هي المنظمات الرجعية والاشخاص المتزمتين، و الرجعيين وفي اغلب الأحيان، من المتدينين.

بسبب هذا المصطلح والسياسة التي تقف ورائه، تم تغير معاني كلمات ومفاهيم وظواهر معينة. فالنقاب الذي هو رمز اخضاع المرأة، أصبح رمز حرية المرأة. والمرأة التي ترتدي النقاب هي مناضلة من أجل الحرية وحرية الاختيار. تصبح، حسب الإسلاموفوبيا، المرأة التي تهرب من ظلم الإسلام، الذي لا يعتبرها انسان كامل في المقام الأول اسلاموفوبيك، إذا قامت بانتقاده. ويصبح نقد ختان الاناث اسلاموفوبيا. ويصبح عدم القبول بايدولوجية غير متسامحة ومواجهة التعصب الإسلامي ضد غير المسلمين نوع من التعصب. الإسلاموفوبيا يدافع عن حرية التدين كحق، ولكنه يقف ضد حرية الالحاد وعدم التدين، والتحرر من الدين، وحرية التعبير، والانتقاد والتي هي حقوق شرعية لكل انسان. ولذلك، يصبح نوع من فرض معتقدات دينية معينة على الآخرين.

أصبح الإسلاموفوبيا في الغرب، وسيلة لابتنزاز المخالفين، السيطرة عليهم، وجعلهم يشعرون بالخجل. واصبح وسيلة لإسكات وخنق وحتى قمع أي انتقاد للإسلام والإسلام السياسي. انه أداة لقمع حرية التعبير، وبشكل خاص حرية التعبير داخل الجاليات القادمة من الدول التي تسمى بالدول الإسلامية. يضع هذا المصطلح العواقب امام التحوار، بل يغلق الباب امام التحوار والنقاش، ويجعل النقاش غير فعالا. فبدلا من مناقشة الأفكار بالمنطق، يتم تصنيف النقد، كمرض نفسي، وكرهاب، وكعنصرية، وتعصب الخ. يوجد، في القرآن، عدد كبير من الآيات، التي تحقر المرأة وتعتبرها انسان من الدرجة الثانية، وحتى انسان دوني. يدعو القرآن والحديث، الى قتل من يهين الإسلام. اذ تشمل قوانين دول، مثل إيران والسعودية ومصر، حكم الإعدام لكل من يهين الاسلام، الله، والقران، ومحمد. يرفض الإسلام، بشكل واضح فكرة المساواة بين البشر، ويرفض العلم، ويدعو الى اضهاد الأقليات، والى التمييز بين البشر على أساس هويات مصطنعة، والى طقس مؤذية للإنسان، والى قتل المثليين الخ. يجب ان يكون النقاش حول هذه الأمور وانتقادها امرا

طبيعياً. لماذا لا يحق للإنسان ان يقول، لأريد ان أعيش تحت حكم الإسلام، وتعاليم الإسلام لا تتطابق مع مبادئ وقيمي واخلاقي ومع تطلعاتي للحياة، ولاتتطابق مع اخلاق الانسان المعاصر، ومع دساتير الكثير من الدول، والقانون المعاصر، او مع العلمانية، ومفهوم المواطنة المتساوية، والمساواة بين الجنسين؟ لماذا، يعتبر من يقول هذا الكلام اسلاموفوبيك؟ ولماذا لا يرد الإسلام السياسي على الادعاءات والنقد المناهض للإسلام من خلال المنطق والجدال والتحليل؟

يعتبر الدين منظومة فكرية. يجب ان نقيم تلك الأفكار، كما يحدث مع أي منظومة فكرية، من منطلق هل تخدم الانسان ام لا. في الحقيقة، يجب ان ينطبق، هذا الامر، بشكل خاص على الدين، لأنه يدعي الكثير، يدعي بان مبادئه وقيمه هي الارقى، و يدعي بانه دليل للحياة الجيدة ولضمان مستقبل أفضل. وتعتبر، هذه الادعاءات، بحد ذاتها، دعوة للإنسان لمناقشة وانتقاد تلك الأفكار. من جهة أخرى، يدعو الدين، اتباعه الى اعمال معينة، طريقة حياة معينة، التصرف بطريقة معينة، تصل حد الجهاد وقتل الاخر. فالإسلام، مثلاً، ليس مجموعة من الأفكار، التي تدعو الى التأمل واليوغا، التي يكون لك الخيار بنقدها او عدم نقدها. لذا، فمن الواجب انتقاد المنظومة الفكرية لكل الديانات. ولان الإسلام السياسي، الذي يستخدم الإسلام كأيدولوجية، يتدخل في ادق تفاصيل حياة الناس، يصبح انتقاده امراً ضرورياً وحيوياً. لهذا السبب فمن لا يقبل بنقد الإسلام، وكل المصطلحات والسياسات التي تمنع هذا النقد، هي خطر على البشرية.

يجب ان يكون لنا الحق ان نرفض تعاليم الإسلام، كما ترفض أي تعاليم غير إنسانيه وبغيضة، وخاصة إذا كانت ايدولوجية حركة سياسية منظمة، وتخلق الماسي في المجتمع. يجب انتقاد الأفكار التي تؤدي الى القتل والتدمير مثل الإسلام، ويجب ان يكون بإمكاننا انتقاد الشخص او الحركة السياسية التي تستخدم الإسلام كتبرير للقيام بأعمال بربرية.

يعتبر، من وجهة نظر الإسلام السياسي، الهدف من الاسلاموفوبيا، ليس تقليل الكراهية ضد المؤمنين بالإسلام والمحسوبين كمسلمين، او محاربة التمييز، لان هذا العدا والتمييز يخدمه، ويوظفه كمادة سياسية في صراعه مع الغرب. في الحقيقة، يعشق الإسلام السياسي هذا التعبير لأنه يستغله في صراعه على النفوذ. ان هدف الإسلام السياسي هو توظيف ألام ضحايا التعصب ضد "المسلمين" لأغراض سياسية. ويهدف الى حماية حركة سياسية منظمة واتباعها من أي نقد، وجعل منظومته الفكرية فوق النقد. ان قسم من اليسار الغربي، مستعد بشكل ساذج، للمشاركة في انجاز هذه الوظيفة.

يخفي الاسلاموفوبيا وصراع الحضارات، الأسباب التاريخية والاقتصادية، لصعود اليمين الغربي والإسلام السياسي!

كان هناك دائماً يمين سياسي متطرف في الغرب، ككل المجتمعات الأخرى، ولكنة كان هامشياً في العقود الأخيرة، وليس له تأثير يذكر على المجتمع. لقد سعد اليمين الغربي على شكل منظمات سياسية بشكل سريع جداً، بعد ازمة الرأسمالية في 2008. كما قلت في مكان اخر، لقد ادت الازمة الاقتصادية، الى كشف حقيقة، بان الرأسمالية لم تعد تخدم الجزء الأعظم من الجماهير في الغرب لذا باتت، مسألة تغيير الوضع الحالي، مسألة ملحة، بالنسبة للطبقة العاملة واغلبية الجماهير. ان الخيار الوحيد الموجود امام الجماهير لتغيير الوضع الحالي، في الأوضاع الحالية وتوازن القوى الموجود في المجتمع، هو الية الانتخابات. ان تيار يمين الوسط وتيار يسار الوسط، الذان حكما الغرب منذ الحرب العالمية الثانية، يمثلان المؤسسة الحاكمة والوضع الحالي. لذا تسعى الجماهير الى الابتعاد عن تيارات الوسط. لقد وجدنا، انهيار أحزاب الوسط وانهيار اصواتها في بلد غربي بعد اخر. ان الخيار، هو التصويت لصالح قوى مختلفة، قد تكون قوى أكثر يمنية ورجعية، او قوى تقدمية وراдикаلية واشتراكية حسب ظروف كل بلد. أي ان، التصويت لصالح قوى اشتراكية راديكالية، هو من بين الاحتمالات. تعلم البرجوازية جيداً خطورة هذا الوضع، التي تكمن في زيادة قوة الأحزاب الاشتراكية

## الإسلاموفوبيا مصطلح مزل وخطيرا!

والشيوعية والمنظمات العمالية الراديكالية، كما حدث في غضون الكساد الكبير الذي الم بالاقتصاد الرأسمالي في 1929، حيث وقع النظام الرأسمالي برمته تحت خطر الثورة الاشتراكية لحين، وانتهى الخطر، بإعادة توزيع الثروة في المجتمع، اذ وصلت اعلى نسبة للضرائب في أمريكا مثلا 93 سننا في كل دولار. فهناك اليوم، من يرشح نفسه لانتخابات 2020 في أمريكا، وبرنامجه يستند على الدخل الأساسي الشامل لكل المواطنين، وعلى الاشتراكية الديمقراطية، والتي كانت مسائل غير قابلة للتخيل حتى قبل سنوات قليلة. هناك العشرات من التقارير، التي صدرت من المؤسسات والمفكرين ومراكز الأبحاث البرجوازية، بما فيها صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، وحتى البنتاغون، والاستخبارات المركزية الامريكية، وغيرها تحذر من مخاطر الاضطرابات الاجتماعية وزعزعة النظام العالمي. وكانت هناك بوادر لقوى تقدمية وحركات احتجاجية مثل حركة اكيوباي وول ستريت، واحداث ما سميت بالربيع العربي، وحركات احتجاجية قوية في انحاء مختلفة من العالم.

دفعت البرجوازية، في مثل هذا الوضع، باليمين الى الواجهة، وهو ما حدث اثناء الكساد الكبير، أدى الى وصول النازية والفاشية الى الحكم في بلدان معينة، نتيجة لتوازن القوى والظروف الموضوعية لتلك البلدان. قام اليمين بعد ازمة 2008، كالعادة بتقديم حلول بسيطة، ولكنها واضحة للجماهير المستاءة من وضعها، وهي ان أسباب الوضع الحالي هي المهاجرين والأجانب والعمولة والتجارة الحرة ووجود عدو خارجي. يقوم اليمين بشكل ناجح بإيجاد كبش فداء، لتحمله سبب الازمة، والمهاجرين على مر التاريخ، استخدموا ككبش فداء، اذ هم من يسرقون الوظائف، ويقومون بالجرائم الخ، وهي ادعاءات اكدت الدراسات بانها لا تعدو أكثر من هراء. ويقوم اليمين، من جهة أخرى، مثل ما حدث اثناء الكساد الكبير، بالوقوف بوجه العمولة والعودة الى القومية، او ما تسمى هذه الايام بالقومية الاقتصادية، التي تستند على السياسات الحمائية. كما قام اليمين بالتبليغ "للرجل القوي" الذي سيقوم بإنهاء الفساد والجريمة وتخليص المجتمع من كل المشاكل. ومن التكتيكات الأخرى التي يتبناها اليمين، هو إيجاد عدو مشترك، وحشد الداخل ضد هذا العدو، الذي قد يكون دولة مثل الصين او روسيا، او ايدولوجية تشكل خطر على "مبادئ وقيم وثقافة وطريقة حياة الغربية". تهدف البرجوازية الى اخافة الجماهير، وجعل مسألة الأمان، مهما الأساسي. أي انها تحاول خفض توقعات الجماهير واشغالها عن المطالبة بالتغيير. يهدف اليمين، من خلال زرع الخوف، الى دفع المجتمع نحو اليمين. أي يلجا المجتمع الغربي لليمين، لمواجهة خطر الإسلام السياسي، وخطر الهجرة، وخطر الصين وروسيا الخ. فكل الهجوم على المهاجرين والهجرة والعمولة والتجارة "غير العادلة" والهستيريا ضد روسيا والصين واحداث مثل البريكست هي نتيجة تفسيرات اليمين للازمة، وكيفية مواجهتها، وهي إعادة تفعيل نفس الأدوات التي استخدمها اليمين في اخر مرة واجهت الرأسمالية ازمة عميقة، أي اثناء الكساد الكبير. ليس، في الحقيقة، لاي من هذه الأمور، أي ربط بالازمة الرأسمالية. كما ان تلك الطول، من الدعوة الى طرد المهاجرين الى العودة الى الحمائية الى البريكست ومواجهة خطر الصين وروسيا الخ، ليس لن تحل ازمة الرأسمالية، بل ستعمقها، وقد تؤدي الى نتائج كارثية وارجاع المجتمع الى الخلف. ان دفع اقصى اليمين الى الواجهة، يؤدي الى نتائج لا يمكن للبرجوازية نفسها التحكم بها، منها بروز حركات يمينية، لا يمكن التحكم بتصرفاتها، قد تقوم بعمليات قتل جماعية مثل ما حدث في مدينة كرايست تشيرتس في نيوزيلندا. تتغذى وتتعلم الحركات اليمينية، من بعضها البعض بسرعة. هناك احتمال كبير، ان يلعب اليمين الغربي، حسب نفس قواعد اللعبة التي وضعها الإسلام السياسي، أي الإرهاب الاعمى ضد الأبرياء. الإرهاب، قد لا يبقى احداث متفرقة فردية، بل ظاهرة ممنهجة. يجب، ان لا ننسى، بان في اخر مرة دفع اليمين الى الواجهة وصلت النازية والفاشية الى الحكم واندلعت حرب عالمية. ان قرع طبول الكراهية باستمرار، سيعزز من احتمال بروز من يقوم بالعنف، ومن احتمال حدوث كوارث ومجاز.

من جهة أخرى، ان احداث ما سميه بالربيع العربي، ومن اجل منع أي تغيير ثوري يهدد الأنظمة الرأسمالية في المنطقة ومصالح الطبقة البرجوازية العالمية ونتيجة متطلبات الصراع مع القطب الروسي- الصيني دفعت الغرب الى دعم الإسلام السياسي، وكان هذا الدعم سبب أساسي في بروز حركات يمينية متوحشة أهمها

داعش.

ودعم قبلها الغرب الإسلام السياسي، في سياق المواجهة مع الاتحاد السوفيتي والحركات التقدمية في المنطقة، والذي أدى إلى وصول الجمهورية الإسلامية إلى السلطة في إيران، وبروز الطالبان والقاعدة وعشرات القوى الإسلامية الأخرى. لقد كان هناك اتفاق مؤكد بين الغرب والسعودية والدول الخليجية الأخرى لدعم الإسلام السياسي في المنطقة، كمراس حربية في الصراع من أجل اسلمة المجتمع، وهزيمة التيار العلماني، والوقوف ضد أي حركة أو تغيير يهدد مصالح البرجوازية في المنطقة. ان تشبث الغرب بالسعودية وقطر هو جزء من هذا المسعى. فمثلا ان ما يمكن امارة مثل قطر، ان تصبح لاعبا أساسيا في المنطقة، تشارك في الحملة العسكرية على العراق والحملة على ليبيا وسوريا وتتدخل في شؤون معظم دول المنطقة هو دعم الغرب لها مقابل لعب دور في أي لعبة قذرة يلعبها الغرب مثل خفض أسعار النفط، للضغط على دول معينة أو المساعدة في تشكيل ميليشيات إرهابية في سوريا أو العراق الخ.

وكانت للسياسة الخارجية للحكومات الغربية، التي تنطلق من خدمة مصالح البرجوازية، دور كبير في بروز الإسلام السياسي. من أهم هذه السياسات، هو إبقاء القضية الفلسطينية غير محلولة، دعم الدكتاتوريات، والتدخل في شؤون الدول، والوقوف ضد الحركات والقوى التي لا تؤيد سياسيات الدول الغربية، وشن الحروب وعمليات القصف والحصار. يقدم الغرب وتدخله وعدوانه، كسبب لازمات هذه المجتمعات، و تقدم القوى الإرهابية للإسلام السياسي، كأداة للوقوف بوجه تطاولات الغرب. يخلق الإسلام والأيولوجية الإسلامية، قضية للإلاف الشباب المهمشين، الذين يعيشون دون أمل و حياة إنسانية كريمة في حواشي المجتمعات في الدول التي تسمى بالدول الإسلامية، أو في حواشي المجتمعات الغربية. فالقيم والحقوق الغربية، التي تتشدد بها البرجوازية الغربية، لا تشمل المجتمعات الأخرى، على الأقل عندما تتناقض مع مصالح الغرب في الخارج.

باختصار ان بروز اليمين، بما فيها الاسلام السياسي واليمين الغربي المتطرف، هو لأسباب طبقية ولخدمة مصالح البرجوازية العالمية، من خلال منع أي تحول ثوري في هذه المجتمعات. لقد لعب الإسلام السياسي بالذات، دور قذر في خدمة مصالح البرجوازية العالمية، سواءا من خلال قمع الحركات التقدمية والعلمانية، أو لعب دور العدو الخارجي للغرب، والان كمصدر إرهاب وتهديد لأمن الجماهير وكحافز لبروز اليمين الغربي. يدخل اليمين الغربي المتطرف، الان، الحلبة للعب نفس الدور في مواجهة الإسلام السياسي. ويخدم هذا الصراع، بين الإسلام السياسي واليمين الغربي، مصالح البرجوازية في وقت الازمة. فمن جهة يلف الأنظار عن الأسباب الطبقية مثلما قلنا، ويقدم العدو الخارجي كسبب لازمة على طرفي هذا الصراع. الاسلاموفوبيا، وسياسة الهوية، والتعددية الثقافية، تخفي هذه الأسباب الطبقية لصعود اليمين في الشرق والغرب والصراع الإرهابي الحالي. ويبرز هذا الصراع، كصراع افكار وحضارات وقيم وثقافات. لذا، يعتبر الاسلاموفوبيا، مصطلح رجعي وعنصري، وهو جزء من سياسة رجعية، يجب التصدي له بقوة من أجل التقدم بالصراع الطبقي. يعد الوضع، الان، ملائم جدا للقيام بذلك.





سمير عادل

سكرتير اللجنة المركزية

## الحركة النسوية في العراق، تحديات وافاق

ان الحركة النسوية بالرغم من خصائصها النضالية واهدافها المستقلة التي تتلخص بالمساواة مع الرجل على جميع الاصعدة الاقتصادية والسياسية والقانونية، لكن لا يمكن عزلها عن بقية الحركات التحررية والمطلبية العادلة في المجتمع. وعلى طول تاريخ الاحتجاجات في العراق من اجل توفير الخدمات والقضاء على البطالة وتثبيت عمال العقود وتحسين ظروف المعيشة في المصانع والمعامل وضد جولة التراخيص النفطية الا ان الحركة المطلبية للمرأة ظلت غائبة كليا عن تلك الاحتجاجات. وقد تطرقنا الى هذا الموضوع ولو بشكل مقتضب في مؤتمر الطاولة المستديرة الثانية التي عقدت يومي ٢٥ و ٢٦ من كانون الثاني لهذا العام، ويمكن القول كانت تلك الاحاديث المقتضبة في المؤتمر المذكور، شكلت مدخلا جديا كي نتناول الموضوع من جميع جوانبه ونقدمه بحثا لفتح الابواب لمناقشات معمقة حول معضلات الحركة النسوية في العراق وسبل النهوض بها من اجل تحقيق المساواة الكاملة بين المرأة والرجل.

\*\*\*\*\*

تسجل الحركة النسوية في العراق غيابا واضحا بالمعنى السياسي والاجتماعي وحتى الأكاديمي. فتعريف الحركة وبغض النظر عن التيارات والميول التي فيها، فيمكن تحديدها بوجود العديد من المنظمات النسوية التي تعبر باشكال مختلفة عن نضال المرأة من اجل المساواة الكاملة مع الرجل؛ النضال من اجل اقرار قانون احوال شخصية يضمن المساواة وينهي كل اشكال التمييز ضد المرأة في الزواج والطلاق والميراث وتنظيم الاسرة وحق الوصاية على الاطفال.. الخ، النضال من اجل انهاء كل اشكال العنف ضدها، النضال ضد التقاليد والاعراف والقوانين القبلية والدينية والمتخلفة. وبالتالي تتوج تلك النضالات الى المطالبة بفصل الدين عن الدولة والتربية والتعليم. اضافة الى ذلك وجود قيادة نسوية لتلك الحركة معروفة لهن صوتهن المدوي

والمسموع. صحيح هناك أسماء من النساء الناشطات والفعالات يعملن في مجال قضايا المرأة، ولكن عملهن لا يعبر حدود نشاط منظمات المجتمع المدني التي تمثلها أو تديرها، إذ سننظر في بعضها لاحقاً. كما لا ننكر أن لهن دوراً محدوداً في الإعلام حول القضايا التي تطرح حول المرأة مثل القانون الجعفري وتعدد الزوجات وقتل النساء، لكن لم تتجاوز لحظتها ولم تتحول إلى عمل تراكمي بحيث يؤدي إلى تنظيم أو يرتقي إلى مصاف حركة ذات أفق مستقلة وواضحة تطرح قضايا المرأة على الصعيد السياسي والاجتماعي، هذا إضافة إلى العديد من الأشكال النضالية التي يمكن أن تتمتع بها تلك الحركة كي تظهر ملامحها في المجتمع، وتعمل على تعبئة ليس القوى النسوية فقط بل تعمل على جر المنظمات العمالية والأحزاب والقوى السياسية التحررية إلى خندقها لبناء جبهة مترابطة من أجل انتزاع حقوقها كاملة.

\*\*\*\*\*

إن أفق الحركة النسوية على الصعيد التاريخي في العراق لم ينفصل عن أفق التيارات السياسية في الحركة القومية البرجوازية الصاعدة، هذا إذا فرضنا جدلاً بوجود حركة نسوية. إن تحرر المرأة بالمعنى والاطر التي حددتها البرجوازية أي خروج المرأة إلى سوق العمل وخلع الحجاب وحق التعليم وحق الانتخاب والترشيح ارتبط بحاجة البرجوازية إلى صناعة محلية وسوق اقتصادية تستوعب أعداداً كبيرة من اليد العاملة، ومن غير الممكن أن يكون انخراط الرجل بسوق العمل كافياً لتغطية حاجات البرجوازية الوطنية النامية. ولذلك وعلى الصعيد السياسي إن نضال البرجوازية الوطنية للتحرر وبناء سوقها الاقتصادية المستقلة، عبأت جميع القوى السياسية في المجتمع للتخلص من الاستعمار البريطاني. وعليه عندما يتفحص أي باحث تاريخ أوراق الحركة النسوية في العراق، يجد أن تسطير نضال المرأة وتطيره بالنضال ضد الاستعمار والتحرر الوطني (الحركة النسوية في العالم العربي، من الدفاع إلى الهجوم-٢٠٠٣-الحوار المتمدن-سمير عادل). في حين لا نجد أي مساعي للحركة النسوية بالمعنى المجازي في نضالها بإفاق مستقلة وتحمل شعار المساواة الكاملة بين المرأة والرجل. أي بعبارة أخرى لا يمكن أن ترى في أي مكان الفصل بين وجود حركة نسوية مستقلة وبين الحركة البرجوازية الصاعدة للتخلص من الاستعمار انظر(المرأة العراقية-سعاد خيربي).

وهكذا حتى تشريع قانون الأحوال الشخصية في عام ١٩٥٩ أي بعد انقلاب تموز الذي قاده العسكر، فيه تحسينات لصالح المرأة على صعيد الميراث والزواج، لم يكن بمعزل عن الأحزاب السياسية وتحديد دور الحزب الشيوعي العراقي، لكن بقيت تلك التحسينات في حدودها الضيقة ولم ترتق إلى المساواة الكاملة في جميع المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية. وبعد انقلاب شباط ١٩٦٣ الحقت الهزيمة الكاملة بالمكتسبات الجزئية للمرأة على الصعيد القانوني، حيث تحالف القوميون والاسلاميون في جبهة واحدة لسحق الصوت التحرري في العراق. ومنذ ذلك التاريخ الذي سنخرج عليه لم يسر أي قانون يرتقي إلى مصاف ذلك القانون ويغض النظر عن نواقصه وبالرغم من المد التحرري في عقد السبعينات من القرن الماضي الذي لم يسود العراق فحسب بل ساد العالم وبالرغم أيضاً من توقيع العراق في عام ١٩٧٩ على اتفاقية الأمم المتحدة التي تقضي إنهاء التمييز ضد المرأة.

## تراجع مكانة المرأة في العراق:

إن ذروة المكانة التي وصلت إليها المرأة في العراق هي عقد السبعينات من القرن العشرين. وهنا نعني بمقولة "المكانة" على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي وليس على صعيد الحقوق والمساواة في الحقل السياسي والقانوني. أي كي نُفَصَلَ أكثر، فأن آلاف من النساء انخرطن في سلك التعليم، وحتى على الصعيد الاجتماعي أصبحن يحرزن تقدماً على صعيد اختيار الشريك وتجاوز التقاليد العشائرية والقبلية والدينية، وعلى صعيد حرية اللبس بشكل نسبي والانخراط مع الرجال في سوق العمل، وباتت المرأة تحتل مراكز اجتماعية مهمة في الوظائف والمناصب الإدارية. بيد أنه على صعيد القانوني مثل الأحوال الشخصية، ضلّت المرأة أسيرة للقوانين الإسلامية، بسبب بقاء أساس الدولة والدستور وقانون الأحوال الشخصية هي الشريعة الإسلامية. وهنا نقطة لا بد من التنويه إليها وهي لم تطرح البرجوازية بجميع تلاوينها القومية والوطنية مطلباً أو شعاراً

## الحركة النسوية في العراق، تحديات وافاق

فصل الدين عن الدولة، لا في العقود الماضية من القرن المنصرم ولا حتى بعد عام ٢٠٠٣ بعد سقوط النظام البعثي وسن دستور جديد للبلاد. لان فصل الدين عن الدولة وتثنيته في الدستور من شأنه ان يلغي التمييز الجنسي ضد المرأة على الصعيد القانوني. ان الحركة النسوية التي لا يمكن الفصل بينها وبين نشاط وفعاليات واهداف وافاق الاحزاب البرجوازية كما اشرنا قبل قليل، لم تطرح هي الاخرى هذا المطلب او تدرجه في جدول اعمالها. اي بعبارة اخرى لا يمكن ايجاد حدود فاصلة بين الحركة النسوية وبين الاحزاب السياسية. صحيح كانت هناك رابطة المرأة العراقية التي اسسها الحزب الشيوعي العراقي منذ الخمسينات، لكن اوراقها التاريخية مطبوعة مع تاريخ الحزب الشيوعي العراقي في نضاله ضد الاستعمار.

ان بروز مكانة المرأة في العقد المذكور يأتي لعوامل سياسية واقتصادية الى جانب عوامل دولية وعالمية. ان واحدة من تلك العوامل، التحالف المبرم بين حزب البعث والحزب الشيوعي العراقي، والذي قاد لفترة محددة وقصيرة البرجوازية الوطنية على الصعيد السياسي والاقتصادي في العراق. ان ذلك التحالف الذي توج بتغييرات اقتصادية كبيرة احتاجتها البرجوازية بجميع اطيافها للمضي قدما في تنفيذ برامجها وتأهيل العراق للارتباط بالسوق الرأسمالي العالمية الذي اهتز ونقصد العراق الى عدة هزات سياسية عنيفة بفعل الانقلابات العسكرية وغياب افق الاستقرار السياسي. واتفق الطرفان على انها التشرذم السياسي للبرجوازية التي صاحبت تاريخها منذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة عام ١٩٢١. وكان من شان ذلك التحالف اسباغ المجتمع العراقي بأجواء تحررية بشكل نسبي على صعيد الثقافة والفكر ومحاربة التقاليد العشائرية والاعراف والخرافات الدينية. وعلى سبيل المثال، صدر قرار من قبل الحكومة حينذاك بعدم التعامل بالألقاب العشائرية والعائلية والغائبا من الكتب الرسمية والمخاطبات. وكانت كل محاولات البعث انذاك صبت في تسويق نفسه بالمجتمع، بأنه حزب تقدمي وتحرري على صعيد الثقافة والممارسة الاجتماعية لا يختلف عن الحزب الشيوعي العراقي الذي كان يستقطب المثقفين والكتّاب والادباء والشعراء والفنانين بمختلف مجالاتهم، كي يزيح الأخير من مكانه ويسحب البساط من تحت اقدامه.

وعلى الصعيد الاقتصادي، فان حركة تأمين النفط ضخت اموال كبيرة في الموازنة العراقية، وكان العراق بحاجة الى استحداث وتشبيد بنية تحتية كبيرة كي يستطيع تأهيل اسواقه الداخلية بالدرجة الاولى. وهذه كانت بحاجة الى بناء قاعدة علمية عريضة دشنت بمحو الامية وتشريع قانون التعليم الالزامي والمجاني وتوسيع الفرص للتعليم الجامعي وتعبيد الشوارع والجسور والطرق السريعة وارساء شبكة مياه الصرف الصحي وبناء ما يقارب ٢٠٠ من المصانع والمعامل الثقيلة مثل الحديد والصلب والادوية والبتروكيماويات وصناعة المركبات الثقيلة للحمل والصقالات وغيرها، وتحول العراق في نهاية عقد السبعينات الى واحدة من كبريات القواعد الصناعية في المنطقة. لقد ساعدت الاموال المستحصلة من عملية تأمين النفط بالتعجيل من مشاريع التنمية الاقتصادية التي شرعت بها البرجوازية في العراق، وهذا ما دفع الى استقطاب اعداد مليونية من اليد العاملة وفي مختلف المستويات لتلبية حاجات السوق الجديدة، ولعب هذا دورا اساسيا لجذب المرأة لسوق العمل. وسجلت النساء نسب مئوية كبيرة في الوظائف والاعمال التي احتاجتها السوق، فقد شغلت ٤٦٪ في حقل التعليم، ٤٦٪ في حقل طب الاسنان، ٢٩٪ في حقل الطب، ٧٠٪ في حقل الصيدلة، ١٥٪ عاملات، ١٦٪ يعملن موظفات في السلك الحكومي (النظرة الى الحركة النسوية في العراق- سعيد نشأت). وتعتبر هذه الارقام طفرة كبيرة مقارنة لوضع (المرأة الاقتصادي) أية مرحلة من المراحل التاريخية خلال القرن الماضي وحتى يومنا هذا.

اما العوامل الاخرى، فمرتبطة بالمد التحرري واليساري الذي كان يسود العالم في تلك الفترة، وكانت البرجوازية الوطنية الصاعدة التي شرعت بتأمين النفط وعلان الحرب الاقتصادية على الشركات الرأسمالية العالمية في مجال النفط، والدعوة الى التحرر الاقتصادي والانفراد بالسوق الرأسمالية ومقاومة تبعيتها للإمبريالية العالمية او عدم القبول بحصتها من الرأسمالية العالمية، لا بد لها ان تضيف الصبغة التقدمية على هندامها وشكلها كي ترص صفوف الجبهة المعادية للإمبريالية الى صفها وخذلها. واذا كان الحزب الشيوعي

العراقي ومن خلال تأسيس رابطة المرأة العراقية عبأ النساء في خمسينات القرن الماضي ضد الاستعمار والتحرر الاقتصادي واستقلال العراق، فأُن نظام البعث ومن خلال الاتحاد العام للنساء جند النساء وعبئهن ضد الامبريالية والصهيونية وباسم الامة العربية والتكامل العربي الاقتصادي. وكان لا بد ان يكسب النساء كي يستطيع من تعبئة جميع اقسام المجتمع حول أيديولوجيته القومية من اجل تحقيق مشروعه القومي على الصعيد السياسي والاقتصادي والاجتماعي. ولذا كان التوقيع على اتفاقية الامم المتحدة لانهاء التمييز الجنسي عام ١٩٧٩ بقدر ما كان جزء من تلك التعبئة والظهور بموقف تقدمي ومناصر للمرأة من اجل كسبها وسحب البساط من تحت اقدام الحزب الشيوعي العراقي، بنفس القدر لم يكن ذلك اكثر من شكليات تخدم الديماغوجية التي احدى مميزاتها السياسية ترسيخ صورتها التقدمية في اذهان الرأي العام العالمي. وخلال تلك الفترة، انفرد الجناح القومي للبرجوازية بقيادة حزب البعث بالسلطة السياسية، وذهب بتصفية كل المعارضين والمخالفين له للقضاء بشكل نهائي على التشرذم السياسي وبالتالي ليسد ضربة ضد الوجود السياسي للحزب الشيوعي العراقي بعد ان سدد له ضربة اجتماعية واقتصادية خلال اقل من عقد، عندما قام بتنفيذ مشاريعه الاقتصادية والاجتماعية التي توضحها شعاره "وطن حر وشعب سعيد"، فبات حزب البعث هو حامل ذلك اللواء وبشكل عملي من خلال ما سماه بمشاريعه التنموية الاقتصادية والنهوض الاجتماعي وتأميم النفط وعلان الحرب على الشركات الرأسمالية العالمية، وانهاء حقبة تاريخية مهمة من التذبذب وعدم الاستقرار السياسي التي سادت في صفوف البرجوازية امتدت بين عام ١٩٢١-١٩٧٩ اي ما يقارب اكثر من نصف قرن.

لم يطرأ اي تغيير جذري على الصعيد القانوني فيما يخص اوضاع المرأة، عدا انه اتاح القانون عام ١٩٧٩ صلاحية للقاضي بعدم التصديق على الزواج وبالضد من رغبة الاب اذا رأى الفتاة صغيرة او تحت السن القانونية. ولكن بموازاة ذلك، سن قانون اثار الكثير من الجدل في حينها وهو تعدد الزوجات، او يحق للرجل الزواج من امرأة ثانية اذا استحصل موافقة الزوجة الاولى. اما على صعيد الميراث فلم يحدث اي تغيير فظل يستند على الشريعة الاسلامية فيما حصة الذكر يساوي ثلثي حصة الانثى في الاسرة، ولم تسن قوانين خاصة فيما يخص مكافحة العنف المنزلي والتحرش الجنسي وجرائم الشرف. الخ. وليس هذا فحسب بل كانت هناك اصوات محافظة في حقبة السبعينات، تحاول وضع القيود على اختيار المرأة للبسها وعلى صعيد اعادة المرأة الى المنزل بذريعة تربية الاطفال، وكانت دوريات الشرطة التي كان يقودها محافظ بغداد خير الله طلفاح في بداية السبعينات، تضع الكمائن للنساء اللواتي يلبسن تنانير قصيرة، تعمل على اصباغ اقدامهن باللون الاسود او قص البنطلون من اسفل القدم اذا كانت المرأة مرتدية اي نوع من البنطال سواء كان جينز او من القماش العادي.

## الحرب العراقية - الايرانية وتداعياتها على مكانة المرأة:

مع انتصار الملالي في ايران وقمع الثورة عبر ثورة مضادة وبدعم ومساندة الغرب في خضم حربه الباردة مع الاتحاد السوفيتي وتحت عنوان محاربة الشيوعية الملحدة، بدأت سموم الرجعية تهب على المنطقة بما فيها العراق. وكما هو المعروف عن البرجوازية، فهي تحاول ان تكيف نفسها مع اي وضع سياسي وتضرب القيم والمبادئ والشعارات التي نادى بها لتعود الى اصلها الرجعي من اجل الحفاظ على سلطتها. فالبعث الذي عرف نفسه بالعلماني خلال مرحلة السبعينات، يتراجع خطوات الى الوراء وبشكل تدريجي ليكشف عن وجه المعادي لكل القيم التقدمية والتحررية في المجتمع ( العلمانية بين الطبقات وتياراتها السياسية-سمير عادل- الحوار المتمدن)، ويضغط من المد الرجعي القادم من ايران ومن اجل اعادة ترتيب اوراقه كي يعبئ الجبهة الداخلية فكريا وسياسيا، راح يقطع البرامج التلفزيونية اثناء اوقات الأذان، ويبدئ بياناته العسكرية بالآيات القرآنية، وشن حملات منظمة على الشباب في العديد من المناطق في بغداد الذين يرتدون الجينز والموديلات الغربية ويقصون شعرهم قصات غربية حيث وصل اوجه تلك الحملات في عهد وزير الداخلية سميير الشخيلي، لينتهي بعد ذلك بشن حملة ضد النساء عشية انتهاء الحرب العراقية-ايرانية في عام ١٩٨٧ عندما شرع قرار الفائض في دوائر الدولة الذي تزامن مع قرار يتم بمقتضاه تحويل العمال الى الموظفين وهو قرار

## الحركة النسوية في العراق، تحديات وافاق

١٥١ لمجلس قيادة الثورة، وهو القرار الذي استحوذ على كل مدخرات العمال من الضمان الاجتماعي وبالتالي يحرم العمال من حق التنظيم والاضراب والتظاهر في القطاع العام الذي يسري مفعوله الى حد هذا اليوم، اذ شمل النساء بالدرجة الاولى وتم تسريح المئات منهن، لفتح المجال لتعيين او توظيف الرجال القادمين من جبهات الحرب بعد تسريحهم. وسبق ذلك القرار حملة منظمة بدأها صدام حسين في لقاءات متلفزة، بأن المرأة يجب ان تقتخر بزوجها العسكري والموظف ويجب الجلوس في البيت لتربية الاطفال.. الخ. ومع دخول العراق الى الكويت وهزيمة النظام الحاكم في العراق في حرب الخليج الثانية وفرض الحصار الاقتصادي، بدأت مكانة المرأة بالتراجع القهقري وبوتيرة سريعة اكثر من ذي قبل، ففي عام ١٩٩١ شرع مجلس قيادة الثورة قرار ( ١١١ ) يجيز للرجل قتل امه او زوجته او اخته بمجرد الشك بها، واحياء القانون العشائري عام ١٩٩٤ الذي الغي عام ١٩٥٨، واعلن النظام في عام ١٩٩٦ حملته الايمانية، وتحول البعث العلماني الى البعث السلفي بامتياز، حيث تحول العديد من الكوادر الحزبية المتقدمة في حزب البعث الى دعاة اسلاميين، وبدا التحريض من اجل ارتداء الحجاب في الدوائر الحكومية وغلق جميع النوادي، واطلاق العنان للتيارات السلفية بالتحريض ضد النساء وشكلت فرق برمي المواد الحارقة (ماء النار) على النساء اللواتي لا يرتدن الحجاب وخاصة في المناطق الغربية.

ان عامل انتصار الملالي في ايران وتدايعات ثلاثة حروب دفعت مكانة المرأة في العراق عشرات العقود الى الوراء. لقد دفعت المرأة ثمنا باهظا واكثر من بقية الشرائح الاجتماعية الاخرى من مكانتها الاقتصادية والاجتماعية. فالازمة الاقتصادية التي مرت بالعراق منذ حرب الخليج الاولى وتلاها ثلاثة عقود حملت على كاهل المرأة، حيث اعيدت الى البيت واصبحت النساء في العراق يشكلن اعظم جيش من العاطلين اذ انغمسن في العمل المنزلي، بل هو جيش من عبيد العمل المنزلي. وعلى الصعيد الاجتماعي زاد انحطاط مكانتها، فعودة العلاقات العشائرية بقوة التي نفخت الروح بها واشاعة الاجواء الرجعية الدينية في المجتمع من خلال الخطب الدينية في الجوامع والمساجد التي شيدت على بطون الملايين من الجياح اثر الحصار الاقتصادي. وبعد احتلال العراق، اطلق العنان للمليشيات الاسلامية وشرعت عملها بفرض الحجاب على المجتمع بقوة السلاح، واصبح سلاح التخويف والتهديد والوعيد هو الاداة الجديدة في قمع المرأة وتأسيس عشرات الفضائيات والمواقع الالكترونية وشبكات التواصل الاجتماعي معادية لكل ما هو تحرري في المجتمع وبدأت مساعي حثيثة لاسلمة المجتمع. ولقد قتل مئات من النساء خلال الفترة المنصرمة وتحت عنوان غسل العار. وليس هذا فحسب بل وصلت ذروة الهجمة الوحشية على المرأة في سعي القوى الاسلامية بتشريع القانون الجعفري الذي يجيز اغتصاب الاطفال في عمر ٩ سنوات، وعلى الرغم من هزيمة تلك المساعي لكنها تبقى مؤقتة، والحرب مفتوحة بين طرف يقطر عفونة ورجعية يحاول في اكمال طوقه للمجتمع وتحويله الى احدى سجون القرون الوسطى، وبين طرف يريد تخليص المجتمع من براثن التخلف واعادته الى سكة المدنية والحضارة. ذلك الطرف الرجعي الذي هزم في معركة تشريع القانون الجعفري، انتصر في تشريع قانون تعدد الزوجات الذي سن من قبل البرلمان الذي تسيطر عليه القوى الاسلامية والقومية في العام الفائت.

## التحديات التي تواجه نضال المرأة:

لا شك ان اهم التحديات التي تواجه نضال المرأة من اجل المساواة التامة وانهاء كل اشكال التمييز ضدها على الصعيد القانوني والاقتصادي والسياسي والاجتماعي هو غياب حركة نسوية ثورية ذات افاق مستقلة في المجتمع. فلا يمكن انتصار نضال المرأة وتحقيق اهدافه دون وجود تلك الحركة. ان واحدا من نقاط قوة دفع نضال المرأة في اوربا وحتى في العالم الى الامام هي انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية في روسيا وبغض النظر عن المال التي الت اليها تلك الثورة. فالحركة العمالية وبالتالي التيار الاشتراكي استلهمتا دروسهما وافاقهما وبوصلتهما النضالية من مكتسبات ثورة اكتوبر التي حققت ولأول مرة في التاريخ المساواة الكاملة بين المرأة والرجل على الصعيد القانوني والسياسي والاقتصادي والاجتماعي. وكانت لمكتسبات تلك الثورة اثارها المباشرة على الحركة النسوية في الغرب ونضال المرأة بشكل عام. ولم يكن العراق بعيدا عن نسيم تلك الثورة ولا عن مكتسباتها التي اثرت بشكل كبير على مكانة المرأة في العراق ودورها الاجتماعي والسياسي

كما تحدثنا قبل قليل. اي ان غياب الحركة النسوية في العراق يعود الى ضعف التيار الاشتراكي سواء في صفوف الطبقة العاملة و في عموم المجتمع.

انه ضرب من الخيال ان يفكر المرء في ان تولد حركة نسوية ثورية مؤثرة في المجتمع تكون اهدافها المساواة التامة بين المرأة والرجل دون ان تحظى بدعم ومساندة التيار الاشتراكي. وان هذه المسألة هي موضوعية وخارجة عن الارادية والتمنيات. وعليه اذا كانت سيطرة افاق الاحزاب السياسية الانفة الذكر خلال الحقبة النضالية في القرن الماضي هي التي كانت سائدة على المجتمع، في الطرف الاخر كان التيار الاشتراكي هو الاخر ضعيفا بالأساس في صفوف الحركة العمالية التي كانت هي الاخرى تحت افاق التيار الاصلاحى والوطني التي اشرنا اليه. ان غياب الحركة النسوية في العراق وبغض النظر عن التيارات السائدة في صفوفها سواء كانت اصلاحية ليبرالية او اشتراكية او التي تعتبر اساس دونية المرأة بسبب الرجل والثقافة الذكورية، فقد فسحت المجال للقوى الاسلامية والقومية والعشائرية للانقضاض على كل المكتسبات التي حصلت عليها المرأة وفرضت تراجعاً كبيراً على مكانتها. ان نظام البعث القومي سدد ضربات قوية الى مكانة المرأة منذ الثمانينات وبعد ذلك التسعينات كما اشرنا اليه، لتكمل الحلقة بعد الاحتلال وغزو العراق منذ ٢٠٠٣ ومن ثم سيطرة الاحزاب الاسلامية الميليشياتية على السلطة. وهذا يقودنا الى التحدي الاخر الذي تواجهه الحركة النسوية وهو غياب الامن والامان الذي ساهم بشكل كبير في ابقاء النساء في البيوت وتحجيم حركتهن وتنقلهن. وما حدث عشية الانتخابات التشريعية الاخيرة في ربيع العام الماضي حيث استخدمت القوى الاسلامية سلاح التسقيط السياسي والاخلاقي وبالتالي الاجتماعي للنيل من منافسيهم، كشفت على ان المرأة هي المحور الرئيسي في تلك الحرب، لتبدأ بعد ذلك سلسلة اخرى من قتل عدد من النساء بين ناشطات سياسيات وبين نساء يعملن في مجالات مختلفة مثل الموديل والتجميل، يدل على ان القوى الاسلامية في السلطة وبسبب الصراع في صفوفها وعدم حسم السلطة الى اي طرف لم تستطع ان تحسم معها هوية الدولة وبالتالي اضعاف هويتها على المجتمع. ولذلك تحاول بين الفينة والاخرى تعزيز صورتها وقوانينها عبر التصفيات والاعتقالات وعمليات التسقيط الاخلاقي. وكانت تلك الاعتقالات واحدة من الرسائل العنيفة التي بعثتها الاحزاب الميليشياتية الى المجتمع وتعبير عن عدم تحمل الحضور السياسي للمرأة وخاصة في احتجاجات تموز في البصرة والتي توجت شدتها في ايلول وادت الى هروب محافظ البصرة ومجلسها والجيش والمليشيات الى خارج المدينة. اي ان اعادة المرأة الى البيت وكسر جسارتها هي سياسة ممنهجة للاحزاب والقوى الاسلامية، وهكذا فليس هناك حركة دون نشاطها وفعاليتها وقادتها.

المسألة الاخرى التي تعتبر من التحديات التي تقف حائلا امام نضال المرأة وبالتالي الانخراط في حركة منظمة لها اهداف وافاق واضحة، هو غياب التنظير الفكري والسياسي بكل اشكاله بما فيه الاشتراكي في المجتمع حول قضية المرأة ونضالها من اجل نيل حقوقها وفرض التراجع على القوى الاسلامية التي نجحت اخيراً في تمرير قانون تعدد الزوجات في البرلمان. ان فقر الادبيات السياسية حول قضية المرأة ونضالها من اجل المساواة هو ما يخيم على المناخ الفكري والسياسي في المجتمع، ودون ان تشكل اية وقفة جديّة عندها وتوجه سيات نقدها اليه. وهذا يوضح ان قضية المرأة ونضالها العادل لم تشكل او يشكل نقطة محورية ومشغلة رئيسية للمجتمع وتحريها من برائن التخلف والرجعية. صحيح ان الاوضاع السياسية التي تمر بالعراق هي اوضاع غير اعتيادية، وان المجتمع ما زال لم يستقر على وضع طبيعي، وان السلطة الاسلامية الفاسدة فرضت تراجع على توقعات الجماهير، واصبحت مشغلتها الرئيسية هي توفير الخدمات والكهرباء ونحن نعيش القرن الواحد والعشرين وفي بلد يختزن ثروة عظيمة، ولكن الصحيح ايضا ان التمييز الجنسي ضد المرأة وتراجع مكانتها الى ما قبل نصف القرن الماضي هي واحدة من المحاور الاصلية التي يجب ان تدخل في حسابات الحركة الثورية في المجتمع اذا كانت ساعية الى التغيير لصالح الانسانية في العراق.

اما التحدي الاخر فهو سعي الرأسمالية العالمية عبر مؤسساتها المدعومة من الحكومات الغربية والمنبثقة بإشكال مختلفة من الاتحاد الاوربي والامم المتحدة منها مثل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي لتمول المئات

## الحركة النسوية في العراق، تحديات وافاق

من منظمات تحت عناوين متنوعة مثل تمكين المرأة والمرأة القيادية ودعم الاسرة وغيرها لعبت دورا كبيرا في افساد الحركات التحررية في المجتمع او كسر نصالها النضالي وامتصاص اي زخم ثوري لها. ان فلسفة وجود ما يسمى بمنظمات المجتمع المدني هو تسكين انفجار تناقضات المجتمع الرأسمالي من الظلم الجنسي والعرقى والطبقي والقومي والطائفي، ومحاولة لجر انظار الفاعلين والنشطاء في الحركة النسوية والعمالية والحركات التحررية الاخرى واشغالهم عن النضال السياسي والاجتماعي. ان دعم هذه المنظمات هو رشوة غير مباشرة لشراء ذمم اولئك النشطاء والفعالين وحصرهم في بوتقة الورش واسداء النصائح.

في العراق وبعد الاحتلال مباشرة انتشرت منظمات المجتمع المدني بشكل سرطاني، واستطاعت تلك المؤسسات الداعمة من ترويض المنظمات النضالية وجرها للدوران في فلكها. من الجانب الاخر تحاول تلك المنظمات تكييف سياستها وبرامجها واجناداتها مع رغبات المؤسسات الداعمة كي تحصل على الدعم المالي. وهكذا اصبحت منظمات المجتمع المدني مصدر ارتزاق واثراء العديد من رؤسائها واصحابها. فليس سرا عندما نقول دخلت مقولة "الانجزة" اي اختصار NGOs وتعني المنظمات غير الحكومية في الادبيات الحديثة. اي تقليد اظافر المنظمات النضالية والثورية وترويضها وتحويلها الى منظمات خاملة وساكنة لا يتجاوز حدود عملها تنظيم الورش.

ولذلك عندما ننظر الى نضال المرأة في العراق وخاصة بعد الاحتلال، وخلال عقد ونصف، لا تجد نساء يعملن على قضايا المرأة خارج منظمات المجتمع المدني، التي تحولت جميع اعمالهن الى كيفية ادارة تلك المنظمات للحصول على دعم مالي من المؤسسات المانحة. وحين ترتفع اصواتها خلال حدث معين فانه لا يتجاوز في حدود اقصى الفعاليات اصدار بيان واحد او مؤتمر صحفي او وقفة محدودة وبعد ذلك ينتهي كل شيء. وبسبب عمليات التنافس للحصول على الدعم المالي بين هذه المنظمات، وهي غير معنية اصلا بقضية المرأة وتحررها بشكل عملي، فنجد غياب اي اطار تنظيمي موحد لهذه المنظمات او ناشطاتها وفعاليتها بحيث يضعن نصب اعينهن تأسيس جبهة او تحالف نسوي على الاقل من اجل نضال المرأة المستقل. لان اسس هذه المنظمات ليست نضالية بل وسيلة من وسائل الرزق والاثراء. وهذا ما تريده الرأسمالية العالمية على المدى البعيد والاستراتيجي بحيث لا تؤثر الحركات النضالية ذات المطالب العادلة على استقرار النظام السياسي او تقويض ارباحها من خلال الرفاه الاقتصادي والاجتماعي على حسابها، والذي يعني استقرار استثمار شركاتها وحركة رؤوس اموالها.

وخلال السنوات المنصرمة اسست احزاب السلطة الاسلامية والقومية مئات من منظمات المجتمع المدني، من جهة للحصول على الاموال التي تقدمها المؤسسات المانحة، ومن جهة اخرى لاستخدامها لشراء ولاءات الذين تقوم بتعيينهم او توظيفهم، اضافة الى تمرير سياساتهم الطائفية والدينية والقومية الى من يقدمون لهم مساعدات.

ان عملية الانجزة واحدة من العوامل التي وقفت حائلا دون تأسيس حركة نسوية معتبرة في المجتمع. وما زالت هذه العملية التي تمارس على قدم وساق لم تجابه بنقد سياسي لها ولأعمالها ونشاطاتها المؤثرة سلبا في المجتمع.

### الاستنتاجات العملية:

ان تحرر المجتمع مرهون بتحرر المرأة مثلما قال انجلز، وان المطالب العادلة للمرأة يجب ان تكون جزء من المطالب العادلة للمجتمع. لا يمكن اعادة المكانة للمرأة في المجتمع دون تحقيق المساواة وانهاء كل اشكال التمييز ضدها. وان تحقيق المساواة مرهون بتنظيم حركة واسعة في المجتمع تضم النساء والرجال الاحرار المؤمنين بالمساواة التامة. بيد ان هذه الحركة يجب تدشينها من قبل الشيوعيين والاشتراكيين، فالبرجوازية بجميع تياراتها السياسية نفذت ما في جعبتها من برامج اقتصادية وسياسية بإمكانها كتحصيل حاصل ان تخدم

قضية نضال المرأة مثلما كانت في حقبة بزوغ فجرها. فالعراق اليوم هو جزء من الاقتصاد الرأسمالي العالمي، وان الرأسمالية العالمية ومن اجل الحفاظ على ربحها او تعويض ما تخسره من المنافسة فيما بينها، تحاول ان تعوض ما تخسره في حلبة المنافسة التجارية والاقتصادية من انتزاع اكثر ما يمكن من فائض القيمة من دول مثل العراق الذي يعرفه منصور حكمت من الدول التابعة للإمبريالية العالمية. فسياسة الليبرالية الجديدة احدى محاورها تتصل الدولة من مسؤوليتها تجاه المجتمع في التربية والتعليم والصحة، كما تتصل الدولة من توفير فرص العمل، نقول سياسة الليبرالية الجديدة، تنفذها الحكومات المتعاقبة في العراق وبوتيرة سريعة منذ الغزو والاحتلال. ان تبعات وتداعيات تلك السياسة ستقع نتائجها بالدرجة الاولى على المرأة، حيث تنعدم امامها فرص العمل او تحصل على عمل وفق شروط الشركات من اجور منخفضة وظروف عمل شديدة والتسريح من العمل في حال كونها حامل او تتحول الى عبيد العمل المنزلي. بيد ان هذا ليس كل اللوحة، بل ستواجه المرأة وهي في المنزل او عاطلة عن العمل ضغوطات اخرى من العامل الاخ او الاب او الزوج الذي اما ان يجد امامه انعدام فرص العمل او يعمل بأجور متدنية وفي ظروف عمل قاسية ليمارس بالتالي السلطة الذكورية وتنفيس قهره عن طريق فرض القهر عليها كما يصفه كورش مدرسي في مقاله "قضية المرأة، قضية الطبقة العاملة". بلغة اخرى نقول ان التيارات البرجوازية الاصلاحية وغيرها ليس لديها اي كلمة تقولها حول نضال المرأة وحركتها نحو المساواة المطلقة في المجتمع.

وعليه ان قضية المرأة ونضالها العادل من اجل المساواة مرتبطة بنضال الاشتراكيين والشوعيين في المجتمع. وسيكون واحد من مهامهم الاصلية هو الشروع بتهيئة المستلزمات العملية لتأسيس الحركة من اجل المساواة بين المرأة والرجل، دون اي تأخير.

ان تلك الحركة بحاجة لكي تدشن عملها لابد لها من انتاج ادب سياسي حول نضال المرأة والحركة النسوية بما فيه ترجمة الادبيات السياسية التي انتجتها الحركة النسوية في العالم ونقل تجاربها الى العراق بما يخص قضية نضال المرأة. ان تهيئة المناخ الفكري والسياسي حول نضال المرأة والحركة النسوية مسألة ملحة ومن المهام الاصلية للاشتراكيين والشوعيين.

النقطة الاخرى التي يجب التركيز عليها وهي تسليح هذه الحركة بمطلب او شعار فصل الدين عن الدولة والتربية والتعليم. ان ابعاد الدين وتدخله في المجتمع، من شأنه تحقيق المساواة القانونية للمرأة، بحيث يكون مصدر تشريع قانون الاحوال الشخصية والاسس التربوية والتعليمية في المجتمع المساواة بين الجنسين وليس اية شريعة دينية، وان تحقيق هذا الشعار، سيمنع التمييز الجنسي ضد المرأة في المجتمع. ان تاريخ نضال المرأة في العراق هو تاريخ غياب هذا الشعار في سجلاته. ان تحشيد القوى حول هذا الشعار، والعمل على تحقيقه سيقدم نضال المرأة والحركة النسوية خطوات كبيرة الى الامام.

المسألة الاخرى التي يجب يولى الاهتمام لها، ان الاحتجاجات الجارية في المجتمع مثل احتجاجات العاطلين عن العمل وعمال العقود يكاد يكون وجود المرأة غائب بشكل كلي، ولم تشكل هذه الظاهرة اي قلق او التوقف عندها في صفوف فعال ونشطاء الاحتجاجات. طبعاً لا نذكر الاحتجاجات من اجل توفير الخدمات والقضاء على الفساد، اذ نؤمن ان اي تحسن في الظروف المعيشية والحياتية في المجتمع سيؤثر بشكل ايجابي على اوضاع المرأة، لانها اي الاحتجاجات هي الاخرى يشكل غياب المرأة امراً ملفتاً للنظر فيها. بيد ان احتجاجات العاطلين عن العمل وعمال العقود تمس حياة النساء الاقتصادية مباشرة، وان اي تحسن من شأنه ان يدفع نضال المرأة الى الامام بخطوات. ان القتل المنظم للنساء بعد احتجاجات ٧ ايلول في البصرة يكشف عن حقيقة وهي ان واحدة من اركان قوة الاسلام السياسي في المجتمع هي تغييب وجود المرأة في الاحتجاجات التي سبقتها دورة من العنف والقتل المنظم والحملة المسعورة ضد المرأة لعقود من الزمن مثلما ذكرنا، وعندما ظهرن بكل قوة في شوارع البصرة في تلك الايام من الاحتجاجات هربت فزعا جميع المليشيات واغلقت مقراتها وهرب المحافظ ومجلسه. تلك الحقيقة التي يجب يراها اي ساعي الى الحرية، اي شيوعي، اي داعية



## الحركة النسوية في العراق، تحديات وافاق

من اجل المساواة ويدركها لا يمكن ان تنتصر النضالات العادلة في المجتمع دون مشاركة المرأة واسهاماتها فيها. لذا ان الربط بين الاحتجاجات الجارية في المجتمع وبين دور المرأة من جهة وبين الاحتجاجات والحركة المساواتية من جهة اخرى، مسألة حيوية ومهمة ويجب العمل عليها بشكل متوازي والاخذ بها دون اي تأخير. واخيرا نقول ان نضال المرأة مرهون بمجمل نضال الطبقة العاملة في المجتمع، وان اية خطوة تتقدم فيها نضالات الطبقة العاملة الاقتصادية والسياسية، بنفس الدرجة يتقدم نضال المرأة، وعندما يتراجع نضال العامل، ويتحول الى الخندق الدفاعي، و فقط يتحول نضاله من اجل شروط عمل وظروف معيشية بالحد الأدنى للادمية، او يتحول العامل الى عاطل عن العمل وينظم الى جيش كبير من العاطلين عن العمل ودون اي ضمان بطالة، فأن نضال المرأة هي الاخرى يتراجع وتراجع مكانتها في المجتمع.

## ملف حول :

# الحملة الامريكية على ايران

امريكا وحكومة ترامب اليمينية المتغطرسة تفرع طبول الحرب بعد فرضها حصار اقتصادي جائر على ايران. الملف ادناه هو خاص بهذه الوضعية. ان الوقوف بوجه مساعي العسكرتاريا والحروب التي تسعى امريكا الى فرضها على عمال وكادحي ايران وبالتالي جر مجمل المنطقة الى اوضاع كارثية هو موقف كل انسان يلتسع قلبه لابناء جنسه ويسعى من اجل حياة افضل للجماهير في المنطقة. ان هذا الملف يبين موقف شيوعي العراق وايران من مساعي امريكا هذه وتداعياتها. يجب فرض التراجع على البربرية الامريكية المنفلتة هذه.



**بيان مشترك لثلاث احزاب شيوعية عمالية في ايران والعراق بصدد:**

## **صراع امريكا مع ايران،**

## **الاطار المحلية والاقليمية!**

دخل صراع امريكا مع ايران مرحلة جديدة. فاليوم ومع وضع اسم قوات الباسدار في قائمة "المنظمات الارهابية الاجنبية" وانتهاء مهلة الست اشهر لشراء ثمان دول للنفط من ايران وعدم تمديدها، دخل تنفيذ الحصار الاقتصادي على ايران مرحلة جديدة.

اذ اعلنت الهيئة الحاكمة الامريكية ان الحصار على نفط ايران سيكون شاملاً بحيث سيهبط تصدير النفط الايراني الى الصفر. وابلغت جميع الدول والمؤسسات والبنوك بانه "اذا تعاملتم مع قوات الباسدار الايرانية، يعني تكونوا قد ساعدتم راسمال الارهاب". وعلى هذا الاساس، سيتخذ، و من الثاني من ايار، الحصار الاقتصادي على ايران ابعادا اوسع واشمل.

ان حجة امريكا لاتخاذ هذه الخطوات هو وجود الجمهورية الاسلامية بوصفها عامل عدم استقرار وخطر على امان الشرق الاوسط، وينبغي عليها اصلاح سلوكها. وردا على حصار حكومة ترامب وتهديداتها، اعلنت الجمهورية الاسلامية "انها تعتبر الولايات المتحدة الامريكية دولة داعمة للارهاب وان القيادة المركزية لامريكا في منطقة غرب اسيا (المسماة بسنتكام) ومجمل القوى التابعة لها، ارهابية".

ومع تصاعد اعمال الحصار وتهديدات الحكومة الامريكية ورد فعل الجمهورية الاسلامية تجاهها، واستفزات اسرائيل والسعودية وسعيهما الى تصعيد هذه الصراعات، واتساع الدعايات والاجراء الحربية، والقيام بمناورات عسكرية للطرفين، دفع ليس جماهير ايران فحسب، بل مجمل المنطقة في اتون قلق وخوف عميقين.

## بيان مشترك لثلاث احزاب شيوعية عمالية ..

بغض النظر عن الماهية الرجعية للجمهورية الاسلامية، فان عملية امساك الخناق والحصار وتهديدات امريكا تحت اي حجة كانت هو عمل قسري ومتعجرف ومدان. ان حكومة ترامب، واتساقاً مع ممارسة الحكومات السابقة للولايات المتحدة، والمتمثلة بتأمين مصالحها في الصراع ما بين الاقطاب الامبريالية الاساسية ومناقسيها العالميين، وعبر صياغة "محور شر" وتحت مسميات الدفاع عن "امان" العالم، وظهورها على هيئة زعيم وشرطي العالم، انما هي عامل اساسي في شيوع انعدام الامن والحرب والاجواء الحربية، واتساع الخوف والعنجهية ولي الاذرع في مجمل الشرق الاوسط والعالم.

ان ادعاء الحكومة الامريكية حول "الدفاع عن امان" الشرق الاوسط و"التصدي للارهاب" والدفاع عن حقوق الانسان هو امر يبعث على السخرية لابعد الحدود. انها الدولة التي لم ترتكب ابشع اعمال القتل الجماعية والجرائم من هيروشيما وناكازاكي الى افغانستان، العراق، سوريا، ليبيا وعشرات البلدان الاخرى، من امريكا اللاتينية الى افريقيا فحسب، بل انها تمثل اكبر دولة اشاعت الارهاب الدولي، وهي منظمة لاشكال وانواع كثيرة من التيارات الاجرامية من اسلامية وقومية الى العصابات النظامية.

رغم ان ممثلي الهيئة الامريكية الحاكمة اعلنوا رسمياً ان لا تغيير النظام ولا شن الحرب على ايران هما على جدول اعمالهم، ولكن مع فرض الحصار والمقاطعة الاقتصادية الواسعة، شرعت رسماً وعلناً بشن حرب مدمرة ضد جماهير ايران، حرب القتل باعباء ثقيلة على كاهل الطبقة العاملة والجماهير المحرومة للمجتمع. ان الطبقة العاملة والجماهير المحرومة في ايران هما اول ضحايا هذه الحرب الاقتصادية.

سيوفر لحصار الاقتصادي افضل فرصة وامكانية لتملص الجمهورية الاسلامية من الرد على مطالب الرافاهية لعشرات الملايين من العمال والجماهير المحرومة والمحتجة في ايران تحت حجة الحصار. في الوقت ذاته، ان تصعيد امريكا للاجواء الحربية، اعطى حكومة ايران حجة وذريعة لتفتح الابواب على مصراعيها لدخول اعداد من العصابات الاثنية والطائفية الشيعية، شبه النظامية المسلحة الموالية لها في المنطقة الى ايران. وصولاً الى فتح الابواب امام الحشد الشعبي، حزب الله اللبناني، فاطميون، زينبيون، وعصابات الباسدار الى المناطق المنكوبة بالفيضانات وجنوب ايران بحجة "مساعدة" المنكوبين، انما تهدف بالاساس الى اخضاع الطبقة العاملة وفرض التراجع على نضالاتها ونضال الجماهير التحررية في ايران من اجل الاطاحة بالجمهورية الاسلامية، ولقمع الجماهير المحتجة.

لن يترك هذا الصراع اوزاره على ايران فحسب، بل سيشمل حياة وامان جماهير كل المنطقة، ومن ضمنها العراق كذلك. اذ تركت، وارتباطاً بهذه الصراعات وضغوطات امريكا على "الحكام" في العراق من اجل الدفع باوامر الهيئة الحاكمة في امريكا وتنفيذ حصارها، تاثيرها على اجواء المجتمع في العراق. وتحت تاثير تصاعد اجواء الحرب الاقتصادية، وتحت مختلف الرايات الرجعية، باسم السنة والشيعية، العرب والتركمان، تصاعدت اجواء العداء ما بين الطبقة العاملة والجماهير المحرومة في العراق، من اجل فرض التراجع على نضالاتهم من اجل الرفاه، الامان، والعدالة الاجتماعية.

لقد شهدنا، مع تصاعد الصراعات واملاءات حكومة ترامب وردود فعل الجمهورية الاسلامية تنامي الصراعات بين الجماعات العسكرية والجماعات المسلحة التابعة لكلا القطبين، في لبنان، سورية، اليمن، العراق وكردستان العراق. اذ بموازاة العنجهية الامريكية، سعت الجمهورية الاسلامية الى تحريك قوى حزب الله، الحشد الشعبي ومجمل القوى الحكومية المسلحة وشبه العسكرية الموالية لها في المنطقة. انها تحركات تهدد حياة جماهير هذه البلدان بمخاطر جدية.

ان حكومة امريكا والجمهورية الاسلامية وحلفائها الاقليميين والعالميين هم جميعاً اعداء لاي شكل من اشكال

## صراع امريكا مع ايران، الاخطار المحلية والاقليمية!

المساواة والعدالة في العالم. ان صفاءهم وعدائهم، حربهم ومفاوضاتهم وسلم هذه الحكومات وحلفائها في المنطقة تقف بالصد على النقيض من الطبقة العاملة والجماهير المحرومة في الشرق الاوسط.

تتخذ اليوم الطبقة العاملة في ايران وكافة الفئات المضطهدة والمستغلة، في خندق النساء والشباب التحرريين الذين يناضلون من اجل الرفاه، الحرية وتامين حقوقهم الانسانية الاولية، وهي تخطو خطوات مهمة للامام بوجه السلطة القائمة، وهي تقارع النظام في ايران بابعاد اجتماعية واسعة. ان انفلات امريكا وعنجهيتها، وتحت اي اسم وحجة كانت، لن يكون بالصد من القوى المحتجة والمعتزضة فحسب، بل تقف بالصد وبمواجهة الطبقة العاملة في المنطقة كلها، وهي تقدم اكبر دعم وعون للجمهورية الاسلامية والرجعية في المنطقة.

بدون شك، ان نداء الجماهير ومطالبها جنب الى جنب عشرات الملايين من العمال والجماهير التحررية في مجمل الشرق الاوسط هو الاحتجاج على اعمال القسر التي تقوم بها حكومة ترامب والسعي من اجل لجمها. بالاضافة الى هذا، انها مهمة الجماهير التحررية في المجتمعات الغربية والعالم ان تلجم تلاعب الهيئة الحاكمة في امريكا بمصير الملايين في الشرق الاوسط وتدخلها وعسكرة هذه المنطقة من العالم او تلك عبر الترسانة الامريكية الضخمة.

ان وجود الجمهورية الاسلامية في الشرق الاوسط، في العراق وكردستان العراق، ووجود العصابات المسلحة التابعة لايران تقف وبشكل مباشر بالصد من الطبقة العاملة والجماهير المحرومة في هذه البلدان. ان الجمهورية الاسلامية اليوم في العراق وفي قسم كبير من كردستان العراق هي احد اركان الحكم ومساهمة في فرض الفقر، الجوع، انعدام الامان والحرب هناك.

ان مطلب الطبقة العاملة والجماهير التحررية للمنطقة هو الخروج الفوري لقوى الجمهورية الاسلامية من سوريا، العراق، اليمن، لبنان، انتهاء تطاول الجماعات الاثنية والطائفية في المنطقة، وكذلك اخراج امريكا لقواها المسلحة المدججة بالامكانات البشرية والتسليحية الهائلة وانهاء تدخل كل الدول الرجعية من امريكا وروسيا وبريطانيا الى اسرائيل والسعودية وتركيا من حياة جماهير المنطقة.

لقد بلغ صدى الصوت التحرري العمالي في ايران الجميع. وتستهلم الطبقة العاملة في العراق والمنطقة دون شك من هذا التحرك، تأمل منه وتتطلع اليه، وجنباً الى جنب طبقتها الشقيقة، تسعى في صف واحد من اجل الحرية والمساواة وانهاء العبودية.

ان الاطاحة الثورية بالجمهورية الاسلامية في ايران بقيادة طبقة عاملة موحدة ومنظمة وحزب شيوعي لهذه الطبقة، سيكون دون شك تحولاً عميقاً لا على صعيد الشرق الاوسط، بل العالم كله. ان هذا التحول هو مبعث امل لبدء تحركات ثورية تضع حداً للارهاب والجرائم والعبودية والوحشية في العراق، كردستان العراق والشرق الاوسط. ان مجابهة الحرب والحصار والقسر امر ممكن عبر تقدم الطبقة العاملة وصياغة ثورتها الاشتراكية. بوسع الطبقة العاملة في ايران ان تكون مستهل هذا المسار لا في المنطقة فحسب، بل العالم.

ان اول تاثير لتحول من هذا القبيل هو دون شك تهميش الارهاب والتيارات المظلمة، الاثنية والطائفية في المنطقة، وبوسع هذا التحول ان يكون بداية لمرحلة من التحولات الثورية لانهاء عمر الرجعية الحاكمة والحكومات المستبدة والاجرامية في الشرق الاوسط على ايدي الطبقة العاملة والجماهير التحررية في المنطقة.

اننا، الاحزاب الشيوعية العمالية في العراق وايران، بوصفنا ممثلين وناطقين باسم القسم المنظم من الشيوعيين

## بيان مشترك لثلاث احزاب شيوعية عمالية ..

في كلا البلدين وفي عموم الشرق الاوسط، نفق جنباً الى جنب مساعي العمال وجميع التحررين من اجل ارساء هذه الامل.

ندعو كافة المنظمات، الشخصيات والمؤسسات، التيارات التحررية والداعية للمساواة، كل الشيوعيين، دعاة الطبقة العاملة والمحرومين في ايران والعراق وكل بلدان المنطقة والعالم ان تتدخل بكل ما اوتيت من قوة وبأي شكل كان ضد الحرب الاقتصادية المدمرة ومخاطرها، وان يكونوا جنباً الى جنب مع الطبقة العاملة والجماهير التحررية في ايران والعراق والمنطقة في مسيرة واحدة. ليس للطبقة العاملة في هذه البلدان وفي مجمل الشرق الاوسط سوى طبقتها والجماهير المتمدنة في عموم العالم.  
ان عالم خال من الحكومات الرجعية في ايران والعراق ومجمل بلدان هذه المنطقة، عالم خال من التيارات الاجرامية والعصابات المسلحة وغير المسلحة، بدون امثال ترامب يسودوا العالم سيكون عالماً أكثر انسانية، اقل مشقة، وأكثر تحرراً ومساواة!

الحزب الشيوعي العمالي الايراني-الحكمتي (الخط الرسمي)  
الحزب الشيوعي العمالي العراقي  
الحزب الشيوعي العمالي في كردستان العراق  
١ ايار ٢٠١٩

# لنقف صفا واحدا ضد التهديدات الحربية والحصار على عمال وكادحي ايران

تقوم الولايات المتحدة الامريكية بشكل تدريجي بتشديد العقوبات الاقتصادية على ايران وتنظيم حملة اعلامية ودبلوماسية لتبرير تحشدها العسكري وشحن الاجواء الحربية وفرض عسكريتها على منطقة الخليج بذريعة وجود تهديدات لمصالحها وامن قواعدها وسفاراتها في المنطقة من قبل الجمهورية الاسلامية في ايران وحليفاتها في المنطقة وتخفي هذه السياسة في طياتها احتدام الصراع والتنافس على الصعيد العالمي بين الولايات المتحدة الامريكية وبين القطب الصيني الروسي الذي يقف خلف النظام الايراني.

ان كل تبريرات وذرائع الولايات المتحدة الامريكية بشيطنة منافسيها هي واهية وسخيفة وتبغي من ورائها الحفاظ على عدم تآكل نفوذها السياسي والاقتصادي لصالح روسيا والصين. واذا ما كان غزو العراق واحتلاله من قبل امريكا هدفه فرض نظام عالمي جديد احادي القطب، فإن سياسة الولايات المتحدة الامريكية اليوم في المنطقة هي لصد انحدار مكانتها ونفوذها العالمي ولكي لا يولد على أنقاض مشاريعها السياسية الفاشلة عالم متعدد الاقطاب.

يا جماهير العراق .. انكم جربتم مرارة وقساوة الحصار الاقتصادي من قبل الولايات المتحدة الامريكية ومأساته، عشتم ايام حالكة في ظلامه، من حيث الجوع ونقص الادوية والتغذية، حيث قتل جراء ذلك الحصار اكثر من مليونين من اطفالكم، وقد دفع الحصار الاقتصادي الجائر ابنائكم للهجرة بحثا عن رغيف خبز من اجل البقاء يوما اخر على قيد الحياة عن طريق البحث عن العمل بشروط غير ادمية وانسانية في البلدان المجاورة، ورأيتم كيف ان مئات من الاسر ضحت بأطفالها، وتنامت معها عمليات الانتحار بسبب فقدان الامل بالحصول على فرصة عمل او الحصول على طعام يكفي

انكم جربتم الحروب وويلاتها، عشتم مرارة فقدان أعزاءكم، اختبرتم الحياة بالمهجر وفي المخابي والخرائب هذا لو حالكم الحظ ان تفلتوا من نيران الطائرات والاسلحة الفتاكة، شاهدتم كيف يموت الاطفال في احضانكم او يدفنون تحت الابنية التي تقصف بوابل من القنابل، وما زالت احلامكم مغمسة بكوابيس الحروب والاحتلال الاخير للعراق .

## لنقف صفا واحدا ضد التهديدات الحربية والحصار ..

ولو لا الحصار الاقتصادي والحروب والغزو واحتلال العراق، لما تسلطت الحرامية واللصوص من الجماعات الاسلامية والقومية على رقابكم، ولما تحول العراق الى مرتعا الى مليشيات الاسلام السياسي والمخابرات الدولية من كل حدب وصوب وعصابات مافيا المخدرات والاعضاء البشرية وتجارة الجسد. لقد انتزعوا بالحصار الاقتصادي والحروب والاحتلال الروح الثورية والارادة الثورية منكم، نزعوا روح المقاومة، واحلوا محلها الياس والاحباط.

اليوم تريد الولايات المتحدة الامريكية وعن طريق تسويق نفس الاكاذيب الفاضحة لاحتلال العراق، بفرض سياسة الحصار الاقتصادي على اقرانكم من العمال وكادحي ايران. انهم يريدون بإعادة نفس التجربة وتكرار نفس المأساة كي تسلب بالنتيجة الارادة الثورية لعمال وكادحي ايران.

ان السياسات الامريكية من الحصار والحروب لا تجلب غير المأساة وتعمل ابدا على تقوية اسس الانظمة القمعية، وتعتبر تلك السياسات بطاقة يانصيب للأنظمة الحاكمة مثل الجمهورية الاسلامية بفرض استبدالها وقمعها وافقارها على الاغلبية المطلقة لجماهير ايران.

ومن الجانب الاخر ان شحذ الاجواء الحربية من شأنها ان تعطي مبررات لحكومات المنطقة بفرض حالة الطوارئ ومصادرة الحريات تحت عنوان الحفاظ على الامن القومي والسيادة الخ من تلك الترهات. ان اشعال فتيل حرب يعني تفجير الاوضاع في المنطقة وخاصة العراق الذي تريد ايران وامريكا تصفية حساباتهما وتحويله الى ساحة للحرب بالوكالة.

يا جماهير العراق... ليس من مصلحتنا اشعال الحرب في المنطقة، ولا من مصلحتنا فرض الحصار الاقتصادي على عمال وكادحي ايران، بل يجب ان نقف صفا واحدا وتشكيل جبهة عريضة وتنظيم مختلف اشكال الاعتراضات والاحتجاجات ضد الحصار الاقتصادي على جماهير ايران وضد تشديد العسكرة في المنطقة.

لتسقط السياسات الامبريالية الامريكية  
عاش نضال الجماهير من حياة حرة كريمة وأمنة

**سمير عادل**

**سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العمالي العراقي**

**10 ايار 2019**



# عن الحصار الاقتصادي على إيران والحملة الاعلامية والسياسية من قبل الولايات المتحدة الأمريكية!

## مقابلة جريدة "الى الامام" مع سامان كريم عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي العمالي العراقي

الى الامام: يوم ٢ أيار، ستصل صادرات النفط الايرانية الى الصفر، كما اعلنت ادارة ترامب، والطبقة الحاكمة في الجمهورية الاسلامية، قالت لن يمر هذا، دون رد فعل، بما في ذلك إطلاق التهديدات لغلق مضيق هرمز، ماذا وراء هذا الحصار الاقتصادي على إيران والحملة الاعلامية والسياسية من قبل الولايات المتحدة الامريكية ضد إيران؟

سامان كريم:

في البداية، أود ان اقول ان تصدير النفط الايراني لن يصل لا اليوم ولا بعده الى الصفر. هذه سياسة ودعاية حربية، قبل ان تكون قرارا مدروسا، او قرار قابل للتطبيق في ظل الاوضاع العالمية الراهنة. وقف صادرات النفط الإيرانية، يعني اعلان الحرب على إيران، وإيران لم ولن تقف مكتوفة الايدي. قبل ذلك، وأهم من كل الحملة الإعلامية الضخمة، التي ترافق مثل هذه التهديدات، أي التهديد بتصفير صادرات النفط الايراني من قبل أمريكا، وما يرافقه من عنجهية عسكرية وتحشيد البوارج والتهديد بالحرب من قبل أمريكا، هي قضية الحصار الاقتصادي. ان هذه هي القضية الاهم في عالمنا المعاصر. الحصار، هذا السلاح الفتاك، الذي يقتل بدون قتال وبدون طائرات وبوارج حربية، ونحن في العراق، نعرف مدى تأثير هذه الاسلحة القذرة على اكثرية الجماهير في إيران، على العمال والكادحين والمحرومين، على الاطفال والنساء والشيوخ. ان سياسة الحصار، هي سياسية لتجويع وإفقار المجتمع الايراني برمته، ليتسنى لأمريكا واعوانها في البرجوازية الايرانية المعارضة، الهبوط بمستوى تطلعات الجماهير المحرومة والعاملة، من اجل فرض سيطرتها واجندتها السياسية كما تحلو لها مثلما حدث في العراق، وتقسيم المجتمع الإيراني، الى مكونات مصطنعة على أساس الهويات الطائفية والقومية بما فيها السنية والشيعية والاذرية والكردية والفارسية والعربية. الحصار ليس ضد الطبقة الحاكمة في إيران، بل ضد الطبقة العاملة بالتحديد.

تستهدف السياسة الامريكية تجاه إيران الصين وروسيا بالتحديد. تهدف أمريكا بشكل خاص الى قطع

## مقابلة جريدة "الى الامام" مع سامان كريم

المقومات والقوة الكامنة للاقتصاد الصيني الذي خرج من قممه. تحاول قطع الطريق امام هذه القوة الاقتصادية العملاقة التي تكشف عن نفسها من خلال العجز التجاري الامريكى مع الصين بمئات المليارات من الدولارات، واستحوادها على الانتاج العالمى فى القطاع الكيمايى والزراعى والأسمدة الزراعية وسكك الحديد وتصنيع القطارات والجوالات "موبايل" وقوة الشحن البحرى وتصنيع الطائرات المدنية من قبل الصين او لصالح الصين. ناهيك، عن القوة الاحتياطية التى بحوزة الصين من الدولار الامريكى التى تتجاوز ثلاثة ترليون دولار.... يضاف الى هذا، هناك خوف كبير من المشروع العالمى الضخم "حزام واحد، طريق واحد"، وهو المشروع الذى طرحه الرئيس الصينى الحالى شي جين بينغ فى سنة 2013. يشمل هذا المشروع تطوير وانشاء ممرات اقتصادية بما فيها خط سكك حديد يمر بإيران والعراق ثم تركيا الى أوروبا، إضافة الى ممرات وبنى تحتية بحرية وأنابيب نفط وغاز وخطوط طاقة كهربائية. سيقوم هذا المشروع الذى يغطي 65% من السكان العالم بربط 65 بلدا فى ثلاث قارات مختلفة، مع بعضهما البعض عبر شبكة واسعة من الطرق وجسور وموانئ ومطارات.

إذا وقعت إيران فى حالة الفوضى، سوف يقطع هذا الطريق، وبالتالي سيكون ذلك عائقا كبيرا امام الصين لاختيار بديل لإيران، وسيكون من الصعب ربط العراق وسوريا وبلدان الشام الأخرى بهذا المشروع.

ولهذا، فإن الهدف من وراء سياسة أمريكا هو الصين بالدرجة الأولى وضرب اقتصادها، الذى يمر عبر الجبال والوديان والبحار والسحاب من روسيا واسبيا الى أوروبا وأفريقيا.... يعتبر هذا أهم محور من المحاور الذى يشكلها التهديد الأمريكى تجاه إيران.... اما المحور الثانى، فهو محور أمنى وعسكرى تجاه روسيا. تحاول أمريكا تطوير روسيا، امنيا وعسكريا من خلال القوة العسكرية المباشرة او عبر هذه السياسة وخلق حالة من الفوضى المستمرة فى محيطها. هذه، هى قضية أمريكا ازاء إيران. تهدف سياستها الى ضرب كافة الأعداء بجحر واحد، عبر أضعف حلقاتهم وهى إيران.

ولكن مسألة شن الحرب على إيران واسقاط نظامها، برأينا، ليست مطروحة. كل ما نسمعه ونراه، من تحشيد القوى والبوارج الحربية والحملة الاعلامية الضخمة تصب فى خانة الدعاية الحربية والحرب النفسية، ومحاولة لفرض بعض الشروط على إيران. الهدف الذى تسعى السياسة الأمريكية الى تحقيقه بشكل فوري هو اجبار إيران على الجلوس على طاولة المفاوضات بشروط أمريكية، وبالتالي ترويضها لصالح سياستها فى المنطقة. أى ان الهدف هو فرض مفاوضات على إيران، وبالتالي الحصول على التنازلات سواء ما يخص الملف النووى، او الملف العراقى، او الملف السورى، أو ملف حزب الله، واخيرا ملف الصواريخ. ولكن إذا لم يتحقق هذا الأمر، تبتغى أمريكا الحصول على تراجع من إيران عن تدخلها فى الملف العراقى، الذى يشمل قضية القواعد الأمريكية، ورئاسة الوزراء، والطريق الذى يربط بين إيران وسورية واخيرا الغاء او على الاقل تقزيم و تحجيم الحشد الشعبى. اذا تيقنت أمريكا من عدم تنازل إيران من النقاط انفة الذكر، سيبقى العراق محورا مهما بينها وبين إيران، فبدون العراق تقطع صلة إيران بسورية على الاقل برىا، ويفقد الحشد الشعبى بعض من اهميته و بإمكانها ان تلعب بالورقة الكردية فى إيران او فى العراق عبر اقليم كردستان العراق. هذا ناهيك، عن التبادل التجارى، والزيارات، والسياحة الدينية والصفقات التجارية، وتحويل العملات الصعبة. سيبقى العراق محورا مهما، فى المرحلة الراهنة لكل من أمريكا وإيران. يتمتع العراق بأهمية اكبر بالنسبة لأمريكا حيث لديه حدودا مع تركيا ومع سورية و وقريب من روسيا ويمكن تسخين القضية الكردية حسب الحاجة.

ليس امام أمريكا ومؤسساتها السياسية العريقة والمنتخبة الحاضرة !!! سياسة مغايرة لتلك التى أعلنها ترامب. هذه هى السياسة الوحيدة فى جعبة الاستراتيجية الأمريكية. ولكن المهزلة هى ان هذه السياسة، تضع العربية امام الحصان، كما يفعل ترامب اليوم، وفعل غيره من رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية. ان سياسة التحدي والعناد والعنجهية والغطرسة العسكرية وفرض الحصار الاقتصادى الى هذه الدرجة من الطيش والرعونة،

## عن الحصار الاقتصادي على إيران ..

هي سياسة ترجع الى عهد سابق، العهد الذي فشلت فيه أمريكا ومؤسساتها العريقة في تحقيق اهدافها واستراتيجيتها، التي كانت تتلخص في اقامة نظام عالمي جديد بقيادتها، اي عالم ذو قطب واحد تقوده أمريكا. هذا العهد، اي المرحلة بين 1990-2006 وبين سقوط جدار برلين لغاية تدمير العراق وتقرير بيكر-هاملتون في سنة 2006، مرحلة " كل ما نقوله يمشي" وفق مبدأ بوش الاب، الرئيس الامريكى الأسبق، انتهى من غير رجعة.

تعتبر أمريكا اليوم، حيوان وحشي طائش وهائج وجريح ينزف، عليه، ومثل كل جريح، تحاول لملمة جروحها ومداواتها، لكن الجريح بجروح غائرة، أيا كان العلاج، لا يرجع الى حالته السابقة بالضبط. تتخذ أمريكا، في مرحلة سقوطها، باعتبارها القوة العالمية الوحيدة، قرارات، وكأنها تعيش في عالم ذو قطب واحد. هذه الحماسة السياسية من قبل أمريكا هي احدى أكبر الولايات والمصائب التي تواجه المجتمع البشري برمته. سقطت حلقات واوراق سياسة أمريكا واحدة تلو الأخرى، حتى العراق ليس عراقها، ناهيك عن سورية وتركيا ليست ركيزة من ركائزها، بل ان هذا ينطبق حتى على قطر التي فيها أكبر قاعدة اميركية في المنطقة. اذ فشلت السياسة الامريكية في سورية بتغيير نظامها "بالثورة الارهابية"، وفشلت سياسة أمريكا في مصر "بالثورة المخملية"، وفشلت سياسة أمريكا في ليبيا "بثورة الناتو وطائراته".

لم تكن هذه كلها ثورات، بل كانت حركات سياسية لصالح اقتصاد السوق، وايجاد بناء فوقي يتوافق مع هذا النوع من الاقتصاد الرأسمالي، حتى لو كان ذلك عبر حركات ومنظمات ارهابية كما نراه في سورية. تحاول تركيا شراء اسلحة روسية وهي عضو مهم في حلف "الناتو". بالنسبة لأمريكا، حتى علاقتها مع السعودية تراجت مقارنة بالمرحلة السابقة. يعتبر كل هذا انعكاس لبروز وحضور قوى عالمية او اقطاب عالمية اخرى. تشكل الصين وروسيا مع بعضهما، بالرغم من الخلافات بينهما، قوة عسكرية واقتصادية ضخمة بمواجهة أمريكا. هناك، ألمانيا في قلب أوروبا، التي تحاول النأي بالنفس عن سياسات أمريكا في أوروبا ومنطقة الشرق الاوسط. العالم يتغير. فقط أمريكا لم تتغير لحد الان، وخصوصا على الصعيد السياسي الخارجي وغطستها العسكرية التاريخية المقيتة. الذي يقف وراء سياسة أمريكا الراهنة ازاء إيران، هو هذا النوع من الرغبة الجامحة في البروز والظهور كقائد عالمي بلا منافس، دونكيشوت بلا منافس ولكن في غياب المقومات المادية، والبنية الاقتصادية والعسكرية والسياسية والايولوجية.

نعيش اليوم في الربع الاخير من المرحلة الانتقالية العالمية. المرحلة التي تشهد سيادة قطب واحد وتحكمه بالخريطة الجيوسياسية للعالم المعاصر. نحن في الربع الاخير، ولكن ربما سيطول عشر سنوات، وهو أخطر فترة من فترات المرحلة الانتقالية. المرحلة التي لم يتبلور فيها بعد النظام العالمي الجديد، وهو نظام متعدد الاقطاب. جنون أمريكا، ينبثق كرد فعل ازاء هذا التحول. لذا، نراها تهدد إيران وتحاول تفسير الصادرات النفطية، وتحاول تهديد كل العالم إذا تعامل مع إيران وشركاتها والحرس الثوري الإيراني، وهي تتناسى ان الصين وروسيا يقفان لها بالمرصاد في كل تحركاتها، حتى أوروبا العجوز، ليست معها كما كانت في العهد السابق. ناهيك، عن الدور والموقع القوي لإيران وأذرعها في منطقة الشرق الاوسط.

الى الامام: الولايات المتحدة الامريكية ارسلت اسطولها من حاملات الطائرات الى الخليج، بحجة حماية الملاحة البحرية تحسبا من اغلاق مضيق هرمز من قبل الحرس الثوري الإيراني، هل هذا يعني تهديدات جديدة بنشوب حرب كما في حرب الخليج الثانية اي بعد غزو العراق للكويت، ام هي عملية تدخل بهدف نوي الذراع لانتزاع الطرفين تنازلات من بعضهما البعض.

سامان كريم:

لن تتدخل حربا بين إيران وأمريكا. لن تتدخل حربا كبيرة في المنطقة على غرار الحرب على العراق. ولا يمكن ان يكون هناك تفسير للصادرات الإيرانية. أمريكا ليس لديها مقومات مادية، اقتصادية، وعسكرية وسياسية وحتى ايديولوجية، وليس لها اصدقاء كثر للقيام بهذه الحركات دونكيشوتية على الصعيد العالمي. حرب

## مقابلة جريدة "الى الامام" مع سامان كريغ

كهذه، نتائجها ليست محسومة، لا عسكريا و لا سياسيا و لا اقتصاديا، وربما تذهب فيها تربيونات اخرى بدون ضمان. المناطق اللوجستية في المنطقة لهذه الحرب قليلة جداً مقارنة بالحرب التي اعلنتها ضد العراق، تركيا والعراق ليس معها بالتأكيد، وباكستان في وضع لا تحسد عليه، ولديها علاقة جيدة مع النظام الايراني. الصين وروسيا تقفان في الصف المقابل، وليس بإمكانها كسب الأوروبيين وخصوصا المانيا وحتى فرنسا، ليس بإمكان اوربا ان تذهب معها الى هذه العملية البهلوانية.

ارسال اساطيل حربية وتحشيد قواها العسكرية، كما قلنا تصب في خانة الدعاية الحربية و التأثير السلبي على المواطن الإيراني، والايجابي على المعارضة البرجوازية القومية الكردية و القومية الايرانية و الفارسية، و الأذرية و الاهوازية وجماعات مختلفة من امثال مجاهدي خلق و امجاد شاه ايران...

تهدف أمريكا الى خلق حالة من الفوضى، عبر هذه الجماعات حسب كل مرحلة من مراحل تطور الصراع الحالي. نحن نعرف المشروع السياسي السعودي الأمريكي، لدفع جماعات قومية كردية لضرب قوات ايرانية في عمق كردستان إيران. وقد حصل هذا قبل عدة أشهر، حيث قاد الحزب الديمقراطي الكردستاني الإيراني عملية عسكرية في كردستان إيران، ورأينا انفجارات في الاهواز ايضا. تأتي كل هذه الأفعال كجزء من هذه الفقاعة، أي فقاعة نشر الذعر والخوف كحالة من حالات الدعاية الحربية و نشر رياح الغطرسه، لأنها ليس بإمكانها تطبيق غطرسها عمليا، كما فعلتها في العراق.

ان قضية غلق مضيق هرمز، ايضا لها جانب دعائي مؤثر لصالح ايران، وهي تتعامل مع هذه الحالة كتهديد بوجه امريكا و دول المنطقة المطلة على الخليج، خصوصا، وكما نعرف، ان العراق و الكويت و قطر و الامارات والبحرين ليس لديها اي طريق اخر لارسال النفط عبر البحر، سوى مضيق هرمز خصوصا ان هذا المضيق يعبر منه 40% من النفط المنقول بحراً على مستوى العالم. يضاف الى ذلك، ان 22% من السلع الأساسية في العالم (الحبوب و خام الحديد و الأسمنت) تمر عبر هذا المضيق، و إن المملكة العربية السعودية تصدر 88 % من إنتاجها النفطي عبره، بينما يصدر العراق 98 % من انتاجه النفطي عبره، و الإمارات بنسبة 99%. اذا، ان التهديد الايراني باغلاق المضيق سيضر بالاقتصاد العالمي وخصوصا ان بلدان مثل اليابان سيلحق بها أكبر ضرر، لان معظم النفط الذي تستورده يمر عبر هذا المضيق. هذه هي الحالة ازاء الاساطيل الامريكية و الحرب النفسية، وهناك حرب و دعاية ايرانية لمواجهةها. وعلينا ان نأخذ القضية جديا في هذا السياق، اي في سياق التهديد و الدعاية الحربية. وكما قلنا ان تفسير الصادرات هو اعلان للحرب و غلق مضيق هرمز اعلان حرب ايضا. بمعنى هناك تهديد بالحرب في مواجهة التهديد المقابل بالحرب. الند بالند.

أقول ليس هناك حرب على ايران، وليس هناك غلق لمضيق هرمز. هذه هي المعادلة الصحيحة. ربما هناك مناوشات او حتى تحرشات عسكرية، ولكن إذا تحدثنا عن الحرب وليس عن المناوشات و التحرشات العسكرية، التي ربما تحدثت بالفعل في السنوات الماضية، فليس هناك حرب. وكما أكدنا في اجابتنا على سؤالكم أعلاه، ان المرحلة الراهنة مختلفة كلياً عن المرحلة التي وقعت فيها الحرب على العراق. ربما هناك حربا بالوكالة في لبنان او العراق مثلاً، ولكن ليس هناك حربا على إيران، وإيران لا تريد حربا ايضا. القضية ليست لوي الأذرع الايرانية. في سورية او لبنان او العراق، او حتى اليمن، اذ فشلت سياسة امريكا وحلفائها في المنطقة في تحقيق هذا الامر، القضية هي الدعاية النفسية و الحربية لكسب الوقت و الحصول على امتيازات معينة او شروط جديدة لصالح امريكا، كما ذكرنا انفا. امريكا فشلت في قطع هذه الاوصال، او هذه الأذرع، لذا توجهت مباشرة للرأس اي لإيران لتهددها، ليتسنى لها ان تحصل على شيء واقعي ومادي لصالحها. هذه هي القضية واي فرض اجندتها على القوى الاخرى، للمثال فحسب، امريكا تحاول جلب الصين للجلوس على طاولة المفاوضات مع روسيا حول معاهدة نووية جديدة. المعاهدة التي الغاها ترامب مع روسيا قبل مدة.

## عن الحصار الاقتصادي على إيران ..

الى الامام: ما هو موقف الحزب الشيوعي العمالي العراقي تجاه هذه الاوضاع وفي اي خندق يصطف، وكما نعلم وبشكل غير رسمي، انه يدين السياسة الامريكية والحصار الاقتصادي على إيران؟ الا يضعكم هذا في خانة معاداة الامبريالية، "انتي امبريالية" بشكلها المطلق والمجرد؟  
سامان كريم:

حزبنا يقف بقوة ضد الحصار الاقتصادي على إيران وضد تصفير تصدير النفط الايراني وضد الحالة الراهنة من ارسال الاساطيل وحالة التحشيد الاعلامي الحربي ضد إيران. نحن ندين بقوة كل هذه الامور وكل هذه السياسات التي هي اساسا سياسة واحدة. نحن ندين عنجهية امريكا و من يتحالف معها ضمن هذه السياسات في المنطقة من البرجوازية الرجعية سواء كانت دولا من امثال السعودية والامارات او جماعات واحزاب قومية وطائفية وليبرالية قومية ايرانية.... برابي هذه سياسة واضحة غير قابلة لتفسيرات مغايرة.

لماذا نحن ندين هذه السياسات؟! اولاً: لاننا نهدف الى تقوية وتوحيد الصف الاممي العمالي، لأننا نريد ان نقيم علاقة نضالية وثيقة بين الطبقة العاملة في مختلف البلدان وخصوصا في البلدان منطقة الشرق الاوسط حيث نتواجد. نريد ان نكون صوتا قويا، وحركة قوية تقول لا للتحشيد والدعاية الحربية، لا للحصار الاقتصادي، لا لتواجد القوات الامريكية في المنطقة، ونعم لإخراج القوات الامريكية من المنطقة. امريكا زرعت الخوف والذعر والموت والقتل والهويات الكاذبة في المنطقة، العراق هو نموذجا حيا، على أثرها تضررت مصالح الطبقة العاملة ليس في العراق فحسب، بل على صعيد المنطقة والعالم برمتها.

يضاف الى ذلك ان امريكا رائد للرأسمالية العالمية وللبرجوازية العالمية، وتحاول فرض وتطبيق الليبرالية الجديدة في المنطقة وفي كافة البلدان العالم. وهذه السياسة، تعني سياسة الافقار والتجوع، تعني طرد العمال بالجملة، وتعني الخصخصة وبيع قطاع الدولة، وتعني التشفيع وقطع الارزاق... وتعني دفع اكثر ما يمكن دفعه من الناس صوب الفقر و البطالة، وتعني قلة الخدمات الاجتماعية والمدنية، مثل الكهرباء و الماء الصالح للشرب والصرف الصحي و التعليم و التربية والضمان الصحي. تعني بيع كل هذه الخدمات وإلزام المواطن لشرائها، ومن ليس معه المال ليس بإمكانه ان يشتري لا الصحة ولا كهرباء ولا تعليم، مثل ما نراه في امريكا. وتعني على صعيد الدساتير والقوانين، تقسيم المجتمع والانسان على اساس الهويات المصطنعة كما أكدنا عليه. وهذا يعني خلق التشرذم والتفرقة في داخل صفوف الطبقة العاملة. لذا، نحن نقف ضدها بكل ما لدينا من قوة، وندعو كافة القوى الشيوعية في المنطقة والعالم والقوى اليسارية التقدمية والاتحادات العمالية ان تقف بوجه السياسات الاميركية الرجعية المضادة للإنسانية هذه.

**ثانياً:** من هي امريكا لتجعل من نفسها شرطيا عالميا؟! من اعطى لها الحق في الدفاع المزعوم عن "الديمقراطية وحقوق الانسان" كما تقول، وهي صاحبة الفاء اول قنبلة نووية على هيروشيما واحتلال العراق وتدمير اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وعسكريا، احتلال فينتام وتدميرها ايضا وتدمير سورية وليبيا واليمن و منطقة البلقان برمتها وتدمير امريكا اللاتينية وبلدانها وتخریب مجتمعاتها وعشرات الأمثلة الأخرى. هذه هي امريكا، وأفضل عمل تقوم به لصالح المنطقة ولصالح المجتمع الامريكي هو خروجها الفوري من المنطقة، خروج قواتها من قواعدها في قطر والعراق وتركيا وسورية واساطيلها في البحر. تعتبر هذه، مطالب جماهيرية عارمة في المنطقة، نظرا لأعمالها وسياساتها الرجعية والعدائية بحق شعوب العالم. ليس لأمريكا الحق اصلا في ان تتحدث عن الدكتاتورية او عن حق المواطنين الايرانيين او ماشابه ذلك. يجب ان تحاكم كل المؤسسات القيادية في امريكا منذ حربها على فيتنام ولحد الان.

نحن نحدد السياسة ليس وفق معطيات طارئة، او حالات فورية، بل نحددها وفق استراتيجية خاصة بنا. استراتيجية الثورة العمالية. هذه الاستراتيجية، او هذا الهدف يفرض على الشيوعيين العماليين والماركسيين ان يتحركوا وفق مصلحة الطبقة العاملة، ومصالحها تحدد امميا، وليس في إطار قطري او قومي في بلد ما.

## مقابلة جريدة "الى الامام" مع سامان كريم

وفق هذا المنظور، نرى ان سياسة امريكا في المرحلة الراهنة، تسبب ضررا بالغا للطبقة العاملة في خدمة تقوية بقاء البرجوازية في الحكم في منطقتنا بصورة عامة، وبالتحديد في إيران.

اخيرا ماهو تعريفنا للامبريالية؟! هل الامبريالية حالة طارئة من الرأسمالية، او وضع خارج عن اطارها؟! لا بالطبع... هي حالة الرأسمالية بالضبط. الامبريالية هي حالة خاصة تمخضت عن الرأسمالية، تمخضت واصبحت خطوة الى الامام نحو التوسع والاحتكار الرأسمالي، حيث الرأسمال المالي أصبح سيدا بلا منافس. بإمكاننا ان نشبهها بالسمة الكبيرة التي تأكل الاسماك الصغيرة، فالامبريالية تأكل الرأسماليات الصغيرة، وتهدف الى الاحتكار والتركيز والتمركز... كما نراها في امريكا و الصين و روسيا و المانيا... هذه هي الحقيقة. بهذا المعنى نحن ضد الامبريالية، لأننا ضد الرأسمالية. اما "معاداة الامبريالية" لليسار، هي وخز ضمير فحسب، لا يثبتق منه شيئا ايجابيا لصالح المحرومين، لا بل هي سياسة بالضد من الجماهير المحرومة ومصالحها مثل ما رايناه في حرب افغانستان وحتى في الحرب على العراق. اليسار الاوروبي او حتى الاوروشيوغية لديها هذه الصفة لأنها تابعة للرأسمالية، وتتحرك داخل اطارها، يفصلون الرأسمالية عن الامبريالية، يؤيدون الرأسمالية واستغلال الطبقة العاملة، وينتقدون الامبريالية، لأنها تحب الشر والحروب. بمعنى اخر ينتقدون افرازات ونتائج العمل الامبريالي خصوصا على الصعيد الخارجي، لكن لا يتحدثون عن استغلال الطبقة العاملة في امريكا او الصين مثلا. أذن لا ينتقدون اساس القضية والموضوع، بل نتائجها. بإمكاننا ان نسلمهم الشيوعية البرلمانية. اذن ليس لديهم ربط ولا صلة بالشيوعية وبالطبقة العاملة من ناحية الافق السياسي او الاستراتيجية الشيوعية. إن ثنائية يسار و شيوعي اوروبيا لا تشملنا اصلا.

الى الامام: ماهي السياسة العملية للحزب الشيوعي العمالي العراقي تجاه هذه التطورات، على الصعيد العالمي وعلى صعيد العراق؟  
سامان كريم:

وفق ادانتنا للسياسة الامريكية هذه، نحدد وجهتنا العملية. اعتقد سياستنا العملية واضحة، وكما تحدثنا وقرنا في اجتماعات المكتب السياسي بصورة عامة او حتى بالتحديد في بعض الامور. الخطوة العملية الاولى لقرار المكتب السياسي هو اصدار البيان المشترك للأحزاب الثلاثة، أي الشيوعي العمالي العراقي والحزب الشيوعي العمالي الكردستاني والحزب الحكمتي -الخط الرسمي. وبعد اجتماع لنا مع قيادة الحزبين " الحزب الشيوعي العمالي الكردستاني والحزب الحكمتي - الخط الرسمي"، اصدرنا البيان وقمنا بهذه الخطوة الاولى. ان محاولة توحيد خطواتنا العملية معهما في الخارج على الأقل، وفي داخل العراق مع الحزب الكردستاني مسألة ضرورية. هذه هي النقطة الاولى وهي مهمة جدا. النقطة الثانية، هي النشر والدعاية الواسعة على صعيد المجتمع العراقي لسياسة الحزب، عبر الندوات والحوارات و كتابة المقالات والمشاركة الفعالة في السوشيال- ميديا... بعد ذلك تأتي قيادة تظاهرات وتجمعات جماهيرية وخصوصا في بغداد والبصرة على الأقل، لإبراز هذه السياسة، وهذا عمل ممكن ويمكن تحقيقه بسرعة. هذه الخطوات تصب في خانة تعبئة جماهيرية واجتماعية واسعة لسياسات الحزب، وخلق نوع من حالة الاعداد والاستعداد لدى صف واسع من الجماهير خصوصا الصف الشبابي والعمالي.

علينا ان نؤكد ان نتحرك وفق سياق روتيني، بمعنى نعمل على كل هذه السياسات وفق منهجية الحزب لهذه المرحلة. تقويته و ابرازه و ابراز قيادته وكوادره في اماكن المعيشة والعمل في المعامل و الجامعات والمعاهد والإحياء السكنية. علينا ان لا ننسى هذا الامر في كل خطوة من خطواتنا. الخطوة التالية هي تقوية وتوحيد الصفوف الاحتجاجية في اي بقعة جغرافية نتمكن من ان نشكل مركزا اجتماعيا مؤثرا كحالة متميزة خاصة في هذه المنطقة او تلك. هذه هي اهم فقرة إذا حققناها ستكون بمثابة خطوة كبيرة الى الامام. هذا يعني تشكيل حلقة مركزية منظمة قوية مؤثرة على الصعيد الاجتماعي في هذه البقعة الجغرافية، منظمة مركزية مؤثرة سيكون فيها الحزب واللجنة الحزبية الشيوعية نواتها بطبيعة الحال. مركز قوي بمعنى لديه علاقات وصلات اجتماعية واسعة جدا، تخلق في طياتها حالة من التقليد الاجتماعي ولو بصورة محدودة. هذه مسائل مادية

## عن الحصار الاقتصادي على إيران ..

ملموسة، نراها ونلمسها طبعاً. مركزها الحزب ولكن هناك عشرات وربما مئات من الحلقات المنظمة و المختلفة يمكن زجها في هذه السياسة أو في هذه الخطوة أو تلك، ستؤيدها وتلف حولها عشرات الرباطات والجمعيات أو النقابات المختلفة في هذه البقعة وتخلق نوعاً من شعور المقاومة الثورية إزاء سياسات أمريكا والقوى الرجعية البرجوازية. إن هذا هو الهدف الذي نحاول تحقيقه في هذه المرحلة.

بخصوص العمل على الصعيد العالمي، لدينا عوائق كبيرة، الحركات التقدمية واليسارية الراديكالية تراجعت كثيراً، وتدخل الطبقة العاملة في السياسة يكاد يصل إلى الصفر. مع ذلك هناك أرضية لعمل ولخلق حالة إيجابية بوجه سياسات أمريكا، خصوصاً وأن أمريكا منبوذة لدى الرأي العام الأوروبي بالتحديد. علينا أن نخلق حالة الوعي في الخارج بوجه هذه السياسات عبر كسب الشخصيات العامة سواء كانت سياسية أو ثقافية أو فكرية أو موسيقية أو أدبية أو عمالية أو طلابية أو في أي مجال آخر. المهم في هذه الخطوة هو الوصول إلى هؤلاء الأشخاص، وتوقيع مذكرة إدانة للسياسة الأمريكية الراهنة ضد إيران وفي منطقتنا. والعمل مع الإعلام الغربي، هذا العمل يصب في خانة انتشار سياساتنا وهي مهمة جداً. الخطوة الأخرى هي جمع المنظمات التقدمية والعمالية والنقابات والاتحادات النسائية والشبابية من خلال ممثليهم أو اجتماع لجانهم الرئاسية... هذا العمل يكمل الخطوة الأولى على الصعيد الخارج.

اليوم وفي هذه المرحلة هناك أرضية بالرغم من أنها ليست صلبة لهذا العمل أيضاً. بإمكان الاتحادات والمنظمات العمالية والمهنية في العراق وإيران وكردستان أن يرسلوا منظمات واتحادات ونقابات في الخارج والطلب منهم العون والتضامن. هذه الخطة تشكل بداية جيدة. كما أن الندوات باللغات العربية والانكليزية في الخارج لتوضيح سياسات الحزب، ستكون خطوة مؤثرة لجذب الرأي العام العربي والأوروبي ولو بدرجات معينة... توثيق وتوحيد العمل بين الأحزاب الثلاثة في العمل المشترك في الخارج له تأثير كبير لسرعة نشر سياساتنا وسرعة تحقيق خطواتنا العملية، وعلينا أن ندعو كافة الأحزاب في إيران والعراق وأوروبا أيضاً للمشاركة في هذا المسعى. الهدف النهائي في هذه المرحلة لهذه الخطوات، هو خلق حركة مناهضة للسياسة الأمريكية إزاء إيران والمنطقة برمتها، حركة جماهيرية متمدنة واسعة في أوروبا وأمريكا.





# **AL-Mad**

**A POLITICAL INTELLECTUAL QUARTERLY ISSUED  
BY WORKER - COMMUNIST PARTY OF IRAQ  
SEVENTH ISSUE JUN 2019**